حكاية الحيوان في النّثر العربيّ في القرن الخامس الهجريّ

إعداد

سوزان نعيم أسعد الحلو

المُشرف

الأُستاذ الدُّكتور صلاح جرّار

قُدّمت هذه الأُطروحة استكمالاً لمُتطلّبات الحُصول على درجة الدّكتوراه في

اللغة العربيّة وآدابها

كلّيّة الدّراسات العليا

الجامعة الأُردنيّة

حزيران ، ٢٠٠٦م

تعتمد كلية الدراسات العليا
هذه النسخة من الرسالة
التوقيع ..... التاريخ .....

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قرار لجنة المُناقشة

نوقشت هذه الرّسالة، (حكاية الحيوان في النّثر العربيّ في القرن الخامس الهجريّ)، وأُجيزت بتاريخ ١٥/ ٥/ ٢٠٠٦م.

أعضاء لجنة المُناقشة	التّوقيع
الأُستاذ الدّكتور صلاح جـــرّار، رئيســـاً أُستاذ الأدب الأندلسيّ- اللغة العربيّة	.....
الأُستاذ الدّكتور عبد الجليل عبد المهديّ، عُضواً أُســتاذ الأدب العبّـاسيّ/ الأدب الفـاطميّ والأيّـوبيّ والمملـوكيّ- اللغة العربيّة	.....
الدّكتور ياســـين عايـــش، عُضـــواً أُستاذ مشارك في الأدب العبّاسيّ- اللغة العربيّة	.....
الدّكتور عبـــد القـــادر الرّبّاعـي، عُضواً أُستاذ الأدب العبّاسيّ- اللغة العربيّة (جامعة اليرموك)	.....

تعتمد كلية الدراسات العليا
هذه النسخة من الرسالة
التوقيع ..... التاريخ ٤/٦/٢٠٠٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإهداءُ

إلى والديَّ

غيضٌ مِنْ فيضٍ لطالما غمَرَتني

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشُّكرُ كُلُّهُ

للهِ عزّ وجلّ

ومن ثمّ

لأُستاذي الفاضل الدُّكتور **صلاح جرّار**، الّذي احتفى بموضوع رسالتي مُنذ البدء، ودعم خُطواتي فيها، ووجّهها، ولم يبخل عليّ بشيء من وقته وعلمه. والّذي أفتخر بقبوله الإشراف على رسالتي، وأُقدّر ما بذله من جُهد لإعانتي على النُّهوض بها.

وللأساتذة الأفاضل، أعضاء لجنة المُناقشة:

الأُستاذ الدُّكتور **عبد الجليل عبد المهديّ**

الدُّكتور **ياسين عايش**

الدُّكتور **عبد القادر الرّباعي**

الّذين تحمّلوا عبء قراءة هذه الرّسالة، ومُناقشتها.

ولإخوتي، الّذين أعانوني على إنجازها.

ولصديقتي **وفاء صالح**، الّتي تصدّت لطباعتها، وتحمّلت أعباء ما أجريته عليها من تعديلات.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المُحتوى

الموضوع	الصّفحة
قرار لجنة المناقشة	ب
الإهداء	ج
شكر وتقدير	د
المحتوى	هـ-و
المُلخص بلغة الرّسالة	ز-ط
المُقدّمة	١
مدخلان نحو حكاية الحيوان النثريّة في القرن الخامس الهجريّ	٦-٥٢
المدخل الأوّل	
حكاية الحيوان: تعريفها-وأنواعها-ونشأتها في كُلّ نوع منها في الأدب الإنسانيّ القديم بعامّة والأدب العربيّ منه بخاصّة	٧-٤٩
منفذ	٧-١٠
حكاية الحيوان الشّارحة	١١-١٧
خُرافة الحيوان	١٧-٣٩
ملحمة الحيوان	٣٩-٤٥
مُنافرات الحيوان ومُفاخراته	٤٥-٤٦
حكاية الحيوان النثريّة الطّويلة	٤٦-٤٩
المدخل الثّاني	
حكايات الحيوان النثريّة في القرن الخامس الهجريّ	٥٠-٥٢
الفصل الأوّل	
حكايات الحيوان النثريّة القصيرة المحمولة من قُرون سابقة أو عُهود قديمة وحكايات الحيوان النثريّة القصيرة الموضوعة في القرن الخامس الهجريّ	٥٣-١٢٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

منفذ ٥٤

حكاية الحيوان الشّارحة ..... ٥٤ – ٦٨

مُنافرات الحيوان ..... ٦٨ – ٦٩

خُرافات الحيوان المحمولة من قُرون سابقة أو عُهود قديمة ..... ٦٩ – ١٠١

خُرافات الحيوان الّتي وضعها أبو العلاء المعرّيّ ..... ١٠١ – ١٢٩

الفصل الثّاني

حكاية الحيوان النّثريّة الطّويلة في القرن الخامس الهجريّ وتُمثّلها رسالة الصّاهل والشّاحج ١٣٠ – ٢٢٨

منفذ ..... ١٣٠ – ١٣٦

متى ولماذا أملى أبو العلاء هذه الرّسالة؟ ..... ١٣٦ – ١٤٠

حكاية الحيوان في "رسالة الصّاهل والشّاحج" ..... ١٤٠ – ١٤٦

رمزيّة الحكاية ورسائلها الفكريّة والنّقديّة ..... ١٤٦ – ١٩٤

مصير "رسالة الصّاهل والشّاحج" ..... ١٩٤ – ١٩٧

بنية الحكاية الفنّيّة ..... ١٩٧ – ٢٢٨

الخاتمة ..... ٢٢٩ – ٢٣٠

ثبت المصادر والمراجع ..... ٢٣١ – ٢٤٩

المُلخّص باللغة الإنجليزيّة ٢٥٠ – ٢٥١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حكاية الحيوان في النثر العربيّ في القرن الخامس الهجريّ

إعداد
سوزان نعيم أسعد الحلو

المشرف
الأستاذ الدكتور صلاح جرار

مُلخّص

تُلقي هذه الدّراسة الضّوء على حكاية الحيوان العربيّة النّثريّة في القرن الخامس الهجريّ: المحمولة في مصادره من قُرون سابقة أو عُهود قديمة، والموضوعة فيه، مُستضيئة بما جرى على مسرح ذلك القرن من أحداث، في تأويل أسباب رواية هذه الحكايات، أو وضعها، وفي الكشف عن مضامينها ورسائلها الفكريّة والنّقديّة، المُوجّهة إلى عصرها وأفراده.

ويتصدّر هذه الدّراسة مدخلان؛ قُمت في أوّلهما بالتّعريف بحكاية الحيوان وأنواعها في الأدبيْن الإنسانيّ والعربيّ القديميْن، وتتبّعت نشأتها في ثانيهما حتّى نهاية القرن الرّابع الهجريّ. وأشرت في المدخل الثّاني بإيجاز إلى ظُروف القرن الخامس الهجريّ، وعلاقتها باحتفاء أبنائه برواية عدد كبير من حكايات الحيوان، واحتفاء أبي العلاء المعرّيّ بوضع غيرها.

وتستند هذه الدّراسة في تناولها لحكايات الحيوان النّثريّة في القرن الخامس الهجريّ وتحليلها، إلى منهج "تضافر المعارف"، الّذي يستفيد من المناهج والمعارف المُختلفة، ولكنّها تميل بشكل أكبر إلى المنهجيْن: الاجتماعيّ والرّمزيّ.

وقد انتهت هذه الدّراسة إلى أنّ الآداب الإنسانيّة القديمة قد عرفت ثلاثة أنواع من حكايات الحيوان، كان أقدمها تلك الإجابات القصصيّة الّتي فسّر الإنسان من خلالها، ما عجز عن فهمه وتفسيره

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من ظواهر الكون، وسمات بعض الحيوانات، وطبائعها، وأنماط سُلوكها. وقد صدرت هذه الإجابات عن مواقف الإنسان الأخلاقيّة، ورُؤاه النّقديّة، وعُرفت بـ "حكاية الحيوان الشّارحة".

وقد نجم عن تطوّر هذه الحكاية ظهور نوعيْن أدبيّيْن من حكايات الحيوان؛ هما: "خُرافة الحيوان"، و "ملحمة الحيوان". وفي كليهما توارى المنطق الإنسانيّ خلف أقنعة الحيوانات، وأحياناً النّباتات والجمادات، فقدّم قضاياه الفكريّة والنّقديّة، وإنْ كانت الأولى أسبق نشأة، ولها فضل نُشوء النّوع الثّاني، الّذي أفاد من السّمات الفنيّة لها وللملحمة معاً، وجمع بينهما.

وقد استطاع الأدب العربيّ أن يُضيف إلى هذه الأنواع الثّلاثة، نوعيْن ثريّيْن جديديْن، ويستأثر بهما، أوّلهما كان نتاج العصر الجاهليّ، وثمرة لمُلاحظات أفراده حول سمات بعض الحيوانات، وطبائعها، وأنماط سُلوكها، وما قوي في نُفوسهم من نزعة عصبيّة قبليّة، وميل إلى التّفاخر والاعتزاز، وقد أطلقت على هذه الحكايات العربيّة مُصطلح "مُنافرات الحيوان ومُفاخراته"؛ ففيها يقف الحيوان مُفتخراً بنفسه، مُعدّداً بعض ما لديه من محاسن وسمات، أو هاجياً غيره، مُنتقصاً بعض سماته، مُعرّضاً بها.

فيما خرج النّوع الثّاني من رحم كتاب "كليلة ودمنة"، وافترق عنه في أنّه تخلّى عن الحكاية الإطاريّة، الّتي تجمع بين حكايات ثريّة قصيرة كثيرة، إلى حكاية ثريّة طويلة واحدة، تنهض بموضوع واحد، على الرّغم من تعدُّد شخصيّاتها، وتفرُّع أحداثها. وقد كان أوّل ما وصل إلينا من هذا النّوع من حكايات الحيوان العربيّة، كتاب "النّمر والثّعلب" لسهل بن هارون.

ولقد احتفى القرن الخامس الهجريّ بحكاية الحيوان احتفاءً واضحاً: رواية واستلهاماً وإبداعاً، فاستوعبت بعض مصادره، على اختلافها، كثيراً من حكايات الحيوان المحمولة من قُرون سابقة أو عُهود قديمة، ووضع أبو العلاء المعرّيّ عدداً من حكايات الحيوان، وصل إلينا منها حتّى اليوم بعض خُرافات حيوان، وحكاية حيوان ثريّة طويلة واحدة، تُعدّ بحقّ تطوّراً لفنّ الحكي على ألسنة الحيوانات، ذلك أنّها استوعبت، إلى القضايا الفكريّة والنّقديّة الّتي طرحتها، كثيراً من معارف أبي العلاء، وثقافاته، واجتهاداته في العربيّة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويأتي احتفاء هذا القرن بحكاية الحيوان صادراً عن ظُروفه، وما جرى على مسرحه من أحداث؛ فمُعظم ما رُوي فيه من حكايات نثريّة موروثة، ينتمي إلى الخُرافة، وكثير من الخُرافات المرويّة ذو مضامين فكريّة سياسيّة واجتماعيّة نقديّة حادّة، فيما حملت حكايات الحيوان النّثريّة، الّتي وضعها أبو العلاء المعرّيّ، مضامين فكريّة ونقديّة، تنسحب على ظُروف ذلك القرن، وما شهده من صراعات وفتن وخيانة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مُقدّمة

-١-

حكاية الحيوان لون قصصيّ، ذو جُذور ضاربة العُمق في تُراث الأُمم والحضارات المُختلفة، بدأ مُحاولة أُسطوريّة لتفسير بعض ظواهر الكون بعامّة، وما يتعلّق منها بالحيوان، وعاداته، وسماته، وأنماط سُلوكه بخاصّة، صدرت هذه المُحاولة عن مواقف الإنسان الأخلاقيّة ورُؤاه النقديّة. وانتهى هذا اللون قناعاً أدبيّاً، تُطرح من ورائه قضايا نقديّة، ورؤىً فكريّة.

إنّ المنظور الّذي فسّر الإنسان الأوّل من خلاله ما لم تُسعفه معرفته البدائيّة على فهمه وتفسيره، غدا، مع نُموّ معرفة الإنسان وتقدُّم حياته، مضمون الحكاية وغاياتها الحقيقيّة، ولكن مع كثير من التّطوّر، فيما تحوّلت الحيوانات – وأحياناً النّباتات والجمادات – الّتي دار عليها تفسير الإنسان، وسقطت عليها رُؤاه الفكريّة ومواقفه الأخلاقيّة، إلى أقنعة ورُموز أدبيّة، منح إنطاقها، بمنطق الإنسان، الحكاية، هزليّتها، وظرفها، وإمتاعها، وغرابتها، وإدهاشها، وضلّل غايات أصحابها، وألقى عليها ظلالاً.

وهكذا أوجد المُفكّرون طريقاً للشّكوى والنّقد، والتّنصُّل منها معاً، ووسيلة لاختراق المحظور الفكريّ، والنّأي – ما أمكن – عن المُساءلة والاتّهام، وما يجرّانه من أذىً، وسبيلاً لمُعالجة النّفس البشريّة، الّتي تنفر من النُّصح، والوعظ، والحكمة الجاهزة.

ولهذا كُلّه، استطاعت حكاية الحيوان التّفلُّت من قُيود الزّمان، والمكان، واللُّغة، والمُعتقد؛ فعرفتها الأُمم والحضارات كُلُّها، وظلّت محور رواية واستلهام ومُحاكاة.

ولهذا أيضاً، هي جديرة بالدّراسة المُتأنّية الجادّة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

-٢-

تستمدّ هذه الدّراسة أهمّيتها وجدّتها، من عدم وُجود دراسة سابقة تصدّت لموضوع حكاية الحيوان النّثريّة العربيّة في القرن الخامس الهجريّ، وتأتي استمراراً لدراسة سابقة قُمت بها لنيل درجة الماجستير في الأدب العربيّ، حملت عنوان "حكاية الحيوان في النّثر العربيّ في القرنين الثّالث والرّابع الهجريّين"، أفادت هذه الدّراسة منها في التّعريف بحكاية الحيوان وأنواعها في الأدبين الإنسانيّ والعربيّ القديمين، وتتبّع نشأتها فيهما. غير أنّ هذا كُلّه يجيء في هذه الدّراسة أكثر إيجازاً وتكثيفاً من سابقتها؛ كونه قد حظي في هذه الأخيرة بتفصيل وافٍ.

على أنّ عدم وُجود دراسات سابقة تصدّت لموضوع حكاية الحيوان النّثريّة في القرن الخامس الهجريّ، لا يُلغي وجود دراسات سابقة تناولت جُزئيّة أو غير جُزئيّة من دراستي هذه.

ففي مجال التّعريف بحكاية الحيوان وأنواعها في الأدب الإنسانيّ القديم والأدب العربيّ، وتتبّع نشأتها فيهما، كانت هُناك دراسات نهضت ببعض هذه القضايا، إنّما بإيجاز، يُسوّغه مجيء حكاية الحيوان في هذه الدّراسات جُزءاً من كُلّ، دار حول الأدب الشّعبيّ، أو الحكاية الشّعبيّة، أو التُّراث/ الفلولكلور، أو التُّراث القصصيّ، أو الحكاية الخُرافيّة، أو الأدب المُقارن، أو مُحاكاة كتاب "كليلة ودمنة".

وقد أغفلت الدّراسات الّتي تناولت حكاية الحيوان في الأدب الإنسانيّ القديم، ما ابتدعه العرب من حكايات نثريّة قصيرة وطويلة على ألسنة الحيوانات، فيما أغفلت الدّراسات الّتي تناولت، فيما تناولت، نشأة حكاية الحيوان في الأدب العربيّ وتطوّرها، التقاط ما رُوي ووُضع من حكايات الحيوان القصيرة في الأدب العربيّ، والوقوف عند غايات رُواتها وواضعيها، وما اضطلعت به هذه الحكايات من أدوار في الحياتين: السّياسيّة والاجتماعيّة، كنتُ قد التفتّ إليها بتفصيل في دراستي السّابقة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من هذه الدّراسات: كتاب "علم الفُلكلور" لـ "ألكساندر كراب"، وكتاب "الحكاية الشّعبيّة" لـ "عبد الحميد يونس"، وكتاب "الحكاية الخُرافيّة" لـ "فردريش فون ديرلاين"، وكتاب "الحكايات الشّعبيّة العربيّة" لـ "شوقي عبد الحكيم"، وكتابا "عالم الحكايات الشّعبيّة"، و "الفلولكور ما هو؟" لـ "فوزي العنتيل"، وكتاب "الأدب المُقارن" لـ "مُحمّد غنيمي هلال"، وكتاب "كليلة ودمنة في الأدب العربيّ" لـ "ليلى حسن سعد الدّين"، وكتاب "كليلة ودمنة بين الأُصول القديمة والمُحاكاة الشّرقيّة" لـ "مجدي مُحمّد شمس الدّين إبراهيم"، وكتاب "التُّراث القصصيّ في الأدب العربيّ: مُقاربات سوسيو- سرديّة" لـ "مُحمّد رجب النّجّار"، وغيرها.

وفيما يتعلّق بحكاية الحيوان النّثريّة في القرن الخامس الهجريّ، كانت هناك دراسات دارت حول "رسالة الصّاهل والشّاحج"، حكاية الحيوان النّثريّة الطّويلة الوحيدة الّتي وصلت إلينا من القرن الخامس الهجريّ، إلاّ أنّ هذه الدّراسات لم تف هذه الرّسالة حقّها من العرض والتّحليل، وقد تناولتها من منظور آخر غير القصّ على ألسنة الحيوانات.

أوّلى هذه الدّراسات، ما صدّرت به "عائشة عبد الرّحمن" تحقيقها لـ "رسالة الصّاهل والشّاحج"؛ فقد اعتنت فيه بتصحيح ما وقع فيه الدّارسون من اللبس والخطأ فيما يخصّ بعض أعلامها، وأشارت إلى بعض مضامينها الفكريّة والنّقديّة، مُنطلقة من الأحداث السّياسيّة الّتي شهدتها حلب في ذلك القرن، كما أشارت إلى بعض سمات الرّسالة الفنّيّة، وعدّتها نصّاً مسرحيّاً.

ومن هذه الدّراسات، الدّراسة الّتي جاءت في كتاب "مع التُّراث" لـ "يوسف الشّاروني"، وهي دراسة قصيرة، اكتفى صاحبها بعرض الحكاية كما جاءت في "رسالة الصّاهل والشّاحج" ، والتّحدّث في بضعة سطور عن الجانب اللغويّ فيها، الّذي رأى أنّه يُوازي الجانب القصصيّ، لا بل يتفوّق عليه.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومنها الدّراسة الّتي جاءت في كتاب "نثر أبي العلاء: دراسة فنّيّة" لـ "صلاح فضل". وقد اكتفى صلاح فضل، بالإشارة إلى بعض أحداث الزّمن الّذي كُتبت فيه "رسالة الصّاهل والشّاحج"، وخُطوطها العريضة، وحاول التّنبؤ من خلالها بالسّبب الّذي دفع أبا العلاء إلى كتابتها، قبل أن ينفذ من هذه القضايا إلى دراسة سمات الرّسالة الفنّيّة، دراسة أغفل فيها بنيتها الحكائيّة؛ وذلك لأنّ هدف دراسته الخُروج بسمات نثر أبي العلاء المعرّيّ.

وللحقّ أقول: إنّ هذه الدّراسات الأخيرة كانت لرسالتي إضاءات فحسب، فجُلّ ما انتهيت إليه من آراء، اعتمدت فيه على ما تضمّنته "رسالة الصّاهل والشّاحج" من إشارات، وإيماءات، ورُموز، وعلى النّظر في أحداث الزّمن الّذي أملى فيه أبو العلاء هذه الرّسالة. وقد تناولت "رسالة الصّاهل والشّاحج" من منظور أدب الحكاية على ألسنة الحيوانات.

-٣-

لقد استندتُ في دراسة حكايات الحيوان النّثريّة في القرن الخامس الهجريّ إلى منهج "تضافر المعارف"، الّذي يستفيد من المعارف والمناهج المُختلفة، وإن كُنت قد أفدت أكثر من المنهجيْن: الاجتماعيّ والرّمزيّ، في الكشف عن مضامين حكايات الحيوان، وغايات أصحابها.

وقد عمدتُ إلى شرح معاني المُفردات والتّراكيب، الّتي يُسهم شرحها في إضاءة نُصوص حكايات الحيوان، أو مضامين "رسالة الصّاهل والشّاحج". وعرّفتُ بما ورد في الرّسالة من أعلام سياسيّة وفكريّة وأدبيّة، وقصدت من ذلك، إكمال صورة القرن الخامس الهجريّ في ذهن القارىء، وتعريفه بالشّخصيّات الّتي احتفت بحكاية الحيوان على مرّ العُصور، وما اضطلعت به كُلّ شخصيّة من أدوار سياسيّة وفكريّة وأدبيّة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد جعلتُ هذه الدّراسة في فصلين، صدّرتها بمدخلين. عرّفت في المدخل الأوّل منهما بحكاية الحيوان وأنواعها في الأدبين الإنسانيّ والعربيّ القديمين، وتتبّعت نشأتها في الأدب العربيّ حتّى نهاية القرن الرّابع الهجريّ.

وتحدّثت في الثّاني عن ظُروف القرن الخامس الهجريّ، ومدى ارتباطها باحتفاء أبنائه بحكاية الحيوان النّثريّة: روايةً، وإبداعاً.

وتوقّفت في الفصل الأوّل عند حكايات الحيوان النّثريّة القصيرة الّتي حُملت في بعض مصادر القرن الخامس الهجريّ، من قُرون سابقة أو عُهود قديمة، وعند تلك الّتي وصلت إلينا ممّا وضعه أبو العلاء المعرّيّ من حكايات على ألسنة الحيوانات، وتناولتها بالتّحليل والدّراسة، واستضأت بسمات ذلك القرن وأحداثه، في الكشف عن رسائل تلك الحكايات الفكريّة والنّقديّة، وخصّصت جُزءاً من هذا الفصل لدراسة هذه الحكايات فنّيّاً.

وتوقّفت في الفصل الثّاني، بالتّحليل والدّراسة، عند "رسالة الصّاهل والشّاحج"؛ وقاربت ما جاء فيها بما جرى على مسرح حلب ومصر من أحداث سياسيّة واجتماعيّة في ذلك الزّمن. وخصّصت جُزءاً من هذا الفصل لدراسة هذه الرّسالة فنّيّاً.

وأنهيت هذه الدّراسة بخاتمة، حمّلتها أهمّ نتائجها.

وبعد... لا يفوتني، أن أُشيد بفضل أُستاذي الدّكتور **صلاح جرّار**، وما كان لعُمق رُؤيته، وسَعَة علمه، وحُسن توجيهه، من دور مُميّز في إنجاز هذه الدّراسة على هذه الصّورة.

واللّه من وراء القصد.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مدخلان

نحو

حكاية الحيوان النثرية

في

القرن الخامس الهجري

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المدخل الأوّل

حكاية الحيوان: تعريفها، وأنواعها، ونشأة كُلّ نوع منها في الأدب الإنسانيّ القديم بعامّة والأدب العربيّ منه بخاصّة

منفذ

حكاية الحيوان لون قصصيّ، من أقدم ألوان القصّ الشّعبيّ -إن لم يكن أقدمها على الإطلاق- وأكثرها جدّة وحيويّة، يُروى على ألسنة الحيوانات، بما فيها الطُّيور والحشرات، فتأتي فيه بسُلوك كسلوك الإنسان، من غير أن تخلع عنها سماتها الحيوانيّة. كما قد يُروى - هذا اللون - على ألسنة النّباتات والجمادات، وقد تنفرد هذه الشّخصيّات بأداء أدوار حكايات الحيوان، وقد تُشاركها الأدوارَ شخصيّات إنسانيّة، تتّخذ رُموزاً لشخصيّات أُخرى في الواقع[1].

بدأت حكاية الحيوان مُحاولة أُسطوريّة لتفسير بعض ظواهر الكون بعامّة، وما يتعلّق منها بالحيوان، وسماته، وعاداته، وطبائعه، وأنماط سُلوكه بخاصّة، عُرفت هذه المُحاولة فيما بعد

---

[1] انظر: ألكساندر كراب، علم الفُلكلور، ترجمة رُشدي صالح، ط١، وزارة الثّقافة، دار الكتاب العربيّ، القاهرة، ١٩٦٧م، ص١١٤؛ جبّور عبد النّور، المُعجم الأدبيّ، ط١، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، ١٩٧٩م، ص١٠١؛ شوقي عبد الحكيم، الحكايات الشّعبيّة العربيّة: دراسة نظريّة ميدانيّة مُزوّدة بالنّماذج، ط١، دار ابن خلدون، بيروت- لبنان، ١٩٨٠م، ص١٠٥؛ عبد الحميد يونس، الحكاية الشّعبيّة، ط١، المُؤسّسة المصريّة العامّة للتّأليف والنّشر، دار الكتاب العربيّ، القاهرة- مصر، ١٩٦٨م، ص ص ٢٩- ٣٠؛ فردريش فون ديرلاين، الحكاية الخُرافيّة: نشأتها- مناهج دراستها- فنّيّتها، ترجمة نبيلة إبراهيم، مُراجعة عزّ الدّين إسماعيل، ط١، دار القلم، بيروت- لبنان، ١٩٧٣م، ص٩٠؛ فوزي العنتيل، عالم الحكايات الشّعبيّة، دار المريخ، طبعة سنة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٣م، الرّياض- السّعوديّة، ص٥٣؛ والفُلكلور ما هو؟: دراسات في التُّراث الشّعبيّ، ط٢، دار المسيرة ومكتبة مدبولي، القاهرة- مصر، ١٩٨٧م، ص ص١٧٥- ١٧٦؛ مُحمّد رجب النّجّار، التُّراث القصصيّ في الأدب العربيّ: مقاربات سوسيو- سرديّة، ط١، منشورات ذات السّلاسل، الكُويت، ١٩٩٥م، المُجلّد الأوّل، ص١٠١؛ مُحمّد غنيمي هلال، الأدب المُقارن، ط٣، دار العودة، بيروت- لبنان، ١٩٩٩م، ص ص١٧٩- ١٨٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بـ "حكاية الحيوان الشّارحة"، أو "المُفسِّرة"، أو "التّعليليّة" The Beast Etiological Tale. وقد نتج عن تطوُّرها ظُهور نوعيْن آخريْن من حكايات الحيوان، هُما: "خُرافة الحيوان" The Animals Fable، و "ملحمة الحيوان" The Animals Epic، وفي كليهما يتوارى المنطق الإنسانيّ خلف أقنعة الحيوانات – وأحياناً النّباتات والجمادات – ليُقدّم رُؤاه الإصلاحيّة، وقضاياه الفكريّة والنّقديّة، وإن لم يكن ظُهورهما مُتزامناً، فقد كانت الخُرافة أسبق نشأة، ولها فضل نُشوء النّوع الثّاني، الّذي أفاد من السّمات الفنّيّة لها وللملحمة معاً، وجمع بينهما[1].

٦٢٦٢٦٧

والنّاظر في نماذج حكايات الحيوان في الأدب العربيّ، تتجلّى له أُمور ثلاثة، أوّلها أنّ العرب يقبضون على موروث أدبيّ ضخم من هذه الحكايات، يفوق ما للأُمم الأُخرى منها، منه حكايات شعريّة، وأُخرى نثريّة، يشتركون في معرفة بعضها وتوظيفه مع الأُمم القديمة الأُخرى، ويستأثرون لأنفسهم بوضع كثير منها.

ثانيها أنّ كثيراً من نماذج هذه الحكاية في الأدب العربيّ ينتمي إلى كُلّ من "حكاية الحيوان الشّارحة" و "خُرافة الحيوان"، على تفاوت يُحسم لصالح الثّانية، في حين لا تُوجد نماذج عربيّة – فيما وصل إلينا من موروث شعريّ – تُمثّل ما عرفته الآداب الإنسانيّة القديمة بـ "ملحمة الحيوان"، وإن كان بإمكاننا أن نُلحق بهذا النّوع من حكايات الحيوان، منظومات "كليلة ودمنة" في الأدب العربيّ، أو المنظومات الّتي خرجت من مُحاكاة كتاب "كليلة ودمنة".

---

[1] انظر: ألكسندر كراب، علم الفُلكلور، ترجمة رُشدي صالح، ص ص١١٣- ١٢٦؛ عبد الحميد يونس، الحكاية الشّعبيّة، ص ص٢٩- ٣٦؛ فردريش فون ديرلاين، الحكاية الخُرافيّة: نشأتها- مناهج دراستها- فنّيّتها، ترجمة نبيلة إبراهيم، مُراجعة عزّ الدّين إسماعيل، ص٩٠؛ فوزي العنتيل، عالم الحكايات الشّعبيّة، ص ص٥٣- ٦٥؛ والفُلكلور ما هو؟: دراسات في التُّراث الشّعبيّ، ص ص١٧٥- ١٧٦؛ مُحمّد رجب النّجّار، التُّراث القصصيّ في الأدب العربيّ: مُقاربات سوسيو- سرديّة، المُجلّد الأوّل، ص١٥٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثالثُها أنّ العرب لم يقفوا من هذه الحكاية عند "حكاية الحيوان الشّارحة" و "خُرافة الحيوان"، ولكنّهم استطاعوا أن يستلّوا من كُلّ نوع من هذين النّوعين نوعاً نثريّاً جديداً، ويستأثروا به دون الآداب القديمة الأُخرى.

أوّلها كان نتاج العصر الجاهليّ، وثمرة أصيلة لمُلاحظات أفراده حول سمات بعض الحيوانات وعاداتها وأنماط سُلوكها وطبائعها، وما قويَ في نُفوسهم من نزعة عصبيّة قبليّة، وميل إلى التّفاخر والاعتزاز عُرف بها المُجتمع الجاهليّ. وقد أطلقت على هذا النّوع من حكايات الحيوان العربيّة مُصطلح "مُفاخرات[١] الحيوان ومُنافراته[٢]"[٣]؛ ففيه يقف الحيوان مُفتخراً بنفسه، مُعدّداً ما لديه من محاسن وسمات، أو هاجياً غيره، مُنتقصاً بعض سماته، مُعرّضاً بها. وهو بذلك امتداد لـ "حكاية الحيوان الشّارحة"؛ بما تُوفّره من صُوَر ومعلومات عن سمات بعض الحيوانات، وطبائعها، وعاداتها، وأنماط سُلوكها.

أمّا ثانيهما، فقد كان امتداداً لخُرافة الحيوان؛ إذ نشأ عن مُحاكاة كتاب "كليلة ودمنة" – أحد نماذج الخُرافة – نثراً. وعلى الرّغم من أنّ هذا النّوع من الحكايات قد خرج من عباءة "كليلة ودمنة"، مانحاً حكاية الحيوان مُصنّفاً أدبيّاً خاصّاً، ومُتّخِذاً من الحيوانات وغيرها أقنعة يُواري بها القضايا الفكريّة والإصلاحيّة الّتي يطرحها، إلاّ أنّه افترق عن "كليلة ودمنة" في الشّكل الفنّيّ الّذي استعاره للتّعبير عن ذلك؛ فقد تخلّى هذا النّوع عن الحكاية الإطاريّة، الّتي تُؤلّف بين حكايات قصيرة كثيرة، إلى حكاية نثريّة طويلة واحدة ، فيها من الشُّخوص والأحداث ما لا تحتمله الحكاية القصيرة، ولكنّها مع ذلك تطرح موضوعاً قصصيّاً

---

[١] فَاخَرَهُ مُفاخرةً وفِخاراً: عارَضَهُ بالفَخر. ابن منظور، لسان العرب، ط٣، دار صادر للطّباعة والنّشر، بيروت- لبنان، ٢٠٠٤م، مادّة (فخر).

[٢] المُنافرة: المُفاخرة والمُحاكمة. لسان العرب: مادّة (نفر).

[٣] أطلق إحسان عبّاس على الحكاية الواحدة من هذه الحكايات اسم "مُنافرة"، وقد أفدت من ذلك في إطلاق مُصطلح "مُفاخرات الحيوان ومُنافراته" على هذا اللون من حكايات الحيوان. انظر: إحسان عبّاس، ملامح يونانيّة في الأدب العربيّ، ط٢، المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر، بيروت- لبنان، ١٩٩٣م، ص٨٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واحداً، من غير أن يمنع ذلك من أن تتخلّلها حكايات قصيرة يُؤتى بها للتّدليل على رأي ما أو غير رأي، أو أن تُساق فيها أبيات شعريّة. ولعلّ عزّة الغنّام هي أوّل من أشار إلى هذا النّوع من حكايات الحيوان العربيّة، حين وصفت حكاية "الأسد والغوّاص"[١] – أحد أمثلة هذا النّوع – بأنّها رواية Novel، أو رواية قصيرة Novella /Novelette [٢] ؛ "لأنّها طويلة، ومُتفرّعة الأحداث، أو فيها من المواقف الجانبيّة ما لا تحتمله القصّة القصيرة Short Story"[٣].

وتابعها مُحمّد رجب النّجّار في ذلك مُتوسّعاً، فصنّف مجموعة من المُؤلّفات النّثريّة على ألسنة الحيوانات في الأدب العربيّ القديم تحت مُصطلح "رواية الحيوان النّثريّة"[٤] ؛ لأنّ كُلّ واحدة من هذه المُؤلّفات -كما يقول - "هي بالفعل – من حيث الحجم – رواية طويلة، ولأنّها – من حيث المضمون – تتناول موضوعاً قصصيّاً واحداً مُتكاملاً، مهما تفرّعت أحداثه، أو تعدّدت شخصيّاته"[٥].

وأُفضّل أن أُطلق على هذه الحكايات مُصطلح "حكاية الحيوان النّثريّة الطّويلة"، تجنّباً لما يحمله المُصطلح الحديث من دلالات، وما يفرضه من شُروط قد لا توجد في هذه الحكاية.

---

[١] تعود هذه الحكاية، مجهولة المُؤلّف، إلى بداية القرن السّادس الهجريّ، وهي ذات مضامين فكريّة ونقديّة: سياسيّة واجتماعيّة. انظر: الأسد والغوّاص (مجهولة المُؤلّف)، باعتناء رضوان السّيّد، ط١، دار الطّليعة للطّباعة والنّشر، بيروت- لبنان، أيلول/ سبتمبر ١٩٧٨م، مُقدّمة المُحقّق، ص ص٥- ٣٥.

[٢] انظر: عزّة الغنّام، الفنّ القصصيّ العربيّ القديم من القرن الرّابع إلى القرن السّابع، ط١، الدّار الفنّيّة للنّشر والتّوزيع، القاهرة- مصر، ١٩٩١م، ص٢٤١.

[٣] المرجع نفسه، ص ١٥٢.

[٤] انظر: مُحمّد رجب النّجّار، التّراث القصصيّ في الأدب العربيّ: مُقاربات سوسيو- سرديّة، المجلّد الأوّل، ص ص١٥٢- ١٥٥.

[٥] المرجع نفسه، المجلّد الأوّل، ص ١٥٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أنواع حكاية الحيوان

و

نشأة كُلّ نوع منها في الأدب الإنسانيّ القديم بعامّة والأدب العربيّ منه بخاصّة

١. حكاية الحيوان الشّارحة The Beast Etiological Tale

تُعْرَف حكاية الحيوان الأُولى بـ "حكاية الحيوان الشّارحة"، أو "المُفسِّرة"، أو "التّعليليّة"[(١)]، وهي حكاية قصيرة، قديمة قِدَمَ جهل الإنسان وحيرته وسُؤاله، قِدَمَ سعيه إلى المعرفة، تُروى شعراً ونثراً، دون أن تُنسب إلى مُؤلِّف بعينه، أو إلى أُمّة دون غيرها، فسّر من خلالها الإنسان بعض ظواهر الكون بعامّة، وما يتعلّق منها بالحيوان، وعاداته، وسماته، وأنماط سُلوكه بخاصّة، مُنطلقاً من مُلاحظاته وتأمُّلاته، مُحلِّقاً على جناحي خياله وتصوُّراته، صادراً في تأويله وتفسيره عن مواقفه الأخلاقيّة ورُؤاه النّقديّة، مُسقطاً على هذه الحكايات ما يجري في عالمه من ظُلم، وقهر، واستبداد، وخيانة...؛ فالدُّبّ بغير ذنب؛ لأنّه لم يكن ذكيّاً، فسهُل على الثّعلب خداعه، وإفقاده ذنبه[(٢)]. والجمل بأُذنين صغيرتين، عقاباً له على طمعه الّذي دفعه إلى أن يسأل زيوس[(٣)] أن يمنحه قُروناً[(٤)]. واللعنة الّتي حلّت بالغُراب، كانت نتيجة

---

(١) انظر: ألكساندر كراب، علم الفُلكلور، ترجمة رُشدي صالح، ص١١٤؛ شوقي عبد الحكيم، الحكايات الشّعبيّة العربيّة: دراسة نظريّة ميدانيّة مُزوّدة بالنّماذج، ص١٠٥؛ عبد الحميد يونس، الحكاية الشّعبيّة، ص٣٠؛ فوزي العنتيل، عالم الحكايات الشّعبيّة، ص٥٧؛ مُحمّد رجب النّجّار، التُّراث القصصيّ في الأدب العربيّ: مُقاربات سوسيو- سرديّة، المُجلّد الأوّل، ص١٠٢.

(٢) انظر: ألكساندر كراب، علم الفُلكلور، ترجمة رُشدي صالح، ص١١٥.

(٣) زيوس Zeus: إله الرّعد، وملك الآلهة عند اليونانيّين، ويُقابله عند الرّومان "جوبيتير"، ومن صفاته العدل والصّرامة. انظر: طاهر باذنجكي، قاموس الخُرافات والأساطير، ط١، جرّوس برس، طرابلس- لبنان، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ص١٣٤.

(٤) انظر: فردريش فون ديرلاين، الحكايـة الخُرافيّة: نشأتها- مناهج دراستها- فنّيّتها، ترجمة نبيلة إبراهيم، مُراجعة عزّ الدّين إسماعيل، ص٩١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثرثرته[١]. وقُدرة الثُّعبان على نضو جلده بما تعنيه من تجديد الحيويّة واستمرار البقاء -كما تقول الحكاية الشّارحة – سلبها الثُّعبان من الإنسان وانتحلها لنفسه[٢]. أمّا لماذا تنمو أزهار النّرجس قُرب الشُّطآن؟ فلأنّ الإلهة أفروديت[٣] – وفي روايةٍ أُخرى ڤينوس[٤] – ابتلت شاباً وسيماً بِعِشْق نفسه، فراح يتأمّل صورته في الماء مُعجباً بها، وكان من نتيجة رغبته في الحُصول على هذه الصّورة، أنْ مات غرقاً مُتحوّلاً إلى زهرة نرجس[٥].

ومن رحم هذه الحكايات وُلدت بعض الأساطير[٦].

---

(١) انظر: فردريش فون ديرلاين، الحكاية الخُرافيّة: نشأتها- مناهج دراستها- فنّيّتها، ترجمة نبيلة إبراهيم، مُراجعة عزّ الدّين إسماعيل، ص٩٠.

(٢) انظر: ألكساندر كراب، علم الفُلكلور، ترجمة رُشدي صالح، ص١١٦.

(٣) أفروديت Aphrodite: إلهة الحُبّ والجمال، وحّدها الرّومان مع "ڤينوس". انظر: طاهر باذنجكي، قاموس الخُرافات والأساطير، ص٣٥.

(٤) ڤينوس Vènus : إلهة الحُبّ والجمال عند الرّومانيّين، إضافة إلى كونها إلهة الزّواج والإخصاب، ويُقابلها عند اليونانيّين "أفروديت"، وعند الفينيقيّين "عشتروت". انظر: طاهر باذنجكي، قاموس الخُرافات والأساطير، ص١٧٨.

(٥) انظر: مُحمّد غنيمي هلال، الأدب المُقارن، ص١٨٠؛ مُحمّد رجب النّجّار، التُّراث القصصيّ في الأدب العربيّ: مُقاربات سوسيو- سرديّة، المُجلّد الأوّل، ص١٠٣.

(٦) انظر: ألكساندر كراب، علم الفُلكلور، ترجمة رُشدي صالح، ص ص١١٩- ١٢١؛ شوقي عبد الحكيم، الحكايات الشّعبيّة العربيّة: دراسة نظريّة ميدانيّة مُزوّدة بالنّماذج، ص١٠٥؛ عبد الحميد يونس، الحكاية الشّعبيّة، ص ص٣٠- ٣١؛ فردريش فون ديرلاين، الحكاية الخُرافيّة: نشأتها- مناهج دراستها- فنّيّتها، ترجمة نبيلة إبراهيم، مُراجعة عزّ الدّين إسماعيل، ص٩٢؛ فوزي العنتيل، علم الحكايات الشّعبيّة، ص ٥٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن المعلوم أنّ العربيّ الجاهليّ قد عرف الحكاية الشّارحة؛ إذ وجدنا نماذج لها في دواوين بعض شُعرائه[١]، وفي بعض مصادر التُّراث العربيّ[٢] على اختلافها. من هذه الحكايات؛ حكاية "الدّيك والغُراب"، وهي حكاية قديمة، لها جُذور في الثّقافات اليهوديّة والمسيحيّة[٣]. وقد روى لنا هذه الحكاية شعراً أُميّة[٤] بن أبي الصّلت[٥] (...- ٥هـ= ...-

---

[١] انظر: عديّ بن زيد العِباديّ، ديوان عديّ بن زيد العِباديّ، حقّقه وجمعه مُحمّد جبّار المعيبد، ط١، دار الجُمهوريّة للنّشر والطّبع، بغداد- العراق، ١٩٦٥م، ص ص١٥٩- ١٦٠؛ أُميّة بن أبي الصّلت، ديوان أُميّة ابن أبي الصّلت، جمع وتحقيق ودراسة عبد الحفيظ السّطلي، ط٢، المطبعة التّعاونيّة، دمشق- سورية، ١٩٧٧م، ص ص٣٣٨- ٣٤٠، ص٣٥٥، ٤٣٩، ٤٦٠، ص ص٥٣٣- ٥٣٩.

[٢] انظر: الجاحظ، الحيوان، تحقيق وشرح عبد السّلام مُحمّد هارون، ط١، مطبعة مُصطفى البابي الحلبيّ وأولاده، مصر، ١٣٥٦هـ/ ١٩٢٨م، ج٤، ص١٢٥، ج٦، ص٣٢٣؛ ابن قُتيبة، المعاني الكبير في أبيات المعاني، ط١، دار الكُتب العلميّة، بيروت- لبنان، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م، المُجلّد الأوّل، ص٣٣٧، المُجلّد الثّاني، ص ص٦٤٠- ٦٤١؛ حمزة الأصفهانيّ، الدُّرّة الفاخرة في الأمثال السّائرة، حقّقه وقدّم له ووضع حواشيه وفهارسه عبد المجيد قطامش، ط١، دار المعارف، القاهرة- مصر، ١٩٧١م، ج١، ص٢١١، ج٢، ص ص٥٥٣- ٥٥٤.

[٣] انظر: أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاحج؛ نصّ مُحقّق مع مدخلَيْن: تاريخيّ وموضوعيّ، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن (بنت الشّاطىء)، ط٢، دار المعارف، القاهرة- مصر، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ص٢٤٩.

[٤] أُميّة بن عبد اللّه أبي الصّلت بن أبي ربيعة بن عوف الثّقفيّ: شاعر جاهليّ، اتّفق العُلماء أنّه أشعر ثقيف، كان قد نظر في الكُتب، ولبس المُسوح تعبُّداً، وشكّ في الأوثان، والتمس الدّين، وطمع في النُّبوّة، وذكر في شعره حكايات عن الخَلْق والأنبياء. فلمّا ظهر النّبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم، قيل له: "هذا الّذي كُنت تستريب، وتقول فيه". فحسده، وقال: "إنّما كُنت أرجو أن أكونه". فأنزل اللّه تعالى فيه: ﴿واتلُ عليهم نبأ الّذي آتيناهُ آياتنا فانسلخ منها فأتبعَهُ الشّيطانُ فكانَ منَ الغاوينَ﴾ سورة الأعراف: الآية ١٧٥. انظر في أخباره: الجُمحيّ، طبقات فُحول الشُّعراء، قرأه وشرحه محمود مُحمّد شاكر، ط٢، مطبعة المدني، القاهرة- مصر، العاشر من شوّال ١٣٩٣هـ/ الخامس من نوفمبر ١٩٧٣م، السّفر الأوّل، ص ص٢٥٩- ٢٦٧؛ ابن قُتيبة، الشّعر والشُّعراء، تحقيق وشرح أحمد مُحمّد شاكر، ط١، دار الحديث، القاهرة- مصر، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م، ج١، ص ص٤٥٠- ٤٥٤؛ صلاح الدّين الصّفديّ، الوافي بالوفيات، ط١، دار الفكر، بيروت- لبنان، ١٤٢٥- ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ج٦، ص ص٣٦٣- ٣٦٦.

[٥] انظر: أُميّة بن أبي الصّلت، ديوان أُميّة بن أبي الصّلت، جمع وتحقيق ودراسة عبد الحفيظ السّطلي، ص ص٥٣٣- ٥٣٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

...- ٦٢٦م)، وحفظتها لنا ثراً بعض مصادر التُّراث العربيّ بصُور مُختلفة[١]، حملت، فضلاً عن الاختلاف في الألفاظ وأُسلوب الرّواية من راوٍ لآخر، اختلافاً في بعض التّفاصيل الدّاخليّة وشخصيّتي الحكاية. وتُفسّر هذه الحكاية السّبب في صياح الدّيك صباحاً، وعجزه عن الطّيران، وتمكُّن الغُراب من ذلك، فتروي لنا، في إحدى رواياتها، أنّ الدّيك كان نديماً للغُراب أوّل الزّمان، وكان الدّيك ذا جناح كجناح الغُراب يطير به، وكان الغُراب ذا جناح كجناح الدّيك لا يطير به، فلمّا شربا الخمر عند خمّار، ونفد شرابه، وحان وقت دفع الثّمن، استعار الغُراب جناح الدّيك ليأتيَ بالثّمن، ورهن الدّيك عند الخمّار حتّى يؤوب، فطار ولم يرجع، فظلّ الدّيك من يومها محبوساً، وزعموا أنّه يصيح صباحاً استدعاءً لجناحه من الغُراب[٢].

يقول أُميّة بن أبي الصّلت في ذلك:

"ولا غَزوَ[٣] إلاّ الدّيكُ مُدمِنُ خمرةٍ[٤] نديمُ[٥] غُرابٍ لا يَملُّ الحوانيا[٦]

ومَرهَنُهُ[٧] عندَ الغُرابِ حبيبه فأوفيتَ مَرْهوناً، وخانَ مُسابيا[٨]

---

[١] انظر: ابن سيرين، تفسير الأحلام الكبير، مكتبة ومطبعة مُحمّد علي صبيح وأولاده، ط١، ميدان الأزهر- مصر، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص٢٠١؛ الجاحظ، الحيوان، تحقيق وشرح عبد السّلام مُحمّد هارون، ج٢، ص ص٣١٩- ٣٢٠؛ التُّوَيريّ، نهاية الأرب في فُنون الأدب، ط١، وزارة الثّقافة والإرشاد القوميّ، المُؤسّسة المصريّة العامّة للتّأليف والتّرجمة والطّباعة والنّشر، القاهرة- مصر، [-١٩٧م]، السّفر العاشر، ص٢٢٢.

[٢] انظر: التُّويريّ، نهاية الأرب في فُنون الأدب، السّفر العاشر، ص٢٢٢.

[٣] لا غَزوَ: لا عَجَبَ. لسان العرب، مادّة (غزا).

[٤] مُدمِنُ الخمر: الّذي لا يُقلع عن شُربها، أو مُداوم شُربها. لسان العرب: مادّة (دمن).

[٥] النّديم: المُنادم على الشّراب، والرّفيق والصّاحب. لسان العرب: مادّة (ندم).

[٦] الحواني: واحدتها الحانية، وهي موضع بيع الخَمر. لسان العرب: مادّة (حون).

[٧] رَهَنَهُ الشّيء: جعله رهناً عنده. والمَرْهن: مصدر ميميّ من الرّهن. لسان العرب: مادّة (رهن).

[٨] سَبأَ الخمرَ يَسبَؤها سَبأً واستَبأَها: اشتراها. لسان العرب: مادّة (سبأ). وقد جعل المُسابيء بمعنى النّديم، أو من يشرب مع غيره بماله. أُميّة بن أبي الصّلت، ديوان أُميّة بن أبي الصّلت، جمع وتحقيق ودراسة عبد الحفيظ السّطلي، شرح المُحقّق، الهامش الخامس، ص ص ٥٣٣- ٥٣٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أدلُّ عليَّ [١] الدّيكُ: إنّـي كما تـرى [٢] ... فأقبلْ على شأنـي [٣]، وهـاكَ رِدائيا

أَمِنتُكَ [٤] لا تلبـثْ مِـنَ الدّهرِ ساعةً ... ولا نصفَهـا، حـتّى تـؤوبَ مآبيـا [٥]

ولا تُدْرِكَنّـكَ [٦] الشّمسُ عندَ طُلوعِها ... فأغْلَـقَ فيهـنْ [٧] أوْ يطـولَ ثوائيـا [٨]

فـردَّ الغُـرابُ والرّداءُ يحـوزُهُ [٩] ... إلى الدّيـكِ وعـداً كاذِبـاً، وأمانيا

بأيّـةِ ذنـبٍ، أمْ بأيّـةِ حُجّـةٍ [١٠] ... أدَعْـكَ، فـلا تدعـو عليَّ ولا ليـا [١١]

فإنّي نَذَرْتُ [١٢] حِجّةً [١٣] لنْ أعوقَها [١٤] ... فـلا تَدْعُونّـي مَـرّةً مـن ورائيـا

---

[١] أدلّ عليه: وَثِقَ بمحبّته فأفرط عليه. لسان العرب: مادّة (دلل).

[٢] أي قال: إنّي كما ترى. أُميّة بن أبي الصّلت، ديوان أُميّة بن أبي الصّلت، جمع وتحقيق ودراسة عبد الحفيظ السّطلي، شرح المُحقّق، الهامش الأوّل، ص٥٣٤.

[٣] الشّأن: الخَطْب والأَمْر والحال، وجمعه شُؤون وشِئان. لسان العرب: مادّة (شأن).

[٤] آمنَ فُلانٌ العَدُوّ إيماناً، فأمِنَ يأمَنُ: وَثِقَ بِهِ واطمأنّ إليه. لسان العرب: مادّة (أمن).

[٥] آبَ يؤوبُ: رَجَع. والمآب: المَرْجِع. لسان العرب: مادّة (أوب).

[٦] أدركَ الشّيءَ: بلغ وقته وانتهى. لسان العرب: مادّة (درك).

[٧] غَلِقَ الرّهْنُ يَغْلَقُ غُلوقاً: إذا لم يُوجَد له تخلُّص وبقي في يد المُرتهن لا يقدر راهنه على تخليصه. وكان هذا من فعل الجاهليّة، أنّ الرّاهن إذا لم يُؤدّ ما عليه في الوقت المُعيّن، ملك المُرتهن الرّهن، فأبطله الإسلام. لسان العرب: مادّة (غلق).

[٨] الثّواء: طول المُقام. لسان العرب: مادّة (ثوا).

[٩] حُزْتُ الشّيء: أحرزته. لسان العرب: مادّة (حوز).

[١٠] الحُجّة: البُرهان والدّليل. لسان العرب: مادّة (حجج).

[١١] المعنى: بأيّة حُجّة أدّعيها، أم بأيّ ذنب جنيته، يُمكن أن أتركك في أسرك؟ فلا تدعو اللّه بشرٍّ عليّ، ولا بخير لي. أُميّة بن أبي الصّلت، ديوان أُميّة بن أبي الصّلت، جمع وتحقيق ودراسة عبد الحفيظ السّطلي، شرح المُحقّق، الهامش الثّالث، ص٥٣٥.

[١٢] نَذَرَ: أوجبَ على نفسه شيئاً تبرُّعاً من عبادة، أو صدقة، أو غير ذلك. لسان العرب: مادّة (نذر).

[١٣] الحِجّة: السّنة، لأنّ الحجّ يُقضى كلّ سنة. لسان العرب: مادّة (حجج). والحِجّة: المَرّة من الحَجّ، وهي شاذّة؛ لأنّ القياس بالفتح. أُميّة بن أبي الصّلت، ديوان أُميّة بن أبي الصّلت، جمع وتحقيق ودراسة عبد الحفيظ السّطلي، شرح المُحقّق، الهامش الرّابع، ص٥٣٥.

[١٤] لن أعوقها: لن أُصرَف عنها. لسان العرب: مادّة (عوق).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تطـيّرتُ[١] منهـــا، والدُّعـــاءُ يعوقُـني ... وَأَزمَعْـــتُ[٢] حَجّـاً أنْ أطـيرَ أماميـا

فـلا تيأسَنْ إنّـــي مـعَ الصُّبحِ باكِـرٌ[٣] ... أُوافي[٤] غـداً نحوَ الحجيـجِ الغواديـا[٥]

لِحـبِّ امرىءٍ فاكهتُـهُ[٦] قبـلَ حِجَّـتي ... وآثـرتُ عَمْـداً شأنـهُ قبـــلَ شانيـا

هنالكَ ظـنَّ الدّيـكُ إذْ زالَ زَوْلُـــهُ[٧] ... وطـالَ عليـــهِ الليـلُ أنْ لا مُفاديـا[٨]

فلمّـــا أضاءَ الصُّبحُ طـرّبَ[٩] صَرْخَـةً ... ألا يا غـــرابُ، هـــلْ سمعتَ ندائيا؟

علـى وُدِّهِ لـوْ كـــانَ ثـــمَّ مُجيبُـــهُ ... وكـانَ لـهُ نَدْمانُ[١٠] صدقٍ مُواتيا[١١]

وأمسى الغُرابُ يضربُ الأرضَ[١٢] كُلَّهـا ... عتيقاً[١٣]، وأضحى الدّيكُ في القِدِّ[١٤] عانيا[١٥]

---

(١) تَطَيَّرَ منه وبه: تشاءم. لسان العرب: مادّة (طير).

(٢) أزمع الأمر وبه وعليه: مضى فيه. لسان العرب: مادّة (زمع).

(٣) باكَرتُ الشّيءَ: بكّرتُ له. لسان العرب: مادّة (بكر).

(٤) أوافي: أبلغ. لسان العرب: مادّة (وفي).

(٥) الغَوادي: الذّاهبون غُدوة وغَداة: أي بُكرة (ما بين صلاة الغَدَاة وطُلوع الشّمس). لسان العرب: مادّة (غدا).

(٦) فاكَهَهُ: مازَحَهُ. لسان العرب: مادّة (فكه).

(٧) زالَ زَوْله: فارقَهُ شَخْصه من الذُّعر والفزع. لسان العرب: مادّة (زول).

(٨) فاداهُ يُفاديه مُفاداةً: أعطى فداءه وأنقذه. لسان العرب: مادّة (فدي).

(٩) طَرَّبَ الطّائرُ في صوته: رَجَّعَ صوتَهُ وزَيَّنَهُ. لسان العرب: مادّة (طرب).

(١٠) النَّدْمان: النّديم، وهو الرّفيق الّذي يُرافقك ويُشاربك. لسان العرب: مادّة (ندم).

(١١) آتاهُ على الأمر: طاوَعَهُ. والمُؤاتاة: حُسن المُطاوعة. لسان العرب: مادّة (أتي).

(١٢) ضَرَبَ في الأرض يَضْرِبُ ضَرْباً وضَرَباناً ومَضْرَباً: ذهب فيها. وقيل: سار في ابتغاء الرّزق. والطّير الضّوارب: الّتي تطلب الرّزق. لسان العرب: مادّة (ضرب).

(١٣) العتيق: الحُرّ الطّليق. لسان العرب: مادّة (عتق).

(١٤) القِدّ: السّير، يُقَدّ من جلد غير مدبوغ. لسان العرب: مادّة (قدد).

(١٥) العاني: الأسير. لسان العرب: مادّة (عنا).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فذلك ممّا أسهَبَ الخمـــرُ لُبَّهُ[١] ونادمَ نَدْماناً مِنَ الطّيرِ عادِيا[٢]"[٣]

وقد جاءت الرّواية الجاهليّة للحكايات الشّارحة، بسيطة البنية الفنّيّة، وحملت معها بعضاً من سمات المُجتمع الجاهليّ وعاداته.

٢. خُرافة الحيوان The Animals Fable

نشأ هذا النّوع من حكايات الحيوان، عن تطوُّر الحكاية الشّارحة، وتفاعُلها بالزّمن، بما يحمله من تقدُّم وعي الإنسان، ونُموّ معرفته، ونُضج فكره وفلسفته، وتطوُّر حياته، وإفادته من الخبرات السّابقة، مُنتقلاً بالحيوان من كونه محوراً يدور عليه تفسير الإنسان، وتسقط عليه مواقفه الأخلاقيّة ورُؤاه النّقديّة، إلى قناع أو رمز أدبيّ، يُوصل الإنسان من خلاله دُروسه الإصلاحيّة، ورُؤاه الفكريّة والنّقديّة.

وخُرافة الحيوان حكاية قصيرة قد تطول قليلاً، مجهولة المُؤلِّف غالباً، تُروى شعراً ونثراً، وتُوظِّف الحكاية مثلما تُوظِّف أقنعتها في خدمة الغاية والمغزى، فتتّخذ من الهزل أو اللهو[٤] – على حدّ تعبير ابن المُقفّع[٥](١٠٦- ١٤٢هـ= ٧٢٤- ٧٥٩م) – النّاشىء عن

---

[١] أسهبَ لُبَّهُ: أذْهَبَ عَقْلَهُ. لسان العرب: مادّة كُلّ من (سهب) و (لبب).

[٢] العادي: الظّالم والمُعتدي. لسان العرب: مادّة (عدا).

[٣] أُميّة بن أبي الصّلت، ديوان أُميّة بن أبي الصّلت، جمع وتحقيق ودراسة عبد الحفيظ السّطلي، ص ص٥٣٣- ٥٣٧.

[٤] انظر: بيدبا، كتاب كليلة ودمنة، نقله من الفهلويّة إلى العربيّة عبد اللّه بن المُقفّع، ط١، المكتبة الثّقافيّة، بيروت- لبنان، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م، باب عرض الكتاب، ص٨٥.

[٥] عبد اللّه بن المُقفّع والمُقفّع، والفتح أشهر: أصله من خُراسان، كان أديباً، فاضلاً، شاعراً، بارعاً في الفصاحة والبلاغة، مُتحقّقاً بنحو ولُغة، وكان أحد النّقلة من اللّسان الفارسيّ إلى العربيّ، مُضطلعاً باللُّغتين، فصيحاً بهما، وقد نقل عدّة كُتب من كُتب الفرس، منها كتاب: "كليلة ودمنة"، وكتاب "مزدك"، وكتاب "التّاج" في سيرة أنو شروان، وكتاب "الأدب الكبير"، وكتاب "الأدب الصّغير"، وكتاب "اليتيمة في المسائل". انظر في أخباره: النّديم، الفهرست، اعتنى بطبعته وعلّق عليه الشّيخ إبراهيم رمضان، ط١، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، ص١٥٠؛ صلاح الدّين الصّفديّ، الوافي بالوفيات، ج١٢، ص ص٣٢٥- ٣٢٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تقمُّص الحيوانات – أو النباتات والجمادات – أدوار الإنسان، وتحدُّثهم بمنطقه، وسيلة لبُلوغ الجدّ والحكمة، تُراهن فيها على إدهاش المُتلقّي، وإطلاق خياله، وتستثمر شغفه لسماع الحكايات.

ولقد تعدّدت المُصطلحات الّتي عُرفت بها هذه الحكاية، تعدُّد وظائفها المُتعالقة من نقد، ونُصح، وإصلاح، وتعليم، وإمتاع، تتّخذ لها ثوباً قصصيّاً رائقاً، يُنطق الحيوان، ويخلع عليه سمات إنسانيّة، فعُرفت بـ "الخُرافة الأخلاقيّة"[١]، أو "الخُرافة التّعليميّة"[٢]، أو "حكاية الحيوان التّهذيبيّة"[٣]، وعُرفت كذلك بـ "الأُمثولة الحيوانيّة"[٤]، ووُصفت بأنّها ضَرْب من الأدب الكِنائيّ، أو الرّمزيّ[٥]، أو الحكاية القِناع[٦]، ورُويت في الأدب العربيّ

---

[١] انظر: مُحمّد التّونجي، المُعجم المُفصّل في الأدب، ط١، دار الكُتب العلميّة، بيروت- لبنان، ١٩٩٣م، ج١، ص٣٩٥.

[٢] انظر: مُحمّد رجب النّجّار، التُّراث القصصيّ في الأدب العربيّ، مُقاربات سوسيو- سرديّة، المُجلّد الأوّل، ص١٠٤.

[٣] انظر: فوزي العنتيل، عالم الحكايات الشّعبيّة، ص ٤٨، ٥٧.

[٤] انظر: فريال جبّوري غزول، قصص الحيوان بين موروثنا الشّعبيّ وتُراثنا الفلسفيّ، مجلّة فُصول، المُجلّد الثّالث عشر، العددان: الثّاني والثّالث، القاهرة- مصر، ١٩٩٤م، ص١٣٦.

[٥] انظر: مُحمّد غنيمي هلال، الأدب المُقارن، ص١٨٠؛ ليلى سعد الدّين، كليلة ودمنة في الأدب العربيّ: دراسة مُقارنة، ط١، مكتبة الرّسالة، عمّان- الأُردنّ، [-١٩٧م]، ص١٤٩؛ مجدي وهبة، وكامل المُهندس، مُعجم المُصطلحات العربيّة في اللُّغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت- لبنان، ١٩٧٩م، ص٨٦؛ مُحمّد التّونجي، المُعجم المُفصّل في الأدب، ج١، ص٣٩٥، ج٢، ص ص٧٠٨- ٧٠٩؛ مُحمّد رجب النّجّار، التُّراث القصصيّ في الأدب العربيّ: مُقاربات سوسيو- سرديّة، المُجلّد الأوّل، ص١٠٦.

[٦] انظر: مُحمّد رجب النّجّار، التُّراث القصصيّ في الأدب العربيّ: مُقاربات سوسيو- سرديّة، المُجلّد الأوّل، ص ١٠٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تحت ما عُرف بـ "نوادر على لسان البهائم"[١]، أو بـ "نوادر تُحكى عن غير النّاس"[٢]. ولأنّ كثيراً منها في الأدب العربيّ، يقف وراء أمثال سارت وذاعت بين النّاس؛ فقد رُويت فيه، أيضاً، تحت ما عُرف بـ "الأمثال"[٣].

ولقد استطاعت هذه الحكاية بفضل أقنعتها، وانحرافها عن المُباشرة، التّفلّت من أيّة سُلطة، مهما كان نوعها، حتّى لو كانت سُلطة الطّبيعة البشريّة، الّتي تنفر من الوعظ والنُّصح، بما ينطويان عليه من استعلاء[٤]، مُتيحة لأصحابها مساحة أوسع للتّعبير، وأُفقاً أرحب للبوح، ينأيان بهم عن المُساءلة، والاتّهام، والرّفض.

وبفضل ما تحمله هذه الحكاية من مضامين إنسانيّة فكريّة، تنفتح على غير تأويل أو قراءة، وتنسحب على غير موقف قد يمرّ به الإنسان، ولما تمتّع به من بساطة بنيتها الفنّيّة، وسُهولة سردها وتذكُّرها، ومعرفة شُخوصها الحيوانيّة، فقد استطاعت أن تتحرّر من خُصوصيّة الزّمان، والمكان، واللُّغة، والمُعتقد[٥]، لتصل إلى الإنسان، من حيث هو إنسان،

---

[١] انظر: أبو سعد الآبيّ، نثر الدُّرّ، تحقيق مُنير مُحمّد المدني، مُراجعة حسين نصّار، ط١، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة- مصر، ١٩٩٠م، ج٧، الباب الرّابع عشر، ص٢٧٥.

[٢] انظر: الحُصْريّ، جمع الجواهر في المُلح والنّوادر، حقّقه وضبطه وفصل أبوابه ووضع فهارسه علي مُحمّد البجّاوي، دار الجيل، بيروت- لبنان، ١٩٨٧م، ص٣٣٦.

[٣] انظر: أبو سعد الآبيّ، نثر الدُّرّ، تحقيق مُنير مُحمّد المدني، مُراجعة حسين نصّار، ج٧، الباب الرّابع عشر، ص٢٧٥.

[٤] انظر: مُحمّد رجب النّجّار، التُّراث القصصيّ في الأدب العربيّ: مُقاربات سوسيو- سرديّة، المُجلّد الأوّل، ص١٦٠.

[٥] انظر: المرجع نفسه، المُجلّد الأوّل، ص١٠٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مما كان عُمره ومُستواه الاجتماعيّ، الأمر الّذي سهّل هجرتها بين الأُمم المُختلفة، وذُيوعها، وانتشارها، وأثار اختلافاً حول منشئها، وموطنها الأصليّ.

فمن الباحثين مَن ردّها إلى اليونان[١]، في القرن الثّامن قبل الميلاد، الّذين نقلوها إلى الرّومان، واستخدموها في كشف المظالم السّياسيّة والاجتماعيّة[٢]، واستشهدوا بها في المُرافعات القضائيّة[٣]. ومن أمثلتها حكايات الشّاعر اليونانيّ هيزيودس[٤] (القرن الثّامن قبل الميلاد)، وحكايات إيسوب[٥] اليونانيّ (القرنان: السّابع والسّادس قبل الميلاد)، وحكايات

---

[١] انظر: مُحمّد غنيمي هلال، الأدب المُقارن، ص١٨١؛ فوزي العنتيل، عالم الحكايات الشّعبيّة، ص٥٩.

[٢] انظر: مُحمّد رجب النّجّار، التُّراث القصصيّ في الأدب العربيّ: مُقاربات سوسيو- سرديّة، المُجلّد الأوّل، ص١٠٥.

[٣] انظر: أرسطو طاليس، الخطابة: التّرجمة العربيّة القديمة، حقّقه وعلّق عليه عبد الرّحمن بدوي، ط١، مكتبة النّهضة المصريّة، القاهرة- مصر، ١٩٥٩م، ص١٤٨؛ ابن رُشد، تلخيص الخطابة، حقّقه وقدّم له عبد الرّحمن بدوي، ط١، مكتبة النّهضة المصريّة، القاهرة- مصر، ١٩٦٠م، ص ص٢١١- ٢١٥.

[٤] هيزيودس Hesiod: شاعر يونانيّ، يُعرف بأبي الشّعر اليونانيّ التّعليميّ، كان لظُروف حياته، والظُّلم الّذي عاشه، أثر كبير في حياته الأدبيّة، وتوجيهها شطر الإرشاد والتّعليم. من أشهر أعماله الشّعريّة قصيدة: (الأعمال والأيّام)، وتتألّف من حكم، وعظات، وقواعد خُلُقيّة. وقد تركت هذه القصيدة أثراً كبيراً في النّاس على اختلافهم، وأثّرت بلاغتها في نُفوس كثير من المُثقّفين؛ فاعتنقوا مبادئه، واسترشدوا بهديه. قيل: إنّه قُتل غيلة، ورُميت جُثّته في البحر. انظر: علي عبد الواحد وافي، الأدب اليونانيّ القديم ودلالته على عقائد اليونان ونظامهم الاجتماعيّ، ط١، دار المعارف، مصر، ١٩٦١م، ص ص٩٠- ٩٣.

[٥] إيسوب Aesop (٦٢٠- ٥٦٤ ق.م): شخصيّة غامضة يقترن اسمها بأشهر مجموعة من الخُرافات في العالم. ويُستنتج من الرّوايات الخاصّة بسيرته، على قلّتها، أنّه كان عبداً لسيّدين مُتعاقبين في ساموس – جزيرة يونانيّة تقع في جنوب بحر إيجه - أعتقه الثّاني، ويُدعى إيادمون؛ إعجاباً بذكائه، وسُرعة خاطره.

ويروي المُؤرّخ اليونانيّ بلوتارخوس (نحو ٥٠- ١٢٥م)، في مقاله عن الحُكماء السّبعة، أنّ أيسوب كان ضيفاً على كرويزوس (٥٦٠- ٥٤٦ق.م) -آخر مُلوك ليديا- في ساردِيس، مع حُكماء اليونان السّبعة. ولم يكتف كرويزوس بالثّناء عليه، وتفضيله=

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشّاعر اللاتينيّ هوراس[١] (٦٥- ٨ ق.م) في رسائله وهجائه السّاخر، وحكايات الشّاعر اللاتينيّ فايدروس[٢] (٣٠ق.م- ٤٤م)، الّتي حاكى فيها حكايات إيسوب، مُعبِّراً عن مظالم

=عليهم، ولكنّه ألحّ عليه أن يبقى لمُعاونته في حلّ كثير من المُشكلات الّتي تُواجهه. وأرسله بعد ذلك إلى دِلفي؛ ليُوزّع مبلغاً كبيراً من المال على المُواطنين هناك، فوجدهم فريسة الخُصومات، فأبى أن يُعطيهم شيئاً، وقال: "إنّهم لا يستحقّون ذلك المال"، فما كان منهم إلاّ أن قذفوا به من فوق صخرة عالية، فاجتاح الوباء مدينتهم، فأعلنوا عن رغبتهم في تقديم مبلغ كبير من المال؛ تكفيراً عن خطيئتهم بقتل إيسوب. فذهب إيادمون إلى دلفي، وتسلّم تلك الفدية. انظر: عبد الحميد يونس، مُعجم الفولكلور، ط١، مكتبة لبنان، بيروت- لبنان، ١٩٨٣م، ص ص٧٣- ٨٤؛ مجموعة من المُؤلّفين، المُنجد في اللُغة والأعلام، ط٢٧، دار المشرق، بيروت- لبنان، ١٩٨٤م، ص١٤٢، ٣٤٦.

[١] هوراس Horace: أبعد أُدباء اللاتين صوتاً، وأسرعهم بين القُرّاء سيرورة، وأكثرهم عند المُحدثين إغراء بالتّرجمة والاقتباس. وُلد من أب عبد اشتغل بجباية الضّرائب، فجمع منها مالاً قليلاً، أنفقه على تعليم ابنه في روما، ومن ثمّ في اليونان، ولمّا مات والده وجد هوراس نفسه في فقر مُدقع، فأخذ يعمل ليكسب قوته، ويقرض الشّعر في أوقات الفراغ، فاستوقف شعره الجميل نظر فرجيل (٧١- ١٩ق.م) – أعظم شُعراء روما - فقدّمه إلى ميسناس، وكان ميسناس هذا صديقاً لأوغسطس – ابن قيصر بالتّبنّي، وحاكم روما – وكان يُشجّع الفنّ بماله الكثير؛ فمنحه مزرعة، أتاحت له أن يُنفق بقيّة عُمره في عيش رغيد، وينصرف إلى الشّعر. أوّل آثاره الأدبيّة: كتابان أسماهما: "سُخريات"، سخر فيهما من العُظماء، وساق من حياة عصره أمثلة تبعث على الضّحك؛ لأنّها تُصوّر نقائض الإنسان. ثُمّ كتب "الأناشيد"، فـ "الأغاني"، الّتي كانت سبباً من أسباب شُهرته، وجعله في طليعة شُعراء العالم. انظر: أحمد أمين، وزكي نجيب محمود، قصّة الأدب في العالم، ط١، مكتبة النّهضة المصريّة، القاهرة- مصر، ١٩٥٥م، ج١، ص ص٢٩٣- ٢٩٧؛ مجموعة من المُؤلّفين، المُنجد في اللُغة والأعلام، ص٩٦.

[٢] فايدروسPhaedrus : عاش عبداً، ولكنّه تلقّى تعليماً جيّداً. والغريب أنّه قلّما يُذكر في كتابات المُؤلّفين الرّومان، وهم يتحدّثون عن فنّ الرّواية أو القصّة، على الرّغم من أنّه أوّل كاتب بين الرّومان والإغريق يجمع مجموعة من القصص القديمة، من بينها بعض خُرافات الحيوان، ويُقدّمها فنّاً أدبيّاً مُستقلاً بذاته، ويطبعها بطابعه الشّخصيّ اللطيف، فقد كان إنساناً رقيق الحاشية، كثير الشّكاية، يكشف في مُقدّمات قصصه عن مكنون آماله وآلامه، وتتضمّن قصصه شيئاً من الرّوح الهجائيّة، والنّقد الاجتماعيّ الّذي لا يمكن وصفه بأنّه لطيف أو رقيق. انظر: أحمد عُثمان، الأدب اللاتينيّ ودوره الحضاريّ: العصر الفضّيّ، ط١، إنجيبتوس للنّشر والتّوزيع، القاهرة- مصر، ١٩٩٠م، ص ص١٨٥- ١٨٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحياة السّياسيّة والاجتماعيّة زمن الإمبراطورين: تيبيريوس[١] (١٤- ٣٧م)، وكاليجولا[٢] (٣٧- ٤١م)[٣].

ومن الباحثين من جعل موطن الخُرافة الأصليّ هو الهند[٤]؛ فقد استُخدمت بعض الخُرافات الهنديّة في بثّ التّعاليم الدّينيّة؛ كما هي الحال في بعض خُرافات كتاب "جاتاكا"[٥]

---

[١] تيبيريوس Tiberius: إمبراطور رومانيّ، سلك في الحُكم سبيل التّعقُّل مُدّة، ثُمّ أطلق العنان لنزواته وشهواته. انظر: مُنير البعلبكيّ، المورد، ط٢٠، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، ١٩٨٦م، الجُزء الخاصّ بالأعلام، ص٨٣.

[٢] كاليجولا أو كاليغولا Caligula: إمبراطور رومانيّ، حفيد تيبيريوس بالتّبنّي، اشتُهر بجنونه وفظائعه؛ فقد أراد أن يجعل من حصانه قُنصلاً، وعُرف بسياسته الاستبداديّة، اغتاله الحرس. انظر: مجموعة من المُؤلّفين، المُنجد في اللُّغة والأعلام، ص٥٨١؛ مُنير البعلبكيّ، المورد، الجُزء الخاصّ بالأعلام، ص١٥.

[٣] انظر: مُحمّد غنيمي هلال، الأدب المُقارن، ص١٨٨؛ فوزي العنتيل، عالم الحكايات الشّعبيّة، ص٥٩.

[٤] انظر: مُحمّد غنيمي هلال، الأدب المُقارن، ص ص١٨١- ١٨٢؛ فوزي العنتيل، عالم الحكايات الشّعبيّة، ص٥٩؛ داود سلّوم، دراسات في الأدب المُقارن التّطبيقيّ، ط١، دار الشُّؤون للثّقافة العامّة، بغداد- العراق، ١٩٨٤م، ص ص١٦٨- ١٦٩.

[٥] كتاب جاتاكا Jatakas /"قصص عن مولد بوذا": قصص مليئة بالفُكاهة، والحكمة العمليّة، والشّواهد المُنتزعة من الحياة الشّعبيّة في صميمها، تُصوّر الهند القديمة في أسواقها، وقوافلها، ومزارعها، ومعسكراتها، ومصانعها، ومعابدها. وهي مكتوبة بإحدى لهجات الهندوس، الأمر الّذي جعلها مجهولة، محصورة، لم تجد من يترجمها إلى اللُّغات الأوروبيّة الحديثة إلاّ في العصر الحديث. انظر: أحمد أمين، وزكي نجيب محمود، قصّة الأدب في العالم، ج١، ص ص٦٣- ٦٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المُقدّس، الّذي يحكي تاريخ تناسخ بوذا[١] (نحو٥٦٦- ٤٨٦ ق.م) في أنواع من الموجودات، قبل وُجوده الأخير مُؤسّساً للدّيانة البوذيّة[٢].

في حين أرجع آخرون الخُرافة إلى أُصول مصريّة فرعونيّة، تُردّ إلى القرن الثّاني عشر قبل الميلاد، وُجدت على أوراق البردي[٣]، وعلى جُدران المعابد، واستُخدمت لغايات سياسيّة وتربويّة[٤]. قد تكون هذه الخُرافات المصريّة، أثّرت في نشأة الخُرافات في كُلّ من الأدبيْن: اليونانيّ، والهنديّ[٥].

---

[١] بوذا Buddha Gautama: اسمه جوتاما، وُلد في بلد قريب من "بنارس" – مدينة في شرقي الهند على نهر الغانج، من مُدن الهندوس المُقدّسة - بين القرنيْن السّادس والخامس قبل الميلاد، وكان من الأُسرة الحاكمة، غنيّاً، جميلاً. أنفق كثيراً من وقته في صغره في التّفكير والتّأمُّل، ولم يكد يبلغ التّاسعة والعشرين حتّى اتّجه إلى العُزلة، ووجد فيما بعد أنّ خلاص النّفس من شقائها وخطيئتها في أن يُحبّ الإنسان كُلّ شيء حُبّاً لا يرجو من ورائه غاية غير الحُبّ؛ ليقترب من نعيم النّرڤانا، والنّرڤانا هي حالة روحيّة، تسمو بالإنسان عن الغايات التّافهة الّتي تهبط بالحياة، وتملؤها بالهمّ والشّقاء، وهذا الفناء الذّاتيّ هو لُبّ البوذيّة وصميمها.

ولمّا مات بوذا، أخذ أتباعه ينشرون أقواله عن طريق الرّواية، ولم تُدوّن إلاّ بعد ذلك بأعوام طوال. ومع أنّ بوذا هنديّ الأصل، فإنّ مذهب البوذيّة في الهند قليل نسبيّاً، وأمّا الكثرة الغالبة من البوذيّين، فمن أهل اليابان والصّين. انظر: أحمد أمين، وزكي نجيب محمود، قصّة الأدب في العالم، ج١، ص ص٥٦- ٦١.

[٢] انظر: مُحمّد غنيمي هلال، الأدب المُقارن، ص ص١٨١- ١٨٢؛ ليلى سعد الدّين، كليلة ودمنة في الأدب العربيّ: دراسة مُقارنة، ص١٥٠؛ مُحمّد رجب النّجّار، التُّراث القصصيّ في الأدب العربيّ: مُقاربات سوسيو- سرديّة، المُجلّد الأوّل، ص١٠٥.

[٣] انظر: مُحمّد غنيمي هلال، الأدب المُقارن، ص١٨٢؛ فوزي العنتيل، عالم الحكايات الشّعبيّة، ص٥٩؛ ليلى سعد الدّين، كليلة ودمنة في الأدب العربيّ: دراسة مُقارنة، ص١٥٠.

[٤] انظر: مُحمّد رجب النّجّار، التُّراث القصصيّ في الأدب العربيّ: مُقاربات سوسيو- سرديّة، المُجلّد الأوّل، ص١٠٥.

[٥] انظر: مُحمّد غنيمي هلال، الأدب المُقارن، ص١٨٢؛ فوزي العنتيل، عالم الحكايات الشّعبيّة، ص٥٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومنهم من جعل أقدم نماذج الخُرافة ما ورد في العهد القديم بعنوان: "الأشجار والعَوْسَج[١]"، وقد سرد هذه الخُرافة يوثام[٢]، حين كان يُخاطب شعب أورشليم في قضيّة تنصيب ملك عليهم، وهو واقف على جبل جِرْزيم[٣]، المُشرف على

---

[١] العَوْسج: شجر من شجر الشّوك، وله ثمر أحمر مُدوّر كأنّه خرز العقيق. وقيل: هو شجر كثير الشّوك، منه ما يثمر ثمراً أحمر، يُقال له المُقنّع، فيه حُموضة. لسان العرب: مادّة (عسج).

[٢] يوثام: الابن الأصغر ليَرّبَعْل جِدْعون (حوالي القرن الثّاني عشر قبل الميلاد) - أحد قُضاة بني إسرائيل، ومُنقذهم من يد مِدْيان/ قبائل المديانيّين، الّذين غزوا سهل عزريلون - جاء في الإصحاح التّاسع من سفر القضاة في العهد القديم ما يلي: "فاجتمع جميع أهل شكيم وكُلّ سُكّان القلعة، وذهبوا، وجعلوا أبيمالك ملكاً عند بلّوطة النّصب الّذي في شكيم، وأخبروا يُوثام، فذهب، ووقف على رأس جبل جِرْزيم، ورفع صوته ونادى، وقال لهم: "اسمعوا لي يا أهل شكيم، يسمع لكم اللّه. مرّة ذهبت الأشجار لتمسح عليها مَلِكاً. فقالت للزّيتونة: املكي علينا. فقالت لها الزّيتونة: أأترك دُهني الّذي به يُكرّمون بي اللّه والنّاس، وأذهب لكي أملِك على الأشجار؟ ثُمّ قالت الأشجارُ للتّينة: تعالي أنتِ واملكي علينا. فقالت لها التّينة: أأترك حلاوتي وثمري الطّيّب، وأذهب لكي أملِك على الأشجار؟ فقالت الأشجار للكرمة: تعالي أنت واملكي علينا. فقالت لها الكرمة: أأترك مِسطاري الّذي يُفرّح اللّه والنّاس، وأذهب لكي أملِك على الأشجار؟ ثُمّ قالت جميع الأشجار للعوسج: تعال أنت واملِك علينا. فقال العَوْسجُ للأشجار: إن كُنتُم بالحقّ تمسحونني عليكم مَلِكاً؛ فتعالوا، واحتموا تحت ظِلّي، وإلاّ فتخرج نارٌ من العوسج وتأكل أرز لبنان، فالآن، إن كُنتم قد عملتم بالحقّ والصّحّة؛ إذ جعلتم أبيمالك مَلِكاً، وإن كُنتم قد فعلتم خيراً مع يَرُبّعَل ومع بيته، وإن كُنتم قد فعلتم له حسب عمل يديْه، لأنّ أبي قد حارب عنكم، وخاطر بنفسه، وأنقذكُم من يد مِدْيانَ، وأنتم قد قُمتم اليوم على بيت أبي، وقتلتم بنيه سبعين رجلاً على حَجَرٍ واحد، وملّكتم أبيمالك، ابن أمتِه، على أهل شكيم؛ لأنّه أخوكم، فإن كنتم قد عملتم بالحقّ والصّحّة مع يَرُبّعَل ومع بيته في هذا اليوم، فافرحوا أنتم بأبيمالك، وليفرح هو أيضاً بكم، وإلاّ فتخرُج نارٌ من أبيمالك، وتأكل أهل شكيم وسُكّان القلعة، وتخرج نارٌ من أهل شكيم ومن سُكّان القلعة، وتأكل أبيمالك". ثُمّ هرب يوثام، وفرّ، وذهب إلى بئر، وأقام هناك من وجه أبيمالك أخيه". انظر: الكتاب المُقدّس، العهد القديم، سِفر القضاة، الإصحاحان الثّامن والتّاسع.

[٣] جِرْزيم أو كِرْزيم، وورد في مُعجم البُلدان لياقوت الحَمَويّ كزيرم: أحد جبلي نابلس في فلسطين، شيّد فوقه السّامريّون هيكلاً يُغنيهم عن هيكل أورشليم في القرن الرّابع قبل الميلاد، وهم يقولون: إنّ لفظ اسمه عبرانيّ، ويعني الفرائض؛ أي جبل الفرائض الّذي يُؤدّون فرائضهم عليه. ويُسمّى جبل "الطّور"، والجبل القبليّ. وهو جبل مُقدّس عندهم؛ لأنّهم يدّعون أنّه الموضع الّذي أراد إبراهيم – عليه السّلام – ذبح ولده إسحق –عليه=

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الميلاد، يظهر كُلّ من الأدب اليونانيّ والهنديّ والأشوريّ[١]، ويتأخّر مجيء الأدب العبريّ حتّى القرن السّادس قبل الميلاد[٢].

وقد أثّر الأدب العراقيّ في نشأة الخُرافة عند الحكيم أحيقار الآراميّ[٣] في القرن السّابع قبل الميلاد[٤]، الّذي يرى بعضهم أنّه هو لُقمان الحكيم[٥]، الّذي سبق إيسوب

---

[١] الأشوريّون: شعب ساميّ، استوطن في الألف الثّاني قبل الميلاد، بلاداً قديمة في شمالي ما بين النّهرين، وأنشأ فيها دولة ازدهرت في القرن الرّابع عشر قبل الميلاد، فبسطت سيادتها على سائر بلاد ما بين النّهرين، ثُمّ امتدّت إلى سائر بُلدان الشّرق، وكانت لها إمبراطوريّة واسعة. انظر: مجموعة من المؤلّفين، المُنجد في اللّغة والأعلام، ص٤٩.

[٢] انظر: داود سلّوم، الأدب العربيّ في تُراث العالم، ط٢، دار الشُّؤون للثّقافة العامّة، بغداد- العراق، ١٩٨٧م، ص٤٣.

[٣] الحكيم أحيقار Ahiqar: عُرف في القرن السّابع قبل الميلاد، زمن الملكين الأشوريّين: سنحاريب (٧٧٤-٦٨١ق.م) وأسرحدّون (٦٨٠- ٦٦٩ ق.م)، وكان كاتباً شهيراً، وحكيماً آراميّ الأصل، وقد شغل منصب وزير مال في بلاط نينوى، وقد أُشير في لائحة تاريخيّة لأشور، اكتُشفت في السّتّينات، أنّه "خلال حُكم أسرحدّون، فالحكيم كان (آبا – نينّو – داري)، الّذي يُسمّيه الآراميّون أحيقار". وقد عُرف أحيقار بحكمته، الّتي احتوت على غير نموذج من حكايات الحيوان، وبقصّة حياته الّتي رواها بنفسه، إذ فَقَدَ حظوته ظُلماً وخيانة، بعد أن كان في أوج عزّه في البلاط الملكيّ.

انظر: قاسم الشّوّاف، ديوان الأساطير: سومر وآكّاد وأشور، قدّم له وأشرف عليه أدونيس، ط١، دار السّاقي، بيروت- لبنان، ١٩٩٩م، الكتاب الثّالث: الحضارة والسُّلطة، ص٣٦٢.

[٤] انظر: داود سلّوم، دراسات في الأدب المُقارن التّطبيقيّ، ص ص١٧٠- ١٧٣؛ طه باقر، مُقدّمة في أدب العراق القديم، ط١، كُلّيّة الآداب، جامعة بغداد، بغداد- العراق، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م، ص ص٣٢- ٣٣.

[٥] قيل: هو لُقمان بن باعور بن ناحور بن تارخ، وهو آزر أبو إبراهيم عليه السّلام. وقيل: كان لُقمان ابن أخت أيّوب عليه السّلام. وقيل: بل ابن خالة أيّوب. وقيل: كان قاضي بني إسرائيل. وقال آخرون: كان عبداً أسود، عظيم الشّفتين، مُشقّق القدمين. وقيل: إنّه كان نجّاراً، وقيل: كان خيّاطاً، وقيل: كان راعياً. واتّفق مُعظم العُلماء أنّه كان حكيماً، ولم يكن نبيّاً. وقال بعضهم: خُيّر لُقمان بين النّبوّة والحِكمة، فاختار الحِكمة.

انظر في أخباره: الثّعلبي، قصص الأنبياء المُسمّى عرائس المجالس، تحقيق مُحمّد سيّد، ط١، دار الفجر للتُّراث، القاهرة- مصر، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ص ص٤٧٢- ٤٧٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اليونانيّ[١]، كما أثّر في نشأة الخُرافة في كُلّ من الأدب السّومريّ[٢]، والبابليّ[٣]، والأشوريّ[٤]، وانتقالها إلى الآداب الشّرقيّة القديمة، والآداب الأوروبيّة[٥].

وقد كانت لعرب الجاهليّة خُرافاتهم الموضوعة في العصر الجاهليّ[٦]، ومن أمثلتها حكاية المثل العربيّ: "هذا أجلُّ من الحَرْش"، وتحكي "أنّ الضّبّ[٧] قال لابنه: إذا سمعت صَوْت الحَرْش، فلا تخرجنّ- ذلك أنّهم يزعمون أنّ الحَرْش تحريك اليد عند جُحْر الضّبّ؛ ليخرجَ إذا ظنّ أنّه حيّة- قال: وسمع ابنه صوت الحَفْر، فقال: يا أبت، هذا الحَرْش؟ قال: يا بُنيّ هذا أجلُّ من الحَرْش! فأرسلها مثلاً"[٨].

واتّسمت خُرافات هذا النّوع ببساطة بنيتها الفنّيّة، وبإيجازها الّذي قد يكون ذا صلة بمفهوم الزّمن لدى الجاهليّ: زمن البداوة والتّرحال[٩].

---

[١] انظر: شوقي عبد الحكيم، الحكايات الشّعبيّة العربيّة: دراسة ميدانيّة مُزوّدة بالنّماذج، ص١٠٧، ١٠٩.

[٢] السّومريّون: شعب غير ساميّ، استوطن بلاد سومر في جنوبي العراق، مُنتصف الألف الرّابع قبل الميلاد، وأسّس حضارة رفيعة، امتدّ أثرها امتداداً كبيراً. مجموعة من المؤلّفين، المُنجد في اللُّغة والأعلام، ص٣٧٣.

[٣] البابليّون: شعب أنشأ حضارة حول مدينة بابل في أواسط ما بين النّهرين، في أوائل الألف الثّاني قبل الميلاد، ازدهرت على مرحلتين، مُتعاقبتين زمنيّاً. انظر: مجموعة من المؤلّفين، المُنجد في اللُّغة والأعلام، ص١٠٦.

[٤] انظر: داود سلّوم، دراسات في الأدب المُقارن التّطبيقيّ، ص ص١٧٢- ١٧٣.

[٥] انظر: داود سلّوم، قصص الحيوان في الأدب العربيّ القديم، ط١، عالم الكُتب، بيروت- لبنان، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، ص ص٣٢- ٣٣.

[٦] انظر: إحسان عبّاس، ملامح يونانيّة في الأدب العربيّ، ص٨٢.

[٧] الضّبّ: دُوَيبّة من الحشرات، يُشبه الوَزَل (دابّة على خِلقة الضّبّ إلاّ أنّه أعظم منه)، والجمع أَضُبّ، وضِباب، وضُبّان. لسان العرب: مادّة كُلّ من (ضبب) و (ورل).

[٨] الجاحظ، الحيوان، تحقيق وشرح عبد السّلام مُحمّد هارون، ج٤، ص ١٦٥. وانظر: ابن قُتيبة، المعاني الكبير في أبيات المعاني، المُجلّد الثّاني، ص٦٤٣؛ المُفضّل بن سلمة، الفاخر، تحقيق شالس أنبروس استوري الإنجليزيّ، ط٢، دار الفرجاني، مصر الجديدة- القاهرة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص ص١٨٢- ١٨٣، ص ٢٦٣.

[٩] انظر: مُحمّد توفيق أبو علي، الأمثال العربيّة والعصر الجاهليّ: دراسة تحليليّة، ط١، دار التّفائس للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت- لبنان، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص٩٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما كانت لعرب الجاهليّة خُرافات اشتركوا في معرفتها وتوظيفها مع الأُمم والحضارات الأُخرى، بما فيها الحضارة العراقيّة القديمة، وإن أخضعوا شيئاً من روايتها لمُعطيات بيئتهم وعادات مُجتمعهم، فغيّروا فيها بما يُلائمها. ومن أمثلتها: خُرافة "الحيّة والفأس"، أو خُرافة "ذات الصّفا"، وهي خُرافة معروفة في كُلّ من التُّراث الهنديّ، واليونانيّ، والرّومانيّ، والعربيّ[١]. وفيها قيل المثل العربيّ: "كيف أُعاودك[٢] وهذا أثر فأسك؟"، فقد جعلت الرّواية العربيّة المقتول فيها أخاً لا ابناً، كما في الرّوايات غير العربيّة، ليتواءم مع النّسبة الكُبرى من قصائد الرّثاء في العصر الجاهليّ[٣].

وقد روى لنا النّابغة الذُّبيانيّ[٤] (...- نحو ١٨ق. هـ= ...- نحو ٦٠٤م) هذه الخُرافة شعراً، مُستشهداً بها في عتابه لآل مُرّة[٥] بعد تواطئهم عليه وعلى قومه،

---

[١] انظر: عبد المجيد عابدين، الأمثال في النّثر العربيّ القديم مع مُقارنتها بنظائرها في الآداب السّاميّة الأُخرى، ط١، مكتبة مصر، القاهرة- مصر، ١٩٥٦م، ص٤٣؛ مُحمّد رجب النّجّار، التُّراث القصصيّ في الأدب العربيّ: مُقاربات سوسيو- سرديّة، المُجلّد الأوّل، ص١٠٦.

[٢] اسْتَعَدْتُه الشّيء فأعاده: إذا سألته أن يفعله ثانية. والمُعاودة: الرّجوع إلى الأمر الأوّل. لسان العرب: مادّة (عود).

[٣] انظر: إحسان عبّاس، ملامح يونانيّة في الأدب العربيّ، ص ص٨٥- ٨٦.

[٤] زياد بن مُعاوية بن ضباب الذُّبيانيّ الغطفانيّ المُضريّ، أبو أُمامة، أو أبو ثُمامة: شاعر جاهليّ، في الطّبقة الأولى من فُحول الشُّعراء الجاهليّين، كان مع النُّعمان بن المُنذر، ومع أبيه وجدّه، وكانوا له مُكرمين، يُفضّله أهل الحجاز. قال من احتجّ له: إنّه كان أحسن الشُّعراء ديباجة شعر، وأكثرهم رونق كلام، وأجزلهم بيتاً، كأنّ شعره كلام ليس فيه تكلُّف. وذكر أهل الرّواية أنّه إنّما لُقّب بالنّابغة لقوله: (فقد نَبَغَتْ لهم منّا شُؤون). انظر: الجُمحيّ، طبقات فُحول الشُّعراء، قرأه وشرحه محمود مُحمّد شاكر، السّفر الأوّل، ص ص ٥١- ٥٢، ص٥٤، ص ص٥٦- ٦٠، ٦٧- ٦٨؛ ابن قُتيبة، الشّعر والشُّعراء، تحقيق وشرح أحمد مُحمّد شاكر، ج١، ص ص١٥٦- ١٧١؛ أبو الفرج الأصبهانيّ، الأغاني، أشرفت على ضبطه وتصحيحه لجنة من الأدباء والمُدرّسين، ط١، منشورات دار الفكر- دار مكتبة الحياة، بيروت- لبنان، ١٩٥٥م، المُجلّد التّاسع، ص ص٣٢٨- ٣٥٧.

[٥] بنو مُرّة بطن من بني ذُبيان، فيهم العدد والشّرف. انظر: السّويديّ، سبائك الذّهب في معرفة قبائل العرب. ط١، دار الكُتب العلميّة، بيروت- لبنان، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص٢١٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي عتابه لقومه لاجتماعهم عليه، مع طلبه حوائجهم عند المُلوك[١]. وروت لنا هذه الخُرافة بعض مصادر التُّراث العربيّ[٢]، بدءاً بكُتب الأمثال[٣]، فحظيت بصور مُختلفة في الرّواية، وإن احتفظت بالمضمون نفسه.

يقول النّابغة الذُّبيانيّ:

"وإنّي لألقى مـــنْ ذوي الضِّغْـنِ منهـمُ[٤] وما أصبحتْ تشكو مِنَ الوَجْدِ[٥] سَاهِرة[٦]

كمـا لَقِيَـتْ ذاتُ الصَّفـا[٧] مِـنْ حليفهـا[٨] وما انفكّتِ[٩] الأمثالُ في النّاسِ سائرة[١٠]

---

[١] انظر: النّابغة الذُّبيانيّ، ديوان النّابغة الذُّبيانيّ، تحقيق مُحمّد أبي الفضل إبراهيم، ط١، دار المعارف، القاهرة- مصر، ١٩٧٧م، ص١٥٣.

[٢] انظر: المسعوديّ، مُروج الذّهب ومعادن الجوهر، تحقيق مُحمّد مُحيي الدّين عبد الحميد، ط٣، مطبعة السّعادة، مصر، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م، ج٣، ص١٢٨؛ أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الغُفران ومعها نصّ مُحقّق من رسالة ابن القارح، تحقيق وشرح عائشة عبد الرّحمن (بنت الشّاطىء)، ط١٠، دار المعارف، القاهرة- مصر، مُحرّم ١٣٩٧هـ/ يناير ١٩٧٧م، ص ص٣٦٤- ٣٦٥.

[٣] انظر: المُفضّل الضّبّيّ، أمثال العرب، تقديم وتعليق إحسان عبّاس، ط١، دار الرّائد العربيّ، بيروت- لبنان، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص ص١٧٧- ١٧٨؛ الميدانيّ، مجمع الأمثال، حقّقه وفصله وضبط غرائبه وعلّق حواشيه مُحمّد مُحيي الدّين عبد الحميد، ط١، مطبعة السُّنّة المُحمّديّة، القاهرة- مصر، ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م، ج٢، ص ص١٤٥- ١٤٦.

[٤] ذوو الضِّغْن والضَّغْن منهم: أهل الحقد والعداوة. لسان العرب: مادّة (ضغن).

[٥] الوَجْد: شدّة الحُبّ. لسان العرب: مادّة (وجد).

[٦] ساهرة: امرأة سهرتْ لما بها من الوَجْد. النّابغة الذُّبيانيّ، ديوان النّابغة الذُّبيانيّ، تحقيق مُحمّد أبي الفضل إبراهيم، شرح المُحقّق، الهامش السّادس، ص١٥٤.

[٧] الصّفا: العريض من الحجارة، الأملس. لسان العرب: مادّة (صفا). وذات الصّفا: الحيّة الّتي يتحدّث عنها العرب. النّابغة الذُّبيانيّ، ديوان النّابغة الذُّبيانيّ، تحقيق مُحمّد أبي الفضل إبراهيم، شرح المُحقّق، الهامش السّابع، ص١٥٤.

[٨] الحليف: المحالف. والحِلْف: المعاقدة والمعاهدة على التّعاضُد والتّساعُد والاتّفاق. لسان العرب: مادّة (حلف).

[٩] ما انفكّت: ما زالت. لسان العرب: مادّة (فكك).

[١٠] سائرة: شائعة. لسان العرب مادّة (سير).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقالتْ لـــهُ: أدعـــوكَ للعَقْـلِ[١] وافيـاً ولا تغشَيـنّي[٢] منكَ بالظُّلـمِ بَـــادِرة[٣]
فواثقَهـــا[٤] باللّـــهِ حـــينَ تراضَيـا فكانـتْ تديـهِ[٥] المالَ غِبّاً[٦] وظاهِرة[٧]
فلمّـــا توفّـــى[٨] العَقْـــلَ إلاّ أقلّـهُ وجـارَتْ[٩] بـــهِ نفسٌ عـنِ الحقِّ جائِرة
تذكّـــرَ أنّـــى يجعـلُ اللّهُ جُنّـةً[١٠] فَيُصْبِـحَ ذا مـالٍ وَيَقْتُـــلَ واتِـره[١١]
فلمّـــا رأى أنْ ثَمّـــرَ[١٢] اللّـهُ مالَـهُ وأثّـلَ موجـــوداً[١٣]، وسـدَّ مفاقِـرَه[١]

---

[١] العَقْل: الدّية. لسان العرب: مادة (عقل).

[٢] تغشيني: تصيبني. لسان العرب: مادّة (غشا).

[٣] البادِرة: الحِدّة، أو ما يبدر من الرّجل عند غضبه. لسان العرب: مادّة (بدر).

[٤] واثَقَهُ وِثاقاً ومُواثقة: عاهَدَهُ. لسان العرب: مادّة (وثق).

[٥] وَدَيْتُ القتيلَ أديهِ دِيةً: إذا أعطيتُ دِيَتَهُ؛ أي حقّه. لسان العرب: مادّة (ودي).

[٦] الغِبّ من وِرد الماء: وِرد يوم وظمأ يوم. لسان العرب: مادّة (غبب). وهو هُنا: أن تفعل شيئاً يوماً وتتركه آخر.

[٧] الظّاهرة من وِرْد الماء: أن ترد الإبل نصف النّهار في كُلّ يوم. لسان العرب: مادة (ظهر). وهي هنا بمعنى: كُلّ يوم.

[٨] توفّاه واستوفاه: لم يدع منه شيئاً. لسان العرب: مادّة (وفي).

[٩] جارَت: عدلت ومالت. لسان العرب: مادّة (جور).

[١٠] الجُنّة: السُّترة. لسان العرب: مادّة (جنن). أيْ كيف يجعل حلفه باللّه سُترة، حتّى يُمكّنه من قتل الحيّة الّتي قتلت أخاه؟ النّابغة الذُّبيانيّ، ديوان النّابغة الذُّبيانيّ، تحقيق مُحمّد أبي الفضل إبراهيم، شرح المُحتّق، الهامش الحادي عشر، ص١٥٥.

[١١] وَتَرَهُ حقّه وماله: أنقصَهُ. لسان العرب: مادّة (وتر).

[١٢] ثَمّرَ مالَهُ: نَمّاهُ وكَثّرَهُ. لسان العرب: مادّة (ثمر).

[١٣] أثّلَ موجوداً: كثّر إبله. لسان العرب: مادّة: (أثل).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أكـبّ على[٢] فـأسٍ يَحُـدُّ غُرابَهـا[٣] مُذكّـرةٍ[٤]، منَ المعـاولِ[٥] باتِـرةٍ[٦]
فقـامَ لهـا مـنْ فـوقِ جُحْرٍ مُشيَّدٍ[٧] ليقتُلَها، أو تُخطـيءَ الكـفُّ بـادِرةٍ[٨]
فلمّـا وقاهـا اللّـهُ ضربـةَ فأسِـهِ وللبِرِّ[٩] عيـنٌ لا تُغمّـضُ، ناظـرة
فقـالَ: تعـالَيْ نجعـلِ اللّـهَ بيننـا[١٠] على مـا لَنـا، أو تُنجـزي لِيَ آخِـرَه[١١]
فقالـتْ: يمـينَ اللّـهِ أفعـلُ[١٢]، إنّـني رأيتُـكَ مَسحـوراً[١٣]، يمينـكَ فاجِرة
أبـى لـيَ قبـرٌ لا يـزالُ مُقابـلي وضربةُ فأسٍ فوقَ رأسيَ فاقِرة[١٤]"[١٥]

---

[١٤] سدّ مفاقره: أغناه. والمفاقر: الفقر. لسان العرب: مادّة كُلّ من (سدد) و (فقر).

[١] أكبّ على الشّيء: أقبل عليه ولزمه. لسان العرب: مادّة (كبب).

[٢] غُرابُ الفأس: حَدُّها. وحدَّ الفأس: شحذها ومسحها بحجر أو مِبْرد. لسان العرب: مادّة كُلّ من (حدد) و (غرب).

[٣] الذُّكرة: القطعة من الفولاذ تُزاد في رأس الفأس وغيره. وذُكرة السّيف والرّجل: حِدّتها. لسان العرب: مادّة (ذكر).

[٤] المِعْوَل: الفأس العظيمة الّتي يُنقّر فيها الصّخر، والجمع مَعاول. لسان العرب: مادّة (عول).

[٥] الباتر: السّيف القاطع. لسان العرب: مادّة (بتر).

[٦] المُشيّد: المُطوّل، أو المعمول بالشّيد. لسان العرب: مادّة (شيد).

[٧] بادرة السّيف: شَباته. والشَّباة: طرف السّيف وحدّه. لسان العرب: مادّة كُلّ من (بدر) و (شبا).

[٨] البِرّ: الخير. لسان العرب: مادّة (برر).

[٩] أي نحلف باللّه ونتواثق به على ما بيننا. النّابغة الذّبيانيّ، ديوان النّابغة الذّبيانيّ، تحقيق مُحمّد أبي الفضل إبراهيم، شرح المُحقّق، الهامشان: الخامس عشر والسّادس عشر، ص١٥٦.

[١٠] يُريد آخر المال الّذي كانت تديه. النّابغة الذّبيانيّ، ديوان النّابغة الذّبيانيّ، تحقيق مُحمّد أبي الفضل إبراهيم، شرح المُحقّق، الهامشان: الخامس عشر والسّادس عشر، ص١٥٦.

[١١] أراد: لا أفعل.

[١٢] المسحور: المنسود. لسان العرب: مادّة (سحر).

[١٣] فَقَرَ الأرضَ فَقْرها: حَفَرها. لسان العرب: مادّة (فقر).

[١٤] النّابغة الذّبيانيّ، ديوان النّابغة الذّبيانيّ، تحقيق مُحمّد أبي الفضل إبراهيم، ص ص١٥٤- ١٥٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويروي المُفضّل الضّبّيّ[١] (...- ١٦٨هـ= ...- ٧٨٤م) هذه الخُرافة في كتابه "أمثال العرب"، وهي الخُرافة الوحيدة من جُملة ما أورده من حكايات في كتابه المذكور.

يقول: "زعموا أنّ أخوين كانا فيما مضى في إبل لهما، فأجدبت[٢] بلادهما، وكان قريباً منهما وادٍ فيه حيّة، قد حمته من كُلّ أحد. فقال أحدهما للآخر: يا فلان، لو أنّي أتيتُ هذا الوادي المُكلِئ[٣]، فرعيتُ فيه إبلي وأصلحتها. فقال له أخوه: إنّي أخافُ عليك الحيّة، ألا ترى أنّ أحداً لم يهبط هذا الوادي إلاّ أهلكته؟ قال: فوَ اللّه لأهبطنّ. فهبط ذلك الوادي، فرعى إبله به زماناً، ثمّ إنّ الحيّة لدغته، فقتلته. فقال أخوه: ما في الحياة بعد أخي خير، ولأطلبنّ الحيّة فأقتلها، أو لأتبعنّ أخي. فهبط ذلك الوادي، فطلب الحيّة ليقتلها، فقالت: ألستَ ترى أنّي قتلت أخاك؟ فهل لك في الصُّلح، فأدعك بهذا الوادي فتكون به، وأعطيك ما بقيتَ ديناراً في كُلّ يوم؟ قال: أفاعلةٌ أنت؟ قالت: نعم. قال: فإنّي أفعل. فحلف لها، وأعطاها المواثيق لا يضيرها[٤]، وجعلت تُعطيه كُلّ يوم ديناراً، فكثُر ماله، ونبتت إبله، حتّى كان من أحسن النّاس حالاً، ثُمّ إنّه ذكر أخاه، ثُمّ قعد لها، فمرّت به، فتبعها، فضربها، فأخطأها، ودخلت الجُحر، ووقع الفأسُ بالجبل فوق جُحرها، فأثّر فيه، فلمّا رأت ما فعل،

---

[١] المُفضّل بن مُحمّد بن يعلى، أبو عبد الرّحمن الضّبّيّ: الرّاوية، الأديب، النّحويّ، اللُّغويّ، كان من أكابر عُلماء الكوفة، عالماً بالأخبار، والشّعر، والعربيّة، أخذ عنه ابن الأعرابيّ، وأبو زيد الأنصاريّ، وخلف الأحمر، وغيرهم. وكان ثقة، ثبتاً. من تصانيفه: كتاب "الاختيارات"، وكتاب "معاني الشّعر"، وكتاب "الأمثال"، وكتاب "الألفاظ"، وكتاب "العروض"، وكتاب "المُفضّليّات" وهي أشعار مُختارة جمعها للمهديّ. انظر في أخباره: ياقوت الحَمَويّ، مُعجم الأُدباء: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، حقّقه وضبط نُصوصه وأعدّ حواشيه وقدّم له عُمر فاروق الطّبّاع، ط١، مُؤسّسة المعارف للطّباعة والنّشر، بيروت- لبنان، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، المجلّد السّابع، ص ص١٢٢- ١٢٤.

[٢] أجدبت البلاد: قحطت وغلت الأسعار. لسان العرب: مادّة (جدب).

[٣] أرض مُكلِئة: كثيرة الكلأ، والكلأ: العُشب: رطبه ويابسه. لسان العرب: مادّة (كلأ).

[٤] ضارّهُ ضَيْراً: ضَرّهُ. لسان العرب: مادّة (ضير).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قطعت عنه الدّينار الّذي كانت تُعطيه، فلمّا رأى ذلك وتخوّف شرّها ندم، فقال لها: هل لكِ في أن نتواثق ونعود إلى ما كُنّا عليه؟ فقالت: كيف أُعاودك وهذا أثر فأسك، وأنت فاجر لا تُبالي بالعهد؟ فكان حديث الحيّة والفأس مثلاً مشهوراً من أمثال العرب"[١].

وإذ تُبرز هذه الخُرافة نمطاً من صراع الإنسان والحيوان، هذا الّذي يتّخذ شكل صِنوه الّذي يقوم بين البشر، فإنّها تُجسّد بعض المناحي الاجتماعيّة في العصر الجاهليّ، كالثّأر، وحُبّ المال، والمواثيق[٢].

وقد وُظّفت خُرافة الحيوان بعد العصر الجاهليّ لخدمةِ الفكرِ الإسلاميّ؛ فبعض سُوَر القُرآن الكريم تحمل أسماء حيوانات، والقُرآن الكريم نفسه يستوعب عدداً من حكايات الحيوان، ويُوظّفها لغايات دينيّة ووعظيّة، كحكاية "سُليمان والنّمل"، وحكاية "سُليمان والهُدهد"، الواردتيْن في سورة النّمل[٣].

والرّسول الكريم ﷺ (٥٣ ق.هـ- ١١هـ= ٥٧١- ٦٣٣م) يستخدم مثل هذه الحكايات لغايات مُقاربة[٤]، فممّا رُوي عنه ﷺ قوله: "بينما رجل يسوق بقرة له قد حمل عليها، التفتت إليه

---

[١] المُفضّل الضّبّيّ، أمثال العرب، تقديم وتعليق إحسان عبّاس، ص ص١٧٧- ١٧٨.

[٢] انظر: مُحمّد توفيق أبو عليّ، الأمثال العربيّة والعصر الجاهليّ: دراسة تحليليّة، ص٢٧٤.

[٣] انظر: سورة النّمل، الآيات: ١٩- ٢٨.

[٤] انظر: الإمام البُخاريّ، صحيح البُخاريّ، ضبط النّص محمود مُحمّد محمود حسن نصّار، ط١، منشورات مُحمّد علي بيضون، دار الكُتب العلميّة، بيروت- لبنان، ٢٠٠١م، ص٤١٨؛ الإمام مُسلم، صحيح مُسلم بشرح النّوويّ، راجعته وضبطته وقابلته مجموعة من طلبة العلم، بإشراف حسن عبّاس قُطُب، ط١، دار عالم الكُتب، الرّياض- السّعوديّة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ج١٥، ص ص١٥٨- ١٥٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البقرة، وقالت: إنّي لم أُخلق لهذا، ولكنّي إنّما خُلقت للحَرْث. فقال النّاس: سُبحان اللّه - تعجُّباً وفزعاً – أبقرة تكلّمُ؟ فقال رسول اللّه ﷺ: فإنّي أُؤمن به وأبو بكر[١] وعُمر[٢]"[٣].

وحظيت خُرافة الحيوان في العصرين: الأُمويّ والعبّاسيّ باهتمام بالغ: رواية واستلهاماً وإبداعاً، ولعبت دوراً مُهمّاً في الحياتين: السّياسيّة والاجتماعيّة في ذينك العصرين، فطرقها

---

[١] عبد اللّه بن أبي قحافة عُثمان بن عامر بن كعب التّيميّ القُرشيّ، أبو بكر (٥١ ق.هـ- ١٣هـ= ٥٧٣- ٦٣٤م): من رُؤساء قُريش في الجاهليّة، وأهل مُشاورتهم، وهو أوّل الخُلفاء الرّاشدين، وأوّل من أسلم من الرّجال، وأحد العشرة المقطوع لهم بالجنّة. وهو أشجع الصّحابة، وأعلمهم، وأذكاهم، وأشدّهم، وأكملهم عقلاً، له مواقف عظيمة، وفضائل كثيرة. وقد حارب المُرتدّين، وافتُتحت في أيّامه بلاد الشّام، وقسم كبير من العراق. انظر في أخباره: ابن الأثير، الكامل في التّاريخ، تحقيق الشّيخ خليل مأمون شيحا، ط١، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، ج٢، ص ص٣٨٦- ٣٩٣؛ صلاح الدّين الصّفديّ، الوافي بالوفيات، ج١٢، ص ص١٥٥- ١٦١؛ السُّويديّ، سبائك الذّهب في معرفة قبائل العرب، ص٢٩١؛ خير الدّين الزّركليّ، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرّجال والنّساء من العرب والمُستعربين والمُستشرقين، ط١٦، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، كانون الثّاني/ يناير ٢٠٠٥م، ج٤، ص١٠٢.

[٢] عُمر بن الخطّاب بن نفيل القُرشيّ العدويّ، أبو حفص (٤٠ ق.هـ- ٢٣هـ= ٥٨٤- ٦٤٤م): من أشراف قُريش، وإليه كانت السّفارة في الجاهليّة، وهو ثاني الخُلفاء الرّاشدين، وأحد العشرة المقطوع لهم بالجنّة، وأحد أصهار رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم، وأحد كبار عُلماء الصّحابة، وزُهّادهم. ولي الخلافة بعهد من أبي بكر الصّدّيق، وفي أيّامه فتح اللّه له الفُتوح بالشّام، والعراق، ومصر. وهو أوّل من دُعي بأمير المُؤمنين، وأوّل من أرّخ بعام الهجرة، وفضائله كثيرة. انظر في أخباره: ابن الأثير، الكامل في التّاريخ، تحقيق الشّيخ خليل مأمون شيحا؛ ج٣، ص ص٤٠- ٦٢؛ صلاح الدّين الصّفديّ، الوافي بالوفيات، ج٤، ص ص٧٤٦- ٧٤٩؛ السُّويديّ، سبائك الذّهب في معرفة قبائل العرب، ص٢٨٦.

[٣] الإمام مُسلم، صحيح مُسلم بشرح النّوويّ، راجعته وضبطته وقابلته مجموعة من طلبة العلم، بإشراف حسن عبّاس قُطب، ج١٥، ص١٥٨. وانظر: الإمام البُخاريّ، صحيح البُخاريّ، ضبط النّصّ محمود مُحمّد محمود حسن نصّار، ص٤١٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المُفكّرون والمُصلحون والأُدباء، وأودعوها تظلُّمهم السّياسيّ والاجتماعيّ، ونقدهم الفكريّ، ورسائلهم الإصلاحيّة التّعليميّة، الّتي نفذوا من خلالها إلى الحُكّام والوُلاة بالنُّصح والنّقد[١].

ومن الخُرافات ذات المضامين السّياسيّة والاجتماعيّة النّقديّة، خُرافة "البوم والخرائب"، وهي خُرافة معروفة في كُلّ من التُّراثين: الفارسيّ[٢] والعربيّ[٣]، وقد قصّها على المأمون[٤] (١٧٠- ٢١٨هـ= ٧٨٦-٨٣٣م) –كما تروي إحدى الرّوايات - أحد رجال حاشيته، حين استدعاهُ، وقد أصابه الأرق، وطلب منه أن يُسامره بشيء من ظريف الكلام. تقول هذه الخُرافة: إنّه "كان بالموصل بومة، وبالبصرة بومة، فخطبت بومة الموصل إلى بومة البصرة بنتها لابنها. فقالت بومة البصرة: لا أُنكحك ابنتي، إلاّ أن تجعلي في صداقها مائة ضيعة خراب. فقالت بومة الموصل: لا أقدر عليها الآن، ولكنْ إن دامَ والينا – سلّمه اللّه – علينا سنة واحدة، فعلتُ لك ذلك"[٥].

---

[١] انظر لمزيد من التّوسُّع: سوزان الحلو، حكاية الحيوان في النّثر العربيّ في القرنين الثّالث والرّابع الهجريّين، رسالة ماجستير، إشراف الأُستاذ صلاح جرّار، الجامعة الأُردنيّة، عمّان- الأُردنّ، ٢٠٠١م، ص ص٦٥- ٧٣.

[٢] انظر: ابن خَلْدون، مُقدّمة ابن خَلْدون، ط٦، دار القلم، بيروت- لبنان، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص٢٨٧.

[٣] انظر: الطُّرطوشيّ، سراج المُلوك، حقّقه وضبطه وعلّق عليه ووضع فهارسه مُحمّد فتحي أبو بكر، تقديم شوقي ضيف، ط١، الدّار المصريّة اللبنانيّة، القاهرة- مصر، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، المُجلّد الثّاني، ص ص٤٩٧- ٤٩٨.

[٤] عبد اللّه بن هارون، أمير المُؤمنين، المأمون باللّه بن الرّشيد بن المهديّ بن المنصور: كان يُكنّى أبا العبّاس، فلمّا استُخلف اكتنى بأبي جعفر. قرأ العلم في صغره، وبرع في الفقه، والعربيّة، وأيّام النّاس، ولمّا كبر عُني بعُلوم الأوائل، ومَهر في الفلسفة، فجرّه ذلك إلى القول بخَلق القُرآن. وكان من رجال بني العبّاس: حَزْماً، وعَزْماً، وعِلْماً، وحِكْمةً، ورأياً، ودهاءً، وشجاعةً، وسُؤْدُداً، وسماحةً. انظر في أخباره: صلاح الدّين الصّفديّ، الوافي بالوفيات، ج١٢، ص ص٣٣٥- ٣٣٩.

[٥] الطُّرطوشيّ، سراج المُلوك، حقّقه وضبطه وعلّق عليه ووضع فهارسه مُحمّد فتحي أبو بكر، تقديم شوقي ضيف، المُجلّد الثّاني، ص ص٤٩٧- ٤٩٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويروي الطُّرطوشيّ[١] (٤٥١- ٥٢٠هـ= ١٠٥٩- ١١٢٦م) أنّ المأمون قد استيقظ للمعنى الّذي حمّله القاصّ هذه الخُرافة؛ فجلس للمظالم، وأنصف النّاس، وتفقّد أُمور الوُلاة[٢].

والمغزى وراء هذه الحكاية: أنّ الظُّلم مُؤذن بخراب العمران، على حدّ تعبير ابن خَلْدون[٣] (٧٣٢- ٨٠٨هـ= ١٣٣٢- ١٤٠٦م)، الّذي استشهد بهذه الحكاية[٤] "في مجال تحليله الرّائد لأسباب سُقوط الدُّول وخراب العمران (المُجتمعات)، حيث تستحيل إلى

---

[١] مُحمّد بن الوليد بن مُحمّد بن خلف بن سُليمان بن أيّوب، أبو بكر الفِهْريّ الطُّرطوشيّ الأندلسيّ: الفقيه المالكيّ، نزيل الإسكندريّة - وطُرطوشة بالشّين المُعجمة: آخر بلاد المُسلمين من الأندلس - صحب القاضي أبا الوليد الباجيّ، وأخذ عنه مسائل الخلاف، وصنّف "سِراج المُلوك" للمأمون بن البطائحيّ، وزير مصر بعد الأفضل، وصنّف طريقة في الخلاف، وروى عنه السّلفيّ، وغيره. انظر في أخباره: صلاح الدّين الصّفديّ، الوافي بالوفيات، ج٣، ص ص٣٥٤- ٣٥٥.

[٢] انظر: الطُّرطوشيّ، سراج المُلوك، حقّقه وضبطه وعلّق عليه ووضع فهارسه مُحمّد فتحي أبو بكر، تقديم شوقي ضيف، المُجلّد الثّاني، ص٤٩٨.

[٣] عبد الرّحمن بن مُحمّد بن مُحمّد، ابن خَلْدون، أبو زيد، وليّ الدّين الحضرميّ الإشبيليّ: المُؤرّخ، والعالم الاجتماعيّ الكبير. من وِلْد وائل بن حُجْر، من حضرموت. ولد بتونس، ونشأ فيها، ودرس القُرآن، واللُّغة، والفقه، والنّحو، واعتنى بالأدب، وأُمور الكتابة، والخطّ، وتعلّق بالخدمِ السُّلطانيّة، وولي كتابة العلامة عن صاحب تونس، ثُمّ سافر إلى فاس، وإلى بجاية، وتلمسان، وتولّى مهامّ كبيرة، واعترضته مكائد ودسائس ووشايات، وقرّره الظّاهر برقوق في تدريس القمحيّة بمصر، ثُمّ في قضاء المالكيّة بالدّيار المصريّة. من تصانيفه: كتاب "العبر وديوان المُبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر"، وكتاب "شرح البُردة"، وكتاب في "الحساب"، ورسالة في "المنطق". انظر في أخباره: ابن خَلْدون، التّعريف بابن خَلْدون ورحلته غرباً وشرقاً، عارضه بأُصوله وعلّق حواشيه مُحمّد بن تاويت الطّنجيّ، ط١، مطبعة لجنة التّأليف والتّرجمة والنّشر، ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م؛ السّخاويّ، الضّوء اللامع لأهل القرن التّاسع، ط١، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت- لبنان، [--١٩]، ج٤، ص ص١٤٥- ١٤٩.

[٤] انظر: ابن خَلْدون، مُقدّمة ابن خَلْدون، ص٢٨٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خرائبَ لا يمرح فيها إلاّ البوم، بعد أن تهجرها الجُموع من أرباب الحرف، والصّنائع، وأهل الفلاحة، وأصحاب التّجارة، أو تتوقّف عن العمل والإنتاج"[١].

كما وُظّفت بعض الخُرافات في العصرين: الأُمويّ والعبّاسيّ من قِبَل أهل السُّلطة والحُكم في الرّدّ على خُصومهم ومُعارضيهم، والنّيل منهم[٢].

ومن ذلك توظيف الحسن بن عليّ[٣] (٣- ٥٠هـ= ٦٢٤- ٦٧٠م) خُرافة "البعوضة والنّخلة"، في النّيل من المُغيرة بن شُعبة[٤] (٢٠ق.هـ- ٥٠هـ= ٦٠٣- ٦٧٠م)، والاستهانة بعداوته وكلامه، والتّقليل من شأنه، قائلاً: "إنّما مثلك مثل البعوضة إذ قالت للنّخلة: استمسكي فإنّي طائرة عنك. فقالت النّخلة: وهل علمتُ بك واقعةً عليّ؛ فأعلم بك

---

[١] مُحمّد رجب النّجّار، التُّراث القصصيّ في الأدب العربيّ: مُقاربات سوسيو- سرديّة، المُجلّد الأوّل، ص١٥٧.

[٢] انظر: سوزان الحلو، حكاية الحيوان في النّثر العربيّ في القرنين الثّالث والرّابع الهجريّين، ص ص٦٧- ٦٩.

[٣] الحسن بن عليّ بن أبي طالب الهاشميّ القُرشيّ، أبو مُحمّد: ريحانة رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم، وابن ابنته السّيّدة فاطمة الزّهراء. له صُحبة، ورواية عن أبيه وجدّه، وكان يُشبه النّبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم. بايعه أهل الكوفة بالخلافة بعد قتل أبيه، وأطاعوه، وأحبّوه أشدّ من حُبّهم لأبيه، فبقي فيها ستّة أشهر، أو سبعة، أو نحو ذلك، فتمّت بها خلافة النُّبوّة ثلاثين سنة، ثُمّ إنّه صالح مُعاوية، سنة إحدى وأربعين، بسواد الكوفة، وسلّم الأمر إليه، فسُمّي ذلك العام عام الجماعة. انظر في أخبارد: صلاح الدّين الصّفديّ، الوافي بالوفيات، ج٨، ص ص٢٥٠- ٢٥٢.

[٤] المُغيرة بن شُعبة بن أبي عامر، يُكنّى أبا عبد اللّه، وكان يذكر أنّ رسول اللّه، صلّى اللّه عليه وسلّم، كنّاه: أبا عيسى. كان موصوفاً بالدّهاء. ولاّه عُمر بن الخطّاب البصرة، ثُمّ ولاّه الكوفة، فلم يزل عليها حتّى قُتل عُمر، فأقرّه عُثمان عليها، ثُمّ عزله. وشهد اليمامة، وفُتوح الشّام، وذهبت عينه باليرموك، وشهد القادسيّة، وفُتح نهاوند، وهمدان، وغيرهما، واعتزل الفتنة بعد مقتل عُثمان، وشهد الحكمين. ولمّا سلّم الحسنُ الأمر إلى مُعاوية، استعمل المُغيرة على الكوفة، فلم يزل عليها إلى أن مات. انظر في أخباره: أبو الفرج الأصبهانيّ. الأغاني. أشرفت على ضبطه وتصحيحه لجنة من الأُدباء والمُدرّسين، المُجلّد الثّالث عشر، ص ص٣١٤- ٣٣١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

طائرة عنّي؟ واللّه ما نشعر بعداوتك إيّانا، ولا اغتممنا إذْ علمنا بها، ولا يشقّ علينا كلامك"[١].

وقد احتضنت بعض أُمّات المصادر التُّراثيّة هذه الخُرافات، الّتي حظي كثير منها بصُوَر مُختلفة، حملت شيئاً من الاختلاف في الأُسلوب، والألفاظ، وشيء من التّفاصيل الدّاخليّة، والشّخصيّات.

ولقد انتقلت خُرافة الحيوان إلى الأدب المُدوّن ذي الكيان المُستقلّ، والطّابع الخاصّ، بنقل ابن المُقفّع كتاب "كليلة ودمنة" من الفهلويّة/ الفارسيّة القديمة إلى العربيّة، نقلاً مُبدعاً، في النّصف الأوّل من القرن الثّاني الهجريّ، بعد أن نقله من الهنديّة إلى الفهلويّة الطّبيب برزويه[٢]، في عهد كسرى[٣] أنو شروان (٥٣١- ٥٧٩م)[٤].

---

[١] ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ضبطه وصحّحه مُحمّد عبد الكريم النّمريّ، ط٣، دار الكُتب العلميّة، بيروت- لبنان، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، المُجلّد الثّالث، ج٦، ص١٧٩.

[٢] جاء في مُقدّمة كتاب "كليلة ودمنة"، في باب بعثة برزويه إلى الهند، أنّ برزويه كان رجلاً فارسيّاً، أديباً، كامل العقل، معروفاً بصناعة الطّبّ، ماهراً في الفارسيّة والهنديّة، مُبادراً إلى طلب العلم، والبحث عن كُتب الفلسفة. انظر في أخبار برزويه، وأمر بعثته: بيدبا، كتاب كليلة ودمنة، نقله من الفهلويّة إلى العربيّة عبد اللّه ابن المُقفّع، باب بعثة برزويه إلى بلاد الهند، ص ص٧١- ٨٤.

[٣] أنو شِروان بن قباذ – أو قباد – بن فيروز: أشهر مُلوك الفُرس، وأحسنهم سيرة وأخباراً، كان ملكاً جليلاً، مُحبّباً للرّعايا، جيّد الرّأي، كثير النّظر، صائب التّدبير، طويل الفكر. جدّد سيرة أردشير، وعمل بها، ونظر في عهده؛ وأخذ نفسه به، وأدّب رعيّته وبطانته، وبحث عن سياسات الأُمم؛ فاستصلح لنفسه منها ما رضيه، ونظر في تدابير أسلافه المُستحسنة؛ فاقتدى بها. وكان أوّل ما بدأ به أن أبطل ملّة زرادشت الثّاني، الّذي كان من أهل فسا، وأبطل ملّة المزدكيّة، وقتل على ذلك خلقاً كثيراً، وقتل قوماً من المانويّة، وثبّت ملّة المجوسيّة القديمة، وقوّى مُلك الفُرس بعد ضعفه، وهجر الملاذّ، وترك اللهو، وقوّى جُنوده بالأسلحة والأمتعة والكُراع – اسم يجمع الخيل والسّلاح – وعمّر البلاد، وحفظ الأموال وثمّرها، وسدّ الثُّغور، واستعاد كثيراً من الأطراف الّتي غلبت عليها الأُمم، وفتح الأمصار العظيمة في الشّرق. وفي أيّامه وُلد النّبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم. انظر في أخباره: النُّوَيْريّ، نهاية الأرب في فُنون الأدب، السّفر الخامس عشر، ص١٩١؛ عبد القادر البغداديّ، خِزانة الأدب ولُبّ لُباب لسان العرب، تحقيق وشرح عبد السّلام مُحمّد هارون، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة- مصر، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨١م، ج٣، ص٢٨٥.

[٤] انظر: بيدبا، كتاب كليلة ودمنة، نقله من الفهلويّة إلى العربيّة عبد اللّه بن المُقفّع، باب بعثة برزويه إلى الهند، ص ص ٧١- ٨٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكتاب كليلة ودمنة – في أكثره – كتاب يدور على ألسنة البهائم والطُّيور، ويهدف إلى غايات إصلاحيّة، ظاهرها سياسة العامّة وتأديبها، وباطنها أخلاق المُلوك وسياستها للرّعيّة[١].

وقد حظي هذا الكتاب باهتمام الأُدباء والمُفكّرين في عصر ابن المُقفّع والعُصور الّتي تلته، فنُظم غير مرّة، وتُرجم إلى لُغات مُختلفة، وخرجت من عباءته مُصنّفات شعريّة ونثريّة مُختلفة على ألسنة الحيوانات[٢].

٣. ملحمة الحيوان The Animals Epic

يُمكن تعريف هذا النّوع من حكايات الحيوان؛ بأنّه ضرب من المُحاكاة السّاخرة الهزليّة لما يُعرف بالملحمة، وتطوُّر في الوقت نفسه لخُرافة الحيوان، لذلك فإنّ هذا النّوع يفرض أسبقيّة الملحمة والخُرافة عليه[٣].

ولقد قدّم هذا النّوع نفسه في شكل فنّيّ خاصّ، مُستعيراً سماته الفنّيّة من الملحمة والخُرافة معاً، فمن الأُولى – مثلاً – استعار حجمها الطّويل، وبُطولتها المحوريّة، وأُسلوبها الشّعريّ،

---

[١] انظر: بيدبا، كتاب كليلة ودمنة، نقله من الفهلويّة إلى العربيّة عبد اللّه بن المُقفّع، باب مُقدّمة الكتاب، ص١٢.

[٢] انظر: حاجي خليفة، كشف الظُّنون عن أسامي الكُتب والفُنون، ط٣، إشراف هيئة البُحوث والدّراسات في دار الفكر، بيروت- لبنان، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ج٢، ص ص٤٢٨- ٤٢٩.

[٣] انظر: ألكساندر كراب، علم الفُلكلور، ترجمة رُشدي صالح، ص١٢٣؛ عبد الحميد يونس، الحكاية الشّعبيّة، ص٣٥؛ فوزي العنتيل، عالم الحكايات الشّعبيّة، ص٦٢؛ مُحمّد رجب النّجّار، التُّراث القصصيّ في الأدب العربيّ: مُقاربات سوسيو - سرديّة، المُجلّد الأوّل، ص١٥٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن الأُخرى استمدّ شُخوصها الحيوانيّة، وما تُهيّئه من مساحة رحبة للتّعبير والنّقد، وحقّق من كليْهما لنفسه نوعاً من وحدة الموضوع[١]، الّتي امتازت بها سلسلة من حكايات الحيوان المُتلاحقة المنظومة، الّتي تُؤلّف هذا النّوع من حكايات الحيوان؛ فحمل رسالة الإنسان إلى الإنسان في إهاب الحيوان، مُوفّراً –كما الخُرافة – قناعاً مُوائماً للنّقد السّياسيّ، والاجتماعيّ، والدّينيّ.

وقد ذكر ألكساندر كراب وعبد الحميد يونس، أنّ هذه المنظومات الشّعريّة القصصيّة ليست من نتاج العُصور الوُسطى الأوروبيّة؛ فقد عرفها العالم القديم، وإن كانت تلك الملاحم الحيوانيّة الّتي سايرت الحضارات القديمة، ساذجة، وبدائيّة، وأقلّ إتقاناً من تلك المُتأخّرة[٢].

ولمّا اختفت الطّبقة الأرستقراطيّة، وصاحبَ اختفاءها اختفاءُ الرُّوح الّتي كانت تبثُّ الحياة في فنّها وأدبها، سقطت الطّبقـــة الوُسطى على الماضـــي، وعملت على التّهوين من شأن القيم والصُّوَر القديمة، فأحالـت الملاحم العظيمة إلى ملاحمَ ساخرة، كما هي الحال في بلاد الإغريق بعد عصر هومر[٣]، وفي أوروبا أثناء عصرها الوسيط حتّى القرن الثّاني عشر[٤].

---

[١] انظر: مُحمّد رجب النّجّار، التُّراث القصصيّ في الأدب العربيّ: مُقاربات سوسيو- سرديّة، المُجلّد الأوّل، ص١٥٠.

[٢] انظر: ألكساندر كراب، علم الفُلكلور، ترجمة رُشدي صالح، ص١٢٣؛ عبد الحميد يونس، الحكاية الشّعبيّة، ص٣٥؛ فوزي العنتيل، عالم الحكايات الشّعبيّة، ص٦٢.

[٣] هوميروس: شاعر ملحميّ يونانيّ، يُعتقد أنّه عاش في القرن التّاسع قبل الميلاد، وبعضهم يقول: إنّه عاش في القرن الثّاني عشر قبل الميلاد، وُلد في آسيا الصُّغرى، وقيل: إنّه كان أعمى. وقد نسب إليه المُؤلّفون اليونان أشعار (الإلياذة)، و (الأوذيسة)، و (الأغاني الهوميريّة)، الّتي أثّرت تأثيراً عميقاً في مُستقبل الشّعر اليونانيّ. وهُناك من يرى أنّ أعماله هي حصيلة ما جادت به قرائح عدّة شُعراء. ويذهب بعض الكُتّاب إلى أنّ هوميرس كان امرأة. انظر: مجموعة من المُؤلّفين، المُنجد في اللُّغة والأعلام، ص٧٢٤؛ عبد الحميد يونس، مُعجم الفولكلور، ص٢١٠.

[٤] انظر: ألكساندر كراب، علم الفُلكلور، ترجمة رُشدي صالح، ص١٢٣؛ عبد الحميد يونس، الحكاية الشّعبيّة، ص٣٥؛ إخوان الصّفاء وخلاّن الوفاء، رسالة تداعي الحيوانات على الإنسان، قدّم لها فاروق سعد، ط٣، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت- لبنان، ١٩٧٦م، مُقدّمة المُحقّق، ص٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن أشهر ملاحم الحيوان، ما يُعرف بـ "حلقة الثّعلب رينار"، أو بـ "ملحمة الثّعلب رينار"، وهي "مجموعة من الحكايات والمنظومات الّتي ظهرت في أوروبا حوالي القرن الحادي عشر الميلاديّ، وبلغت أوج شُهرتها في غُضون القرنيْن الرّابع عشر والخامس عشر"[١] الميلاديّين.

وقد بدأ بكتابة هذه المجموعة باللغة اللاتينيّة مُؤلِّف أو مُؤلِّفون مجهولون، ثُمّ انتقلت إلى لُغات أوروبيّة قوميّة مُختلفة في العُصور الوُسطى، وأضاف مُؤلِّفون مُختلفون إلى هذه المجموعة نحو ثلاثين حكاية مرحة، حتّى بلغ مجموع أبياتها أربعة وعشرين ألف بيت من الشّعر[٢]، وهناك من يرى أنّ مجموع أبياتها بلغ نحو ثلاثين ألف بيت من الشّعر، وأنّها ضمّت سبعاً وعشرين مجموعة قصصيّة[٣]، وقد كانت هذه الحكايات في أوّل أمرها رمزيّة مرحةً، ثُمّ مالت إلى النّقد المرير، مُبتعدةً عن الفكاهة المرحة والسُّخرية اللطيفة[٤].

والحكايات في مُجملها تدور حول هجاء الأساليب الإقطاعيّة، وحاشية المُلوك، وتزمُّت رجال الكنيسة ونفاقهم وحيلهم، وهجاء سُلوك الفُرسان، ورجال القانون، والمثالب الوُسطى والدُّنيا[٥]؛ فهي بذلك تهدف إلى نقد الأنظمة السّياسيّة والاجتماعيّة والدّينيّة آنذاك[٦].

---

(١) عبد الحميد يونس، الحكاية الشّعبيّة، ص٣٦. وانظر: فوزي العنتيل، عالم الحكايات الشّعبيّة، ص٦٢.

(٢) انظر: فوزي العنتيل، عالم الحكايات الشّعبيّة، ص٦٣؛ مُحمّد رجب النّجّار، التُّراث القصصيّ في الأدب العربيّ: مُقاربات سوسيو- سرديّة، المُجلّد الأوّل، ص١٥٠.

(٣) انظر: مُحمّد التّونجي، المُعجم المُفصّل في الأدب، ج٢، ص٨٢٤.

(٤) انظر: مُحمّد عبد السّلام كفافي، في الأدب المُقارن: دراسات في نظريّة الأدب والشّعر القصصيّ، ط١، دار النّهضة العربيّة للطّباعة والنّشر، بيروت- لبنان، ١٩٧٢م، ص٢٥١.

(٥) انظر: فوزي العنتيل، عالم الحكايات الشّعبيّة، ص٦٣؛ مُحمّد رجب النّجّار، التُّراث القصصيّ في الأدب العربيّ: مُقاربات سوسيو- سرديّة، المُجلّد الأوّل، ص ص١٥٠- ١٥١.

(٦) انظر: مُحمّد رجب النّجّار، التُّراث القصصيّ في الأدب العربيّ: مُقاربات سوسيو- سرديّة، المُجلّد الأوّل، ص١٥٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإذا كُنّا لا نقع على نماذج عربيّة تُمثّل "ملحمة الحيوان "، فإنّنا يُمكن أن نُلحق بها منظومات "كليلة ودمنة" في الأدب العربيّ، على اعتبار أنّ ملحمة الحيوان هي سلسلة شعريّة طويلة، تضمّ مجموعة حكايات مرويّة على ألسنة الحيوانات؛ كمنظومة أبان بن عبد الحميد اللاحقيّ[١] (...- ٢٠٠هـ= ...- ٨١٥م)، ويروي ابن المُعتزّ[٢] (٢٤٧- ٢٩٦هـ= ٨٦١- ٩٠٩م) أنّ هذه المنظومة كانت في نحو خمسة آلاف بيت[٣]، بينما يقول أبو بكر الصُّوليّ[٤] (...- ٣٣٥هـ= ...- ٩٤٦م): إنّها كانت في أربعة عشر ألف بيت[٥]. وعلى أيّة

---

[١] أبان بن عبد الحميد اللاحقيّ: مولى رقاش بن ربيعة، ورد من البصرة إلى بغداد قاصداً البرامكة، فاختصّ بالفضل، وقَرُب من قلب يحيى، وصار صاحب الجماعة، وذا أمرهم، ونظم لهم "كليلة ودمنة"؛ ليسهل عليهم حفظه. وقد جعل له يحيى بن خالد البرمكيّ امتحان الشُّعراء وترتيبهم في الجعل. انظر في أخباره: أبو الفرج الأصبهانيّ، الأغاني، أشرفت على ضبطه وتصحيحه لجنة من الأُدبـاء والمُدرّسين، المُجلّد التّاسع عشر، ص ص١٨٠- ١٨١؛ صلاح الدّين الصّفديّ، الوافي بالوفيات، ج٣، ص ص٤٥٣- ٤٥٤.

[٢] عبد اللّه بن مُحمّد – وقيل: اسم أبيه الزُّبير – أبو العبّاس بن المُعتزّ بن المُتوكّل بن المُعتصم بن الرّشيد ابن المهديّ بن المنصور: الأمير، الأديب، صاحب الشّعر البديع، والنّثر الفائق. ذكر أنّه لمّا قامت الدّولة، ووثبوا على المُقتدر، أقاموا ابن المُعتزّ، فقال: "بشرط أن لا يُقتل بسببي مُسلم!" ولقّبوه المُرتضى باللّه، وقيل: المُنصف باللّه، وقيل: الغالب باللّه، وقيل: الرّاضي باللّه. وأقام يوماً وليلة، ثُمّ إنّ أصحاب المُقتدر تحزّبوا، واجتمعوا، وتحاربوا هم وأعوان ابن المُعتزّ، فأخذه المُقتدر وسلّمه إلى مُؤنس الخادم الخازن، فقتله. من تصانيفه: كتاب "الزّهر والرّياض"، وكتاب "البديع"، وكتاب "السّرقات"، وكتاب "طبقات الشُّعراء". انظر في أخباره: صلاح الدّين الصّفديّ، الوافي بالوفيات، ج١٢، ص ص٢٢٨- ٢٤٢.

[٣] انظر: ابن المُعتزّ، طبقات الشُّعراء في مدح الخُلفاء والوُزراء، اعتنى بنشره عبّاس إقبال، ط١، على نفقة لجنة وصيّة أ.ج.و. جب التّذكاريّة، لوزاك وشُركاه، لندن- بريطانيا، ١٩٣٩م، ص١١٢.

[٤] مُحمّد بن يحيى بن عبد اللّه، أبو بكر الصّوليّ: من الأُدباء الظُّرفاء، والجمّاعين للكُتب، نادم الرّاضي، وكان أوّلاً يُعلّمه، ونادم المُكتفي، ثُمّ المُقتدر، وكان من ألعب أهل زمانه بالشّطرنج، وكان حسن المُروءة. توفّي مستتراً بالبصرة، لأنّه روى خبراً في عليّ عليه السّلام، فطلبته الخاصّة والعامّة لقتله. من تصانيفه: كتاب "الأوراق في أخبار الخُلفاء والشُّعراء"، ولم يُتمّه، وكتاب "الوُزراء"، وكتاب "العبادة"، وكتاب "أدب الكاتب على الحقيقة". انظر في أخباره: النّديم، الفهرست، اعتنى بطبعته وعلّق عليها الشّيخ إبراهيم رمضان، ص ص١٨٤- ١٨٥.

[٥] انظر: أبو بكر الصّوليّ، أخبار الشُّعراء المُسمّى كتاب الأوراق، عُني بجمعه ج. هيوارث دن، ط١، القاهرة- مصر، [د.ن]، [--١٩]، ص٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حال فإنّ هذه المنظومة قد ضاعت، ولم يصل إلينا منها سوى خمسة وسبعين بيتاً رواها لنا أبو بكر الصّوليّ في كتابه "الأوراق" ، وهي من مواضع مُختلفة ومُتفرّقة من كتاب "كليلة ودمنة"[١].

ومن منظومات "كليلة ودمنة" أيضاً، منظومة "نتائج الفطنة في نظم كليلة ودمنة"[٢] لابن الهبّاريّة[٣] (٤١٤- ٥٠٩هـ= ١٠٢٣-١١١٥م)، وتتألّف من مُقدّمة وخمسةَ عشرَ باباً وخاتمتيْن. وهُناك منظومات أُخرى لِـ "كليلة ودمنة"، إلاّ أنّها ضاعت، ولم يصل إلينا منها سوى إشارات بسيطة في الكُتب القديمة؛ ككتاب "الفهرست"[٤] للنّديم[٥] (...- ٤٣٨هـ=

---

[١] انظر: أبو بكر الصّوليّ، أخبار الشُّعراء المُسمّى كتاب الأوراق، عُني بجمعه ج. هيوارث دن، ص ص٤٦-٥٠.

[٢] انظر: ابن الهبّاريّة، نتائج الفطنة في نظم كليلة ودمنة، ط١، تحقيق وتقديم حسن عاصي، دار المواسم للطّباعة والنّشر، بيروت- لبنان، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

[٣] مُحمّد بن مُحمّد – وقيل: مُحمّد بن عليّ - بن صالح، أبو يعلى الشّريف العبّاسيّ، ابن الهبّاريّة البغداديّ: كان شاعراً مُجيداً، حسن المقاصد، خبيث اللسان، كثير الهجاء والوُقوع في النّاس، لا يكاد يسلم من لسانه أحد، وكان مُلازماً لخدمة نظام المُلك أبي عليّ الحسن بن عليّ بن إسحق، وزير السُّلطان ألب أرسلان وولده ملكشاه. له كتاب "نتائج الفطنة في نظم كليلة ودمنة"، وكتاب "الصّادح والباغم"، الّذي نظمه على أُسلوب "كليلة ودمنة"، وهو أراجيز، وعدد بُيوته ألفا بيت، نظمها في عشر سنين، ولقد أجاد فيه كُلّ الإجادة، وسيّر الكتاب على يد ولده إلى الأمير أبي الحسن صدقة بن منصور بن دُبَيْس الأسديّ، صاحب الحِلّة. انظر: ابن خَلّكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، حقّقه إحسان عبّاس، ط٤، دار صادر للطّباعة والنّشر، بيروت- لبنان، ٢٠٠٥م، المُجلّد الرّابع، ص ص٤٥٥-٤٥٦؛ صلاح الدّين الصّفديّ، الوافي بالوفيات، ج١، ص ص١٠٥- ١٠٧.

[٤] انظر: النّديم، الفهرست، اعتنى بطبعته وعلّق عليها الشّيخ إبراهيم رمضان، ص٣٧٠.

[٥] مُحمّد بن إسحق بن مُحمّد بن إسحق النّديم الإخباريّ البغداديّ، أبو الفرج: كان شيعيّاً مُعتزليّاً، وله تصانيف منها: كتاب "الفهرست في أخبار الأدباء"، وكتاب "التّشبيهات". صلاح الدّين الصّفديّ، الوافي بالوفيات، ج١، ص٤٤١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

...- ١٠٤٧م) ، وكتاب "وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان"[١] لابن خَلّكان[٢] (٦٠٨- ٦٨١هـ= ١٢١١- ١٢٨٢م).

كما قد نُلحق بـ "ملحمة الحيوان"، منظومات الحيوان الّتي خرجت من عباءة "كليلة ودمنة"؛ كمنظومة "الصّادح[٣] والباغم[٤]"[٥]، الّتي حاكى فيها ابن الهبّاريّة كتاب "كليلة ودمنة" نظماً في أُرجوزة من ألفي بيت، قدّمها إلى الأمير أبي الحسن صدقة[٦] بن منصور بن دُبيس الأسديّ[٧] (٤٤٢- ٥٠١ أو ٥٠٢هـ= ١٠٥٠- ١١٠٨م) ، وأودعها حكماً وأمثالاً حول

---

[١] انظر: ابن خَلّكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، حقّقه إحسان عبّاس، المُجلّد الأوّل، ص٢١٠.

[٢] أحمد بن مُحمّد بن إبراهيم بن خَلّكان، قاضي القُضاة، شمس الدّين أبو العبّاس البرمكيّ الإربليّ الشّافعيّ: كان فاضلاً، بارعاً، مُتفنّناً، حسن الفتاوى، جيّد القريحة، بصيراً بالعربيّة، علاّمة في الأدب والشّعر وأيّام النّاس، كثير الاطّلاع، فيه رئاسة كبيرة. له كتاب "وفيات الأعيان"، وقد اشتهر كثيراً، وله مجاميع أدبيّة. انظر في أخباره: صلاح الدّين الصّفديّ، الوافي بالوفيات، ج٥، ص ص١٣٦- ١٤٣.

[٣] صَدَحَ الرّجلُ يَصْدَحُ صَدْحاً وصُداحاً، وهو صَدّاحٌ وصَدوحٌ وصَيْدَحٌ: رفع صوتَهُ بغناء أو غيره. لسان العرب: مادّة (صدح).

[٤] بُغام الظّبية: صوتها. بَغَمَتِ الظّبيةُ تَبْغَمُ وتَبْغِمُ وتَبْغُمُ بُغاماً وبُغوماً، وهي بَغوم: صاحت إلى ولدها بأرخم ما يكون من صوتها. لسان العرب: مادّة (بغم).

[٥] انظر: ابن الهبّاريّة، الصّادح والباغم، تحقيق وتقديم حسن عاصي، ط١، دار المواسم للطّباعة والنّشر، بيروت- لبنان، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

[٦] صدقة المُلقّب سيف الدّولة فخر الدّين بن بهاء الدّولة أبي كامل منصور بن دُبيس بن عليّ بن مَزيد الأسديّ النّاشريّ، أبو الحسن، صاحب الحِلّة السّيفيّة: كان يُقال له ملك العرب، وكان ذا بأس، وسطوة، وهيبة. نافر السّلطان مُحمّد بن ملكشاه بن ألب أرسلان السّلجوقيّ، وأفضت الحال إلى الحرب، فتلاقيا عند النّعمانيّة، فقُتل. انظر في أخباره: ابن خَلّكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، حقّقه إحسان عبّاس، المجلّد الثّاني، ص٤٩٠.

[٧] انظر: المصدر نفسه، المجلّد الثّاني، ص٤٩٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

غُرور الدُّنيا، وهُمومها، والسُّلطان، وواجباته، وصُحبته، وأعوانه، وعُيوبهم، وحول مُداراة النّاس، واجتناب الجُهّال[١].

٤. مُفاخرات الحيوان ومُنافراته

مُفاخرات الحيوان ومُنافراته، مُصطلح أطلقته على تلك الحكايات النّثريّة العربيّة، الّتي وقف فيها الحيوان مُفتخراً بما له من محاسن وسمات ، أو مُعرّضاً بسمات غيره، مُنتقصاً منها.

وهذا النّوع من حكايات الحيوان النّثريّة أنجبه الأدب العربيّ القديم من رحم العصر الجاهليّ، ثمرة لمُلاحظات أفراده حول سمات بعض الحيوانات، وطبائعها، وعاداتها، وأنماط سُلوكها، وما قوي في نُفوسهم من نزعة عصبيّة قبليّة، وميل إلى الافتخار والاعتزاز.

ومن الأمثلة على مُفاخرات الحيوان، ما قالته الضّائنة[٢]: "أُولَدُ رِجالاً[٣]، وأُجَزُّ جُفالاً[٤]، وأُحلَبُ كُثَباً[٥] ثِقالاً، ولم تَرَ مثلي مالاً"[٦].

---

[١] انظر: ابن النّبّاريّة، الصّادح والباغم، تحقيق وتقديم حسن عاصي، مُقدّمة المُحقّق، ص٩٤.

[٢] الضّائنة: الشّاة من الغنم خلاف المعز، جمعها الضّوائن. لسان العرب: مادّة (ضأن).

[٣] ويُروى رُخالاً، وهي جمع الرّخل والرّخل؛ أي الأُنثى من أولاد الضّأن. لسان العرب: مادّة (رخل).

[٤] جُفال: أُجَزُّ بمرّة واحدة؛ وذلك أنّ الضّائنة إذا جُزّت فليس يسقط من صوفها إلى الأرض شيء حتّى يُجزّ كلّه ويسقط أجمع. لسان العرب: مادّة (جفل).

[٥] الكُثب: واحدتها الكُثبة، وهي مثل الجُرعة تبقى في الإناء. وقيل: قَدر حَلْبة، أو ملء القَدح من اللبن. لسان العرب: مادّة (كثب).

[٦] ابن قُتيبة، المعاني الكبير في أبيات المعاني، المُجلّد الثّاني، ص٦٩٢؛ وعُيون الأخبار، ط١، دار الكُتب المصريّة، القاهرة- مصر، المجلّد الثّاني، ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٨م، ص٧٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن مُنافرات الحيوان، مُنافرة "الأرنب والوَبْر[١]"، وتقول: "قالت الأرنبُ للوَبْر: وبْرٌ وبْر، عجزٌ وصَدْر، وسائرك حَقْرٌ نَقْر[٢]. قالت الوَبْرُ للأرنب: أرانٍ أرانٍ[٣]، عجزٌ وكتفان، وسائرك أكلتان"[٤].

وينبغي ألاّ يفوتنا ما اتّسمت به هذه الحكايات من إيجاز، وقصر عبارات، وتساوي عدد كلمات هذه العبارات في الأغلب، والتزام نهاياتها بالسّجع، ممّا أضفى عليها نغماً موسيقيّاً.

٥- حكاية الحيوان النّثريّة الطّويلة

نشأ هذا النّوع من حكايات الحيوان العربيّة من مُحاكاة كتاب "كليلة ودمنة" - أحد نماذج الخُرافة - نثراً، مُستغِلاً ما تُهيّئه الأقنعة الحيوانيّة - وغيرها - من مساحة رحبة للتّعبير عن القضايا الفكريّة: السّياسيّة والاجتماعيّة والدّينيّة، دون اصطدام بالسُّلطة والمُجتمع. ولكنّ هذا النّوع من حكايات الحيوان افترق عن "كليلة ودمنة"، في أنّه تخلّى عن الحكاية الإطاريّة، الّتي تُؤلّف بين حكايات كثيرة قصيرة نثريّة، إلى حكاية واحدة طويلة نثريّة، مُتعدّدة

---

[١] الوَبْر بتسكين الباء: دُويبّة على قدر السّنّور، غبراء أو بيضاء، من دوابّ الصّحراء، حسنة العينيْن، شديدة الحياء، تكون بالغَوْر. والأُنثى: وَبْرة، والجمع: وَبْر، ووُبور، ووِبار، ووِبارة، وإبارة. لسان العرب: مادّة (وبر).

[٢] الحقير: ضدّ الخطير. ويُؤكّد فيُقال: حقير نقير، وحقْر نقْر. ونقير ونقْر: كأنّه نُقِر. وقيل هذا إتباع لا غير. لسان العرب: مادّة كُلّ من (حقر) و (نقر).

[٣] أرانٍ: جمع أرنب، ولا يُستعمل إلاّ في الشّعر. حمزة الأصفهانيّ، الدُّرّة الفاخرة في الأمثال السّائرة، حقّقه وقدّم له ووضع حواشيه وفهارسه عبد المجيد قطامش، ج٢، شرح المُحقّق، الهامش الثّالث، ص٥٥٥.

[٤] المصدر نفسه، ج٢، ص٥٥٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشُّخوص ومُتفرّعة الأحداث، بما لا تحتمله الحكاية القصيرة، ولكنّها مع ذلك تطرح موضوعاً قصصيّاً واحداً مُتكاملاً[١].

ويُشير مُحمّد رجب النّجّار إلى أنّ أُدباء الخاصّة الّذين كتبوا هذا النّوع من حكايات الحيوان، "لم يستخدموا مُصطلح قصّة عن عمد، لسبب بسيط؛ هو أنّ هذا المُصطلح كان مرفوضاً في الثّقافة العربيّة الرّسميّة، ثقافة النُّخبة، على اعتبار أنّ فعل القصّ آنذاك، كان مُرتبطاً بالعامّة والدّهْماء؛ حتّى إنّ أبا العلاء نفسه آثر مُصطلح "رسالة" الشّائع بين أُدباء الخاصّة"[٢].

وتُعدّ حكاية "النّمر والثّعلب"[٣] لسهل بن هارون[٤] (...- ٢١٥هـ= ...- ٨٣٠م)، من أقدم نماذج هذا النّوع من حكايات الحيوان العربيّة الّتي وصلت إلينا. وتجري هذه الحكاية على ألسنة ثلاثة حيوانات، هي: النّمر والثّعلب والذّئب، وتهدف إلى نقد النّظام الحاكم في

---

[١] انظر: عزّة الغتّام، الفنّ القصصيّ العربيّ القديم من القرن الرّابع إلى القرن السّابع، ص٢٤١؛ مُحمّد رجب النّجّار، التُّراث القصصيّ في الأدب العربيّ: مُقاربات سوسيو- سرديّة، المُجلّد الأوّل ص١٥٢.

[٢] مُحمّد رجب النّجّار، التُّراث القصصيّ في الأدب العربيّ: مُقاربات سوسيو- سرديّة، المُجلّد الأوّل، ص١٥٥.

[٣] سهل بن هارون، النّمر والثّعلب، حقّقه وقدّم له وترجمه إلى الفرنسيّة عبد القادر المهيري، ط١، منشورات الجامعة التّونسيّة، كُلّيّة الآداب والعُلوم الإنسانيّة، تونس، ١٩٧٣م.

[٤] سهل بن هارون بن النُّيون بن راهبون أو راهيون الدّستميسانيّ، أبو عمرو: اتّصل بخدمة المأمون، وتولّى خزانة الحكمة له، وكان حكيماً، فصيحاً، شاعراً، أديباً، فارسيّ الأصل، شُعوبيّ المذهب، شديد التّعصّب على العرب، له تصانيف تدلّ على بلاغته وحكمته، مثل: كتاب "ثعلة وعفراء" على مثال كليلة ودمنة، و "كتاب النّمر والثّعلب"، وكتاب "أسيانوس في اتّخاذ الإخوان"، وغير ذلك من الكُتب، وله رسائل وشعر. انظر في أخباره: صلاح الدّين الصّفديّ، الوافي بالوفيات، ج١١، ص ص٣٨- ٣٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عصر سهل، وتصوير "صراع السُّلطات المُتنافسة على الحُكم"[١]. أفاد سهل في كتابة هذه الحكاية من القُرآن الكريم، والحديث الشّريف، والأمثال، والحِكَم، والشّعر، وأدب ابن المُقفّع[٢]، وكتبها "بلغة رفيعة المُستوى؛ لأنّها مُوجّهة إلى طبقة الصّفوة من الأُدباء وكُتّاب الدّواوين"[٣] في عصره؛ مُظهراً في "صفحتها، سَعَة أُفقه، وعُمق فكره، وثقافته الواسعة، ودرايته بأُمور السّياسة والحُكم"[٤].

وفي القرن الرّابع الهجريّ، وضع إخوان الصّفاء[٥] - جماعة فكريّة سياسيّة ظهرت في البصرة في القرن الرّابع الهجريّ[٦] - رسالة "تداعي الحيوانات على الإنسان". وتدور هذه

---

(١) مجدي مُحمّد شمس الدّين إبراهيم، كليلة ودمنة بين الأُصول القديمة والمُحاكاة الشّرقيّة، ط١، دار الفكر العربيّ، القاهرة- مصر، ١٩٨٦م، ص١٢٥.

(٢) انظر: سوزان الحلو، حكاية الحيوان في النّثر العربيّ في القرنين الثّالث والرّابع الهجريّين، ص ص٩٤- ٩٦.

(٣) مُحمّد رجب النّجّار، التُّراث القصصيّ في الأدب العربيّ: مُقاربات سوسيو- سرديّة، المُجلّد الأوّل، ص١٥٣.

(٤) سوزان الحلو، حكاية الحيوان في النّثر العربيّ في القرنين الثّالث والرّابع الهجريّين، ص٩٤.

(٥) جماعة إخوان الصّفاء – كما تصف نفسها – عصابةٌ تألّفت بالعشرة، واجتمعت على القُدس والطّهارة والنّصيحة، وتصافت بالصّداقة، ووضعت بينها مذهباً، زعمت أنّه يُقرّب الطّريق إلى الفوز برضوان اللّه، هذا المذهب هو مزج الفلسفة بالدّين، فالشّريعة – كما ترى هذه الجماعة – تدنّست بالجهالات، واختلطت بالضّلالات، ولا يكون غسلها، ولا يتمّ تطهيرها، إلاّ بالفلسفة؛ فهي وعاء الحكم الاعتقاديّة، والمصلحة الاجتهاديّة، وإنّه متى انتظمت الفلسفة اليونانيّة والشّريعة العربيّة فقد حصل الكمال. انظر: القفطيّ، تأريخ الحكماء، وهو مُختصر الزّوزنيّ المُسمّى بالمُنتخبات المُلتقطات من كتاب إخبار العُلماء بأخبار الحُكماء، ط١، مكتبة المُثنّى/ بغداد- العراق، ومُؤسّسة الخانجي/ القاهرة- مصر، ١٩٠٣م، ص ص٨٣- ٨٤.

(٦) انظر: عُمر الدّسوقي، إخوان الصّفاء، ط١، مكتبة نهضة مصر، القاهرة- مصر، ١٩٤٧م، ص٩٦، ص ص٧٢- ٧٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحكاية على ألسنة شخصيّات من الحيوانات والبشر والجان، وتهدف إلى نقد الحياة السّياسيّة والاجتماعيّة والدّينيّة والمذهبيّة في ذلك الوقت، اختزل فيها أصحابها كثيراً من عُلومهم، وآرائهم، وفلسفتهم في العدل والحُكم، وبثّوا فيها روحاً ساخرة، وضمّنوها حوارات شائقة، ومُناظرات جدليّة، كشفتا عن سَعَة أُفقهم، واتّساع ثقافاتهم وعُلومهم.

ويُمكن القول: إنّ لُجوء إخوان الصّفاء إلى الحكاية على ألسنة الحيوانات، قد صدر عن مبدأ "التّقية"[١]، الّذي كانوا يأخذون به؛ لثورتهم على النّظام السّياسيّ الحاكم آنذاك[٢].

---

[١] التّقية: من المبادىء المشهورة عند الشّيعة، وهي جُزء من نظامهم السّرّيّ وتعاليمهم في سبيل الوُصول إلى الخلافة؛ فإذا أراد إمامٌ الخُروج والثّورة على الخليفة، وضع لذلك نظاماً وتدابير، وأعلم أصحابه بذلك فتكتّموه، وأظهروا الطّاعة، حتّى يتمّ لهم المُراد، فعملهم هذا تقية. وإذا أحسّوا ضرراً من كافر أو سُنّيّ داروه، وجاروه، وأظهروا له المُوافقة، وكان هذا من التّقية، إلى غير ذلك. عُمر الدّسوقي، إخوان الصّفاء، ص١١٩.

[٢] انظر: المرجع نفسه، ص ص١١٩- ١٢١؛ مُحمّد فريد حجاب، الفلسفة السّياسيّة عند إخوان الصّفاء، تقديم عزّ الدّين فودة، ط١، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة- مصر، ١٩٨٢م، ص ص١٠٤- ١١٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المدخل الثّاني

حكايات الحيوان النثريّة في القرن الخامس الهجريّ

احتفى القرن الخامس الهجريّ بحكايات الحيوان احتفاءً واضحاً: رواية، واستلهاماً، وإبداعاً؛ فاستوعبت بعض مصادره كثيراً ممّا عُرف منها وذاع، مُشتركاً بين العرب والأُمم الأُخرى، أو خالصاً لهم دونها، ووضع أبو العلاء المعرّيّ[1] (٣٦٣-٤٤٩هـ= ٩٧٣- ١٠٥٧م) – أحد أعلام هذا القرن- حكايات حيوان أُخرى، وصل إلينا منها عدد من خُرافات الحيوان، وحكاية حيوان نثريّة طويلة، كانت الحكاية النثريّة الطّويلة الوحيدة الّتي وصلت إلينا من هذا القرن، فارتقى أبو العلاء المعرّيّ بهذا اللون من الأدب، وتوسّع في توظيفه.

---

[1] أحمد بن عبد الله بن سُليمان، أبو العلاء التّنوخيّ المعرّيّ: كان غزير الفضل، شائع الذّكر، وافر العِلْم، غايةً الفَهْم، عالماً باللُّغة، حاذقاً بالنّحو، جيّد الشّعر، جَزْل الكلام، شُهرته تُغني عن صِفته، وفضله ينطق بسجيّته. وُلد بمعرّة النُّعمان، واعتلّ بالجُدَريّ، فذهب بصره سنة سبع وستّين وثلاثمائة، وقال الشّعر وهو ابن إحدى عشرة سنة، ورحل إلى بغداد سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة، وأقام فيها سنة وسبعة أشهر، ثُمّ رجع إلى بلده، فأقام فيه، ولزم بيته، إلى أن مات في أيّام القائم بأمر الله. له تصانيف كثيرة منها: كتاب "الفُصول والغايات"، وكتاب "لُزوم ما لا يلزم"، ورسالة "الصّاهل والشّاحج"، و "رسالة الغُفران". انظر في أخباره: ياقوت الحَمَويّ، مُعجم الأُدباء: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، حقّقه وضبط نُصوصه وأعدّ حواشيه عُمر فاروق الطّبّاع، المُجلّد الأوّل، ص ص٥٥٥- ٦٣٢؛ القفطيّ، إنباه الرّواة على أنباه النُّحاة، تحقيق مُحمّد أبي الفضل إبراهيم، ط١، مطبعة دار الفكر العربيّ، القاهرة- مصر، مُؤسّسة الكُتب الثّقافيّة، بيروت- لبنان، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ج١، ص ص٨١- ١١٨؛ ابن العديم، الإنصاف والتّحرّي في دفع الظُّلم والتّجرّي عن أبي العلاء المعرّيّ، كتاب تعريف القُدماء بأبي العلاء المعرّيّ، جمع وتحقيق مُصطفى السّقّا، وعبد السّلام مُحمّد هارون، وعبد الرّحيم محمود، وإبراهيم الإبياري، وحامد عبد المجيد، بإشراف طه حسين، ط٣، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة- مصر، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص ص٤٨٣- ٥٧٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والنّاظر في أنواع الحكايات المرويّة ومضامينها، يُضيف إلى الاحتفاء شيئاً كثيراً من القصديّة والانتخاب، فجُلّ ما رُوي منها ينتمي إلى الخُرافة، وكثير من الخُرافات المرويّة ذو مضامين فكريّة نقديّة ساخرة حادّة، تكشف عن خيط خفيّ يربطها ويشدّها إلى ظُروف القرن الخامس الهجريّ وأحداثه المُضطربة، وتفضح رغبة قويّة في نُفوس رُواتها ومُستلهميها في التّظلُّم والشّكوى والنّقد، ولو بالحمل والإسقاط.

والقراءة المُتأنّية لما وصل إلينا ممّا وضعه أبو العلاء، في القرن الخامس الهجريّ، من حكايات على ألسنة الحيوان، يكشف عمّا لهذا القرن منها، ويُحدّث عن تحايل صاحبها في كشف أحداثه، ونقد شيء من واقعه، وتقديم قراءة له، من منظور المُثقّف المُفكّر، الشّاهد المُعاصر، المُحمّل بخيبات أُمّته وإخفاقاتها، السّاخر والمُتوجّع في آنٍ ممّا آل إليه حالها، السّاعي في إيصال تظلُّمه ونقده وشهادته، سعيه في التّفلُّت من أيّة مُساءلة واتّهام، قد يناله من ورائها أذىً.

لكنّا القرن الخامس الهجريّ لم يكن إلاّ شاهداً على مزيد من التّمزُّق والانقسام في جسد الدّولة الإسلاميّة، الّتي انفرط عقدها منذ بواكير القرن الرّابع الهجريّ إلى دُويلات وإمارات مُتعدّدة، مُستقلّة، مُتصارعة فيما بينها، لم يكن إلاّ شاهداً على تصدُّع السّيادة العربيّة على مذبح الشّهوات المُتّقدة في صدور المُتغلّبين من العجم[1]، وعلى الخلافة العبّاسيّة الّتي خبا بريقها، وضاع صَوْلجانها، بين خارج عليها، ومُتحكّم فيها، ومُتطلّع إلى زوالها. كان شاهداً على اختلاف مُعادلات القوى ومراكز الثّقل، على أُفول دولة، وصُعود نجم ثانية، وامتداد سُلطان واحدة، وانحسار سُلطان أُخرى، وبين الأُفول والصُّعود، والامتداد والانحسار، وحركة المدّ والجزر، كانت المُدن تُداس بحوافر الخيل، ينتهك عُذريّتها الفاتحون، تُتداول

---

[1] انظر: سامي الكيّالي، الاضطراب السّياسيّ في عصر أبي العلاء وأثره في بيئته وشعره، بحث قُدّم في المهرجان الألفيّ لأبي العلاء المعرّيّ، ط١، مطبوعات المجمع العلميّ العربيّ، دمشق- سورية، ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥م، ص١٧٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كالثّقود بين سُلطان وآخر، تمور فيها الدّسائس والاضطرابات، وتفتك بأهلها الانقسامات والعصبيّات والانقلابات، وتشتعل فيها مواقد الفتن المذهبيّة والثّورات، وتتهدّد أبناءها الكوارث والنّكبات والفقر والمجاعات، فيما تضيع موارد أراضيهم وخيرات بلادهم وأموالهم، أُواراً لنار الحروب، وبذخاً وترفاً وإقطاعاً للفاتحين، ونهباً للّصوص والعيّارين[١] والمُتغلّبين.

كان القرن الخامس الهجريّ شاهداً على الأُمّة المُمتحنة بانقساماتها الدّاخليّة، المُنشغلة بما يدور فيها عن خطر يحيق بها، كان شاهداً على الأُمّة السّادرة في غفلتها وهُمومها عمّا يترصّدها، فلم يكن غريباً أن ينتهيَ وقد حطّ الخطر الصّليبيّ على بلاد الشّام والموصل.

وبقدر ما كان احتفاء هذا القرن بهذا اللون من الحكايات، ثمرة لما شهده مسرحه من صراعات سياسيّة ومذهبيّة داخليّة وخارجيّة، كان ثمرة للحركة العلميّة والأدبيّة الّتي رعتها حواضر الدّولة الإسلاميّة المُتعدّدة تعدُّد دويلاتها، وأذكت أُوارها المُنافسة بينها وبين أُمرائها، ووجّه سيرها ورفد نتاجها الأدبيّ عُلماء وأُدباء مُشتغلون بالسّياسة[٢].

---

[١] الرّجل العيّار في اللّغة: كثير المجيء والذّهاب في الأرض، وقيل: كثير الحركة والتّطواف، الذّكيّ. وغُلام عيّار: نشيط في المعاصي، أو نشيط في طاعة اللّه. والعيّارون أو الشُّطّار بالمعنى السّياسيّ والاجتماعيّ: فئة مطحونة، جمعت بين الصّعلكة والدّروشة، وظهرت فيما بين أواخر القرن الثّاني الهجريّ/ التّاسع الميلاديّ، وأواسط القرن السّابع الهجريّ/ الثّالث عشر الميلاديّ، في فارس، والعراق، ثُمّ في شمال الأُردنّ، وعلى غرارهم نهجت فرقة الأحداث (القبضايات حاليّاً) بالشّام، والزّاندان بالأناضول، والحرافيش والزّعّار والعيّاق والفُتوّات في مصر.
وكانت هذه الجماعات بمثابة ميليشيات شعبيّة Urban militia، مُجاهدة، أو ناهبة. لسان العرب: مادّة (عير). ومُحمّد أحمد عبد المولى، العيّارون والشُّطّار البغاددة في التّاريخ العبّاسيّ، ط١، مُؤسّسة شباب الجامعة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، الإسكندريّة- مصر، ١٩٨٦م، ص٣٥.

[٢] انظر في أخبار القرن الخامس الهجريّ: ابن الأثير، الكامل في التّاريخ، تحقيق الشّيخ خليل مأمون شيحا، ج٧، ص ص٢٨٥- ٤٤٦، ج٨، ص ص٥- ٤٩٣؛ الذّهبيّ، العِبَر في خبر من غَبَر، بإشراف مكتب البحوث والدّراسات في دار الفكر، ط١، دار الفكر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت- لبنان، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ج١، ص ص٤٠٧- ٤٨٧، ج٢، ص ص٧- ٣٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأوّل

حكايات الحيوان النثريّة القصيرة المحمولة من قرون سابقة أو عهود قديمة

و

حكايات الحيوان النثريّة القصيرة الموضوعة في القرن الخامس الهجريّ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

منفذ

انضوت تحت حكايات الحيوان النثريّة القصيرة، حكايات محمولة من قُرون سابقة أو عُهود قديمة، وحكايات موضوعة في هذا القرن، وبينما تُردّ نماذج كُلّ من حكايات الحيوان الشّارحة ومُنافرات الحيوان إلى النّوع الأوّل منها، فإنّ خُرافة الحيوان تنجح في إيجاد حيّز لها في كلا النّوعين، لتُقدّم من خلالها رسائلها الفكريّة: الإصلاحيّة، والنّقديّة، والفلسفيّة.

١. حكايات الحيوان الشّارحة

احتفت بعض مصادر القرن الخامس الهجريّ برواية عدد من حكايات الحيوان الشّارحة، كحكاية كُلّ من "الدّيك والغُراب"، و "طوق الحمامة"، و "رائحة الهُدهد النّتنة"، و "زحف الحيّة".

والحكايات الأربع السّابقة حكايات قديمة، ذات جُذور ضاربة في الثّقافات اليهوديّة والمسيحيّة، وقد أسهم المُحيطون بجوانب من هذه الثّقافات في إشاعتها في البيئة العربيّة قبل الإسلام وبعده، كأُميّة بن أبي الصّلت، الّذي نظم الحكايات الثّلاث الأولى شعراً، ونازع عديّ بن زيد[١] (...- نحو ٣٥ق.هـ= ...- نحو ٥٩٠م) في نسبة أبيات شعريّة قيلت في الرّابعة، كما يروي لنا أبو العلاء المعرّيّ[٢].

---

[١] عديّ بن زيد بن حمّاد بن زيد العِبَاديّ التّميميّ: شاعر جاهليّ نصرانيّ، في الطّبقة الرّابعة من فُحول الشّعراء الجاهليّين، كان يسكُن الحيرة، ويُراكِن - يُلازِم- الرّيف، فلانَ لسانه، وسهُل منطقه، فحُمل عليه شيء كثير، وتخليصه شديد. انظر في أخباره: الجُمحيّ، طبقات فُحول الشّعراء، قرأه وشرحه محمود مُحمّد شاكر، السّفر الأوّل، ص ص١٣٧- ١٤٢؛ صلاح الدّين الصّفديّ، الوافي بالوفيات، ج١٤، ص ص٢٦٣- ٢٦٤.

[٢] انظر: أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاحج، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص٢٤٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولمّا كانت حكاية الحيوان الشّارحة الواحدة قد حظيت بأساليب مُتعدِّدة في الرّواية، تعدُّد رُواتها أنفسهم، وتنوُّع مجالات توظيفها، لم يعد الوُقـوف عند كُلّ رواية من رواياتها نوعاً من التّكرار، ليس فقـط لأنّ أُسلوب سرد الحكاية وتوظيفها وألفاظها قد اختلفـت من راوٍ لآخر فحسب؛ بل لأنّ كُـلّ رواية جديدة لها، قد اقترنـت، في الأغلـب، بإضافات راويها، أو حذفه، أو تغييره، وفي الوُقوف عند كُلّ رواية من هذه الرّوايـات، رصد لصُور الحكاية الواحدة، الّتي تمخّضت عن حملها وتداولها وتوظيفها، وتهيّأت لها بفضل مُرونتها.

ومن هذا المنفذ لنا أن نعود إلى حكاية "الدّيـــك والغُراب"، ولكنّ هذه المرّة برواية أبي العلاء المعرّيّ، الّذي وظّف هذه الحكاية، والحكايات الثّلاث الأُخرى، فيما أجراه من حوار بين الجمل والشّاحـج[١]، في رسالـة "الصّاهل[٢] والشّاحج"[٣]، فيما كـان من ردّ الجمل على مقالة الشّاحج المُلغزة، جُزءاً من استعراض أبي العلاء لثقافاته ومحفوظه ومعارفه، وأُسلوباً في تضليل أهدافه، وغاياته الحقيقيّة، ومواقفه من مُجتمعه، وما يجري فيه من أحداث، مُستشهداً ببيتين من شعر أُميّة بن أبي الصّلت في هذه الحكاية، مع الالتفات إلى أنّ رواية أبي العلاء الموجزة لهذه الحكاية - بما يتّفق وأهدافه من توظيفها - تقترب من رواية الجاحظ[٤] (١٦٣-٢٥٥هـ= ٧٨٠- ٨٦٩م) لها في حيوانه[٥] ، فكلتاهما لا تُشير إلى أنّ الغُراب سلب جناحي

---

[١] الشّاحج: البغل، والشّحيج: صوت البغل، وبعض أصوات الحمار. لسان العرب: مادّة (شحج). انظر: أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاحج، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص٢٤٩، ص ص٢٥٧-٢٥٨، ٢٤٩-٢٥٠، ٢٦٤-٢٦٥.

[٢] الصّاهل: الفرس، من الصّهيل الّذي هو من أصوات الخيل. لسان العرب: مادّة (صهل).

[٣] انظر: أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاحج، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص٢٤٩، ص ص٢٥٧-٢٥٨، ٢٤٩-٢٥٠، ٢٦٤-٢٦٥.

[٤] عمرو بن بحر بن محبوب، الكنانيّ بالولاء، الليثيّ، المعروف بالجاحظ البصريّ، أبو عُثمان: العالم المشهور، صاحب التّصانيف في كُلّ فنّ، وإليه تُنسب الفرقة المعروفة بالجاحظيّة من المُعتزلة، وكان تلميذ أبي إسحق إبراهيم بن سيّار البلْخيّ، المعروف بالنّظّام، المُتكلّم المشهور. من أحسن تصانيفه، وأمتعها: كتاب "الحيوان"؛ فلقد جمع كُلّ غريبة، وكذلك كتاب "البيان والتّبيين". انظر في أخباره: ابن خلّكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، المجلّد الثّالث، ص ص٤٧٠- ٤٧٥.

[٥] انظر: الجاحظ، الحيوان، تحقيق وشرح عبد السّلام مُحمّد هارون، ج٢، ص٣٢٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الدّيك وسلب معهما قُدرته على الطّيران، وكلتاهما لا تُشير أيضاً إلى أنّ صياح الدّيك ما هو إلاّ استدعاء لجناحه من الغُراب، كما نُطالع في شعر أُميّة بن أبي الصّلت[١]، وفي صورة ثريّة مُتأخّرة لهذه الحكاية – سبق ذكرها[٢]– عند النُّويريّ[٣] (٦٧٧- ٧٣٣هـ= ١٢٧٨-١٣٣٣م) في نهاية الأرب[٤].

ولكنّهما ترويان لنا أنّ الغُراب لمّا أراد دفع ثمن الشّراب الّذي شربه والدّيك، رهن الدّيك عند الخمّار حتّى يؤوب، فطار ولم يرجع، فبقي الدّيك من يومها محبوساً[٥]، إلاّ أنّ رواية أبي العلاء تجعل غدر الغُراب بالدّيك قد تمّ بينما كان الدّيك نائماً[٦]، وليس الأمر كذلك في رواية الجاحظ[٧].

يقول أبو العلاء: "ولعلّك سمعت ما يتحدّث به النّاس عن الزّمان القديم، من أنّ الدّيك والغُراب كانا صديقين في الدّهر الأوّل، وكانا يتنادمان، فشربا عند خمّار أيّاماً، فلمّا نفد شراب الخمّار، وأحسّ الغُراب أنّه يُريد الثّمن، أصبح يوماً والدّيك نائم، فقال للخمّار:

---

(١) انظر: أُميّة بن أبي الصّلت، ديوان أُميّة بن أبي الصّلت، جمع وتحقيق ودراسة عبد الحفيظ السّطلي، ص ص٥٣٣- ٥٣٧.

(٢) انظر: هذه الرّسالة، ص١٤.

(٣) أحمد بن عبد الوهّاب بن عبد الكريم القُرشيّ التّيميّ البكريّ، شهاب الدّين النُّويريّ، القوصيّ المولد. قيل: إنّه كان ذكيّ الفطرة، حسن الشّكل، فيه مكرمة، وأريحيّة، وودّ لأصحابه، كتب البُخاريّ مرّات، وجمع تاريخاً كبيراً في ثلاثين مُجلّداً، وحصل له قُرب من السّلطان الملك النّاصر مُحمّد، ووكّله في بعض أُموره، وتقلّب في الخِدَم السّلطانيّة. له نظم ونثر. انظر في أخباره: صلاح الدّين الصّفديّ، الوافي بالوفيات، ج٥، ص٣٠.

(٤) انظر: النُّويريّ، نهاية الأرب في فُنون الأدب، السّفر العاشر، ص٢٢٢.

(٥) انظر: أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاحج، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص٢٤٩؛ الجاحظ، الحيوان، تحقيق وشرح عبد السّلام مُحمّد هارون، ج٢، ص ص٣١٩- ٣٢٠.

(٦) انظر: أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاحج، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص٢٤٩.

(٧) انظر: الجاحظ، الحيوان، تحقيق وشرح عبد السّلام مُحمّد هارون، ج٢، ص٣٢٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إنّي ماض فآتيك بحقّك، وصاحبي هذا رهن عندك على مالك، وذهب ولم يَعُد. وذكر ذلك أُميّة بن أبي الصّلت الثّقفيّ:

بآيةِ[١] قامَ ينطِقُ كُلُّ شيءٍ[٢] وخانَ أمانةَ الدّيكِ الغُرابُ
أقاما يشربانِ الخَمرَ دَهراً فخانَ العهدَ إذ نَقَدَ الشَّرابُ"[٣]

وقبل أن نترك هذه الحكاية إلى غيرها، ينبغي ألاّ يفوتنا أنّ أبا العلاء قد اختار من شعر أُميّة في هذه الحكاية ما يتواءم وروايته لها، مُعرضاً عن ذكر أبيات فيها تفاصيل – أشرنا إليها من قبل – لم يأت على ذكرها.

أمّا حكاية "طوق الحمامة"، فتتنازع روايتها بعض مصادر القرن الخامس الهجريّ، ككتاب "قصص الأنبياء"[٤] للثّعلبي[٥] (...- ٤٢٧هـ= ...- ١٠٣٥م)، وكتاب "ثمار القُلوب

---

[١] الآية: العلامة. لسان العرب: مادّة (أيا). والجارّ والمجرور: (بآية) مُتعلّقان بمحذوف تقديره تمّ هذا.

[٢] المعنى تمّ هذا، أو حدث هذا بآية قيام كُلّ شيء ينطق. وأُميّة يُشير هُنا إلى ما كان يقوله العرب: "كان ذلك إذ كان كُلّ شيء ينطق، وكان ذلك والحجارة رطبة". انظر: الرّاغب الأصفهانيّ، مُحاضرات الأُدباء ومُحاورات الشُّعراء والبُلغاء، حقّقه وضبط نُصوصه وعلّق حواشيه عُمر فاروق الطّبّاع، ط١، دار الأرقم بن أبي الأرقم للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت- لبنان، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ج٢، ص٧٤٩؛ أُميّة بن أبي الصّلت، ديوان أُميّة بن أبي الصّلت، جمع وتحقيق ودراسة عبد الحفيظ السّطلي، شرح المُحقّق، الهامش الأوّل، ص٣٣٨.

[٣] أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاحج، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص٢٤٩. وقد عثرت على البيت الأوّل من هذين البيتين في ديوان أُميّة بن أبي الصّلت، ولم أعثر على البيت الثّاني. انظر: أُميّة بن أبي الصّلت، ديوان أُميّة بن أبي الصّلت، جمع وتحقيق ودراسة عبد الحفيظ السّطلي، ص٣٣٨.

[٤] انظر: الثّعلبي، قصص الأنبياء المُسمّى عرائس المجالس، تحقيق مُحمّد سيّد، ص٨٦.

[٥] أحمد بن مُحمّد بن إبراهيم، أبو إسحق النّيسابوريّ الثّعلبي: كان أوحد زمانه في علم القُرآن، وله كتاب "العرائس في قصص الأنبياء"؛ روى عن جماعة، وكان حافظاً، عالماً، بارعاً في العربيّة، مُوثّقاً، أخذ عنه أبو الحسن الواحديّ. انظر في أخباره: صلاح الدّين الصّفديّ، الوافي بالوفيات، ج٥، ص ص١٣٥- ١٣٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في المُضاف والمنسوب"[١] للثّعالبي[٢] (٣٥٠- ٤٢٩هـ= ٩٦١- ١٠٣٨م)، و "رسالة الصّاهل والشّاحج"[٣] لأبي العلاء المعرّيّ. وبينما يكتفي أبو العلاء، فيما يُجريه من حوار بين الجمل والشّاحج، بالإشارة العابرة إلى دعوة نُوح - عليه السّلام - الحمامة، وأدائها الأمانة له، مُستشهداً بأبيات لأبي صفوان الأسديّ[٤]، وتُروى لجهم[٥] بن خلف[٦]، فيها إشارة إلى أنّ طوق الحمامة هو مُكافأة نُوح لها[٧]، فإنّ الثّعلبي في حديثه عن نوح عليه السّلام، يُفصّل

---

[١] انظر: الثّعالبي، ثمار القُلوب في المُضاف والمنسوب، تحقيق مُحمّد أبي الفضل إبراهيم، ط١، دار المعارف، القاهرة- مصر، ١٩٨٥م، ص٤٦٥.

[٢] عبد الملك بن مُحمّد بن إسماعيل، أبو منصور الثّعالبي النّيسابوريّ: الأديب، والشّاعر، وصاحب التّصانيف الأدبيّة، كان يُلقّب بجاحظ زمانه، وتصانيفه الأدبيّة كثيرة؛ منها: "يتيمة الدّهر"، و "تتمّة اليتيمة"، و "التّمثيل المُحاضرة"، و "فقه اللّغة"، و "ثمار القُلوب في المُضاف والمنسوب". انظر في أخباره: صلاح الدّين الصّفديّ، الوافي بالوفيات، ج١٤، ص ص٩٦- ٩٩.

[٣] انظر: أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاحج، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص ص٢٥٧- ٢٥٨.

[٤] أورد المَرْزُبانيّ (٢٩٧- ٣٨٤هـ= ٩١٠- ٩٩٤م) اسمه في حرف الصّاد في "باب من غلبت كُنيته على اسمه" من الشُّعراء المجهولين والأعراب المغمورين؛ وقد وجدت الأبيات في "الأمالي" لأبي عليّ القاليّ (٢٨٨- ٣٥٦هـ= ٩٠١- ٩٦٧م)، ضمن قصيدة طويلة لأبي صفوان الأسديّ في وصف الفرس، أنشدها ابن الأعرابيّ. انظر: المَرْزُبانيّ، مُعجم الشُّعراء، بتصحيح وتعليق ف. كرنكو، ط٢، دار الكُتب العلميّة، بيروت- لبنان، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص٥١٣؛ أبو عليّ القاليّ، الأمالي، ط٣، مطبعة السّعادة، مصر، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م، ج٢، ص ص٢٣٤- ٢٣٨.

[٥] جَهْم بن خَلف المازنيّ الأعرابيّ (لم أعثر على تاريخ ولادته أو وفاته): من مازن تميم، له اتّصال في النّسب بأبي عمرو بن العلاء المازنيّ المُقرئ. وكان جَهْم راوية، علاّمة بالغريب والشّعر، وكان في عصر خَلَف الأحمر (...- نحو ١٨٠هـ= ...- ٧٩٦م)، والأصمعيّ (١٢٢- ٢١٦هـ= ٧٤٠- ٨٣١م)، وكان الثّلاثة مُتقاربين في معرفة الشّعر. ولجهم شعر مشهور في الحشرات والجوارح من الطّير. صلاح الدّين الصّفديّ، الوافي بالوفيات، ج٨، ص ص١٩- ٢٠.

[٦] الثّعالبي، ثمار القُلوب في المُضاف والمنسوب، تحقيق مُحمّد أبي الفضل إبراهيم، ص٤٦٥.

[٧] الأبيات هي: وقد هَاجَني صوتُ قُمْرِيّةٍ ... هتوف الغَشِيّ طَروبِ الضُّحى

مُطَوَّقةٍ كُسِيَتْ حُلَّةً ... بدَعْوةِ نوحٍ لها إذ دَعَا

منَ الوُرْقِ نوّاحةٍ بأكرتْ ... غَسِيبَ أشاءٍ بذاتِ الأَضا

تغَنَّتْ عليهِ بشَجْوٍ لَهُ ... يُبَيِّخُ نَصَبٌ ما قد مَضى

انظر: أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاحج، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص ص٢٥٧- ٢٥٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القول في ذلك، مُتلقّفاً حديثاً يتّصل سنده بابن عبّاس[١] (٣ق.هـ- ٦٨هـ= ٦١٩- ٦٨٧م)، محمولاً على لسان سام بن نوح، فيه تفسير لأصل الخُضرة لا الطّوق في عُنق الحمامة، وتأويل لإلفها البشر وبيوتهم، وتأويل مُقابل لخوف الغُراب منهم، وإعراضه عن بُيوتهم[٢]. ذلك أنّ نوحاً لمّا أراد أن يعرف ما إذا كانت البلاد قد جفّت بعد الطّوفان، بعث "غُراباً يأتيه بالخبر، فوجد جيفة، فوقع عليها واشتغل عن الرُّجوع، فدعا عليه نوح بالخوف؛ فلذلك لا يأمن البيوت، ثُمّ بعث الحمامة، فجاءت بورق زيتون بمنقارها، وطين برجليها، فعلم أنّ البلاد قد جفّت. قال: فطوّقها بالخُضرة الّتي في عُنقها، ودعا لها أن تكون في أُنس وأمان، فمن ثمّ تألف البيوت"[٣].

ويهتدي الثّعالبي في روايته للحكاية نفسها برواية الجاحظ لها في حيوانه[٤]، في سياق حديثه عن طوق الحمامة الّذي صار رمزاً لما يلزم ويستديم[٥]، مُستشهداً بأبيات لأُميّة بن أبي الصّلت. وتلتقي هذه الرّواية برواية الثّعلبي في تفسير أصل الطّوق في عُنق الحمامة، ولكنّها تفترق عنها في أنّها تجعل هذا الطّوق المُكافأة الّتي ارتضتها الحمامة لنفسها، وسألتها نوحاً، وحظيت بها لمّا استجاب اللّه لدعوته بذلك، مُضيفةً إلى ذلك أنّ الحمامة قد حظيت فضلاً عن الطّوق الّذي في عُنقها بهذا الخضاب الّذي في رجليها، تعويضاً عن الطّين والحَمأة[٦] اللذين كانا قد علقا بهما[٧]. وتفترق رواية الثّعالبي عن رواية الثّعلبي – كذلك – في الدّليل الّذي جاءت به الحمامة على ظهور البَرّ، فهو في الرّواية التّالية كَرْم عنب لا قِطف

---

[١] عبد اللّه بن عبّاس بن عبد المُطّلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصيّ الهاشميّ، أبو العبّاس: الحَبْر البَحْر، ابن عمّ رسول اللّه، صلّى اللّه عليه وسلّم، وأبو الخُلفاء. روى عن النّبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم، وطائفة من الصّحابة. وكان يُسمّى البحر لكثرة عُلومه. انظر في أخباره: صلاح الدّين الصّفديّ، الوافي بالوفيات، ج١٢، ص ص١١٣- ١١٥.

[٢] انظر: الثّعلبي، قصص الأنبياء المُسمّى عرائس المجالس، تحقيق مُحمّد سيّد، ص٨٦.

[٣] المصدر نفسه، ص٥١.

[٤] انظر: الجاحظ، الحيوان، تحقيق وشرح عبد السّلام مُحمّد هارون، ج٢، ص٣٢١.

[٥] أدامَهُ واستدامَهُ: طَلَبَ دوامَهُ وأدْوَمَهُ. لسان العرب: مادّة (دوم).

[٦] الحَمأة: الواحدة من الحَمْأة والحَمْء، وهي: القطعة من الطّين الأسود المُنتن. لسان العرب: مادّة (حمأ).

[٧] انظر: الثّعالبي، ثمار القُلوب في المُضاف والمنسوب، تحقيق مُحمّد أبي الفضل إبراهيم، ص٤٦٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إذا ماتـــــتْ تُورِّثُـــــهُ بنيهـــا وإنْ قُتلتْ فليسَ لهُ استلابُ[1]"[2]

وتردّ الحكاية الشّارحة رائحة الهُدهد النّتنة – وهي إحدى سماته – إلى وفائه لأُمّه، هذا الّذي حمله على أنْ يجعل قبرها في رأسه. يقول أبو العلاء في "رسالة الصّاهل والشّاحج": "ومثل هذا الحديث لا ينبغي أن يُلتفت إليه، وإنّما تلك أكاذيب تحدّث بها أهل الكُتب من اليهود والنّصارى، وسمعها أُميّة بن أبي الصّلت وغيره، فنُظمت في الشّعر، وأُميّة تُوجد في شعره أخبار كان ينقلها من الكُتب الموجودة في أيدي أهل الملّتين المُخالفتين. منها أنّ الهُدهد قبر أُمّه في رأسه، فلذلك ريحته مُنتنة. قال [أُميّة بن أبي الصّلت]:

غَيْمٌ وظَلْماءُ[3] وفَضْـــلُ سحابـةٍ أيّـامَ كَفَّنَ واستزادَ[4] الهُدهـدُ[5]

يبغـي القرارَ[6] لأُمّـهِ لِيُجِنّهـا[7] فبنى عليها في قفاهُ[8] يَمْهَدُ[9]"[10]

---

[1] استلاب: اختلاس وأخذ. لسان العرب: مادّة (سلب).

[2] الثّعالبي، ثمار القُلوب في المُضاف والمنسوب، تحقيق مُحمّد أبي الفضل إبراهيم، ص٤٦٥. وانظر: أُميّة بن أبي الصّلت، ديوان أُميّة بن أبي الصّلت، جمع وتحقيق ودراسة عبد الحفيظ السّطلي، ص ص٣٣٨- ٣٤٠.

[3] ليلة ظَلْماء: شديدة الظُّلمة. والظّلماء: الظُّلمة. لسان العرب: مادّة (ظلم).

[4] استَزَدْتُهُ: طلبتُ منه الزّيادة. لسان العرب: مادّة (زيد).

[5] البيت في ديوان أُميّة: غَيْمٌ وظَلْماءٌ وغَيثُ سحابةٍ أزمانَ كَفَّنَ واستزادَ الهُدهدُ. واستراد: خرج يبحث عن الكلأ. لسان العرب: مادّة (رود). وانظر: أُميّة بن أبي الصّلت، ديوان أُميّة بن أبي الصّلت، جمع وتحقيق ودراسة عبد الحفيظ السّطلي، ص٣٥٥.

[6] القَرار من الأرض: المُطمئنّ المُستقرّ. وقيل: هو القاع المُستدير. لسان العرب: مادّة (قرر).

[7] جَنَّ الميّتَ جَنّاً وأَجَنَّهُ: سَتَرَهُ وكَفَنَهُ. لسان العرب: مادّة (جنن).

[8] القَفا: مُؤخّر العُنق. لسان العرب: مادّة (قفا).

[9] مَهَدَ الفِراشَ يَمْهَدُهُ: بَسَطَهُ ووَطَّأَهُ. لسان العرب: مادّة (مهد).

[10] أبو العلاء المعرّي، رسالة الصّاهل والشّاحج، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص ص٢٤٩- ٢٥٠. وانظر: أُميّة بن أبي الصّلت، ديوان أُميّة بن أبي الصّلت، جمع وتحقيق ودراسة عبد الحفيظ السّطلي، ص٣٥٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولهذه الحكاية تتمّة في حيوان الجاحظ، تجعل قُنْزُعة[١] الهُدهد مُكافأة اللّه له على برّه بأُمّه، وَدَفْنها في رأسه[٢].

أمّا الحيّة، كما تُخبرنا الحكاية الشّارحة في "رسالة الصّاهل والشّاجِ"، فقد كانت على هَيْئة الجمل أو النّاقة، فلمّا أغوت آدم بقطف الثّمرة وأكلها، عاقبها اللّه بالزّحف على بطنها، وبأكل تُرب الأرض خشناً حتّى لو صار سهلاً ليّناً، وبانتهاء أجلها[٣] قتلاً . يقول أبو العلاء: "إنّما ادّعى أهل الكتاب أنّ الحيّة كانت في خَلْق الجمل أو النّاقة. فقد ذكر ذلك عديّ بن زيد في أبيات – وتُروى لأُميّة بن أبي الصّلت الثّقفيّ- قال:

لم يَنْهَهُ رَبُّهُ عـــنْ غـــيرِ واحـــدةٍ مِـــنْ شجرٍ طيّـبٍ إنْ شَمَّ أَوْ أكـــلا
وكانتِ الحيّةُ الرّقشاءُ[٤] إذ خُلِقَـــتْ كما تَرى ناقةً في الخَلْـــقِ أو جمـــلا
فلاطَها[٥] اللّهُ إذ أَطْغَتْ[٦] خليفَتَـــهُ طـــولَ الليالي ولم يجعلْ لها أجـــلا
تمشي على بطنِها في الأرضِ ما عَمَرَتْ[٧] والـتُّربَ تأكلُـهُ حَزْناً[٨] وإن سَهُـلا"[٩]

---

[١] القُنْزُعة والقُنْزُع: الرّيش المُتجمّع في الرّأس. لسان العرب: مادّة (قنزع).

[٢] انظر: الجاحظ، الحيوان، تحقيق وشرح عبد السّلام مُحمّد هارون، ج٣، ص٥١٠.

[٣] الأجل: غاية الوقت في الموت، ومُدّة الشّيء. لسان العرب: مادّة (أجل).

[٤] حيّةٌ رَقْشاءُ: فيها نُقط سوادٍ وبياضٍ. لسان العرب: مادّة (رقش).

[٥] لاطَ الشّيءَ لوْطاً: أخفاهُ وألصَقَهُ. لسان العرب: مادّة (لوط).

[٦] أطغاهُ: جعلهُ طاغياً، وأغواهُ. لسان العرب: مادّة (طغي).

[٧] عَمَّرَهُ اللّهُ وَعَمَرَهُ: أبقاهُ. لسان العرب: مادّة (عمر).

[٨] الحَزْن من الأرض: ما غَلُظ منها. لسان العرب: مادّة (حزن).

[٩] أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاجِ، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص ص٢٦٤- ٢٦٥. وقد وجدت الأبيات كلّها في ديوان عديّ بن زيد، ولم أجد إلاّ البيت الثّالث منها في ديوان أُميّة بن أبي الصّلت. انظر: عديّ بن زيد العِباديّ، ديوان عديّ بن زيد العِباديّ، حقّقه وجمعه مُحمّد جبّار المُعيبد، ص ص١٥٩- ١٦٠؛ أُميّة بن أبي الصّلت، ديوان أُميّة بن أبي الصّلت، جمع وتحقيق ودراسة عبد الحفيظ السّطلي، ص٤٦٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن الحكايات الشّارحة الأُخرى الّتي نقع عليها في مصادر القرن الخامس الهجريّ، حكاية قشر رأس القُنْبَرة[١] في كتاب "قصص الأنبياء" للثّعلبي، في سياق حديثه عن نبيّ اللّه سُليمان عليه السّلام. وهي حكاية تقترب في تأويلها من حكاية قُنْزُعة الهُدهد الّتي رواها الجاحظ في حيوانه[٢]، فليس هذا القشر الّذي يعلو رأس القُنْبَرة إلاّ مسحة رضا منّ بها عليها سُليمان عليه السّلام. وفي هذه الحكاية ما يُذكّر بحكاية "سُليمان والنّمل"[٣]. يقول الثّعلبي: "رُوي أنّ قُنْبَرة باضت على طريق سُليمان عليه السّلام، فقال الذّكر للأُنثى: ألم أنهكِ أنْ تبيضي في طريق سُليمان الملك؟ لو ركب إلينا لحطّم بيضنا. فقالت الأُنثى: ويحك، إنّ نبيّ اللّه أرحم بنا من ذلك. فسمع سُليمان قولهما، فبعث إليهما جنّيّاً حين أراد أن يركب، وقال: اجعل بيضهما تحت رجليك، وإيّاك أن تُصيبه بشيء. فلمّا مرّ سُليمان في موكبه وجاوزهما، قالت الأُنثى: ألم أقل لك إنّ نبيّ اللّه أرحم بنا من ذلك؟ فقال الذّكر للأُنثى: عندي للملك هديّة. قالت: وما عندك؟ قال: عندي جرادة ادّخرتها لولدي. فقالت الأُنثى: عندي تمرة ادّخرتها لولدي. قال: فأخذا التّمرة والجرادة، ثُمّ طارا حتّى وقفا بين يدي سُليمان، وهو على سريره، فوضعاهما بين يديه، وسجدا له. فدعا لهما، ومسح بيده على [رأسيهما][٤]. فيُروى أنّ هذه القشرة الّتي على رأس القُنْبَر من مسح سُليمان عليه السّلام إيّاهما"[٥].

---

[١] القُنْبَرة والقُبَّرة: الواحدة من القُبَّر، وهو ضرب من الطُّيور. لسان العرب: مادّة (قبر).

[٢] انظر: الجاحظ، الحيوان، تحقيق وشرح عبد السّلام مُحمّد هارون، ج٣، ص٥١٠.

[٣] انظر: سورة النّمل، الآيتان: ١٨- ١٩.

[٤] الكلمة في الأصل: رُؤوسهما.

[٥] الثّعلبي، قصص الأنبياء المُسمّى عرائس المجالس، تحقيق مُحمّد سيّد، ص٤٠١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن الحكايات الشّارحة، الحكاية الّتي يُشير إليها الثّعالبي في كتابه "ثمار القُلوب في المُضاف والمنسوب"[١]، ويرويها الميدانيّ[٢] (...- ٥١٨هـ- ...- ١١٢٤م) في مجمع أمثاله تحت المثل: "أرسح من ضفدع"[٣]، بنحو مُقارب لرواية الجاحظ لها في حيوانه[٤]، ويلتفت إليها أبو العلاء شعراً في رسالة "الصّاهل والشّاحج"، مُستخدماً إيّاها للبرهنة على قُدرة الشّاحج على نظم الشّعر[٥]. وتُفسّر هذه الحكاية عدم وجود ذنب للضّفدع، بنحو مُقارب لتفسير الحكاية الشّارحة عدم وجود ذنب للدُّبّ، أو عدم قُدرة الدّيك على الطّيران؛ فذنب الضّفدع كان موجوداً؛ إلاّ أنّه صار إلى الضّبّ لمّا استطاع هذا الأخير حسم المُراهنة الّتي جرت بينهما لصالحه. يقول الميدانيّ: "زعمت الأعراب في خُرافاتها، أنّ الضّفدع كان ذا ذنب، فسلبه الضّبّ ذنبه. قالوا: وكان سبب ذلك أنّ الضّبّ خاصم[٦] الضّفدع في الظّمأ أيّهما أصبر، وكان الضّبّ ممسوخ الذّنب، فخرجا في الكلأ، فصبر الضّبّ يوماً، فناداه الضّفدع: «يا ضبُّ وِزْداً[٧] وِزْدا».

---

[١] انظر: الثّعالبي، ثمار القُلوب في المُضاف والمنسوب، تحقيق مُحمّد أبي الفضل إبراهيم، ص٦٤٣.

[٢] سعيد بن أحمد بن مُحمّد بن إبراهيم بن أحمد الميدانيّ النّيسابوريّ، أبو الفضل: كان فاضلاً، أديباً، عارفاً باللّغة وأمثال العرب، وكان قد سمع الحديث ورواه، اختصّ بصُحبة أبي الحسن الواحديّ- صاحب التّفسير- ثمّ قرأ على غيره، وأتقن فنّ العربيّة. من تصانيفه: كتاب "الأمثال" المنسوب إليه، ولم يُعمل مثله في بابه، وكتاب "السّامي في الأسامي". انظر في أخباره: ابن خلّكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، حقّقه إحسان عبّاس، المُجلّد الأوّل، ص١٤٨.

[٣] انظر: الميدانيّ، مجمع الأمثال، حقّقه وفصله وضبط غرائبه وعلّق حواشيه مُحمّد مُحيي الدّين عبد الحميد، ج٢، ص ص٣١٥- ٣١٦.

[٤] انظر: الجاحظ، الحيوان، تحقيق وشرح عبد السّلام مُحمّد هارون، ج٦، ص ص١٢٥- ١٢٦.

[٥] انظر: أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاحج، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص١٨١.

[٦] الخُصومة: الجَدَل. وخاصمهُ خِصاماً ومُخاصمةً فَخَصَمَهُ يَخْصِمُهُ خَصْماً: غلبَهُ بالحُجّةِ. لسان العرب: مادّة (خصم).

[٧] الوِرْد: الماء الّذي تَرِدُ عليه. لسان العرب: مادّة (ورد).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقال الضّبّ: أصبح قلبي صَرِدا[١] لا يشتهي أنْ يرِدا[٢]
إلاّ عَـراداً[٣] عَـرِدا وصِلِّيانـاً[٤] بَـرِدا[٥]
وعَنكثاً[٦] مُلْتَبِدا[٧]

فلمّا كان في اليوم الثّاني، ناداه الضّفدع: «يا ضبُّ وِزداً وِزدا». فقال الضّبّ: «أصبح قلبي صرِدا» إلى آخر الأبيات. فلمّا كان في اليوم الثّالث، نادى الضّفدع: «يا ضبُّ وِرداً وِردا». فلم يُجبه، فلمّا لم يُجبه بادر إلى الماء، فتبعه الضّبّ فأخذ ذنبه. وقد ذكره الكُميت بن ثعلبة[٨] في شعره فقال:

---

(١) صَرِدَ صَرَداً فهوصَرِد: انتهى. وصرد قلبي عن الشّيء: انتهى عنه. لسان العرب: مادّة (صرد).

(٢) وَرَدْتُ الماءَ أَرِدُهُ وُروداً: حضَرْتُهُ لأشْرَبَ. لسان العرب: مادّة (ورد).

(٣) العَراد والعَرادة: حشيش طيّب الرّيح. وقيل: حَمْض تأكله الإبل، ومنابته الرّمل وسُهول الرّمل. ويُقال: عَراد عَرِد على وجه المُبالغة. لسان العرب: مادّة (عرد).

(٤) الصِّلِّيان: نبْت. لسان العرب: مادّة (صلا).

(٥) بَرِد: ذو بُرودة. لسان العرب: مادّة (برد).

(٦) العَنْكَث: ضرب من النّبات. لسان العرب. مادّة (عنكث).

(٧) الْتَبَدَتِ الشّجرةُ: كَثُرتْ أوراقُها. لسان العرب: مادّة (لبد).

(٨) الكُميت بن ثعلبة بن نوفل بن نضلة بن الأشتر بن جحوان بن فقعس الأسديّ (لم أعثر على تاريخ ولادته أو وفاته): شاعر مُخضرم، عاش في الجاهليّة، وأسلم في زمن الرّسول صلّى اللّه عليه وسلّم. ويُقال له: الكُميت الأكبر؛ تمييزاً له عن حفيده الكُميت بن معروف بن الكُميت (...- نحو ٦٠هـ= ...- نحو ٦٨٠م)، وعن الكُميت بن زيد (٦٠- ١٢٦هـ= ٦٨٠- ٧٤٤م)، وهما شاعران من بني أسد. انظر: الآمديّ (...- ٣٧٠هـ/ ...- ٩٨٠م)، المُؤتلف والمُختلف في أسماء الشُّعراء وكُناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم، بتصحيح وتعليق ف. كرنكو، ط٢، دار الكُتب العلميّة، بيروت- لبنان، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص١٨، ١٧٠؛ المَرْزُبانيّ، مُعجم الشُّعراء، بتصحيح وتعليق ف. كرنكو، ص٣٤٧؛ عبد القادر البغداديّ، خزانة الأدب ولُبّ لُباب لسان العرب، تحقيق وشرح عبد السّلام مُحمّد هارون، ج٧، ص٥٢٣؛ خير الدّين الزّركلي، الأعلام، ج٥، ص٢٣٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على أخذها عندَ غِبِّ الوُرودِ وعنـــدَ الحُكومـةِ أذنابهـــا"[١]

وشبيهة بهذه الحكاية، حكاية النّعامة – وفي رواية أُخرى الحمار- الّتي قُطعت أُذُناها - وكانتا موجودتيْن- لا لأنّها خسرت مُراهنة ما، بل لأنّ طمعها قد قادها إلى أن تذهب وتطلب قرنيْن. تلك الحكاية الّتي يرويها الميدانيّ تحت المثل: "كطالب القرن جُدِعَتْ[٢] أُذُنُهُ"[٣]، مع ما جاء فيها من أبيات شعريّة. ولا تُفصّل الحكاية الشّارحة كيف جُدِعتْ أُذنا النّعامة أو الحمار، ولا تُفضي إلينا بمن عاقبها بذلك. وهذه الحكاية، كما يظهر لي، صورة أُخرى من حكاية الجمل الّذي عوقب بأُذنيْن صغيرتيْن؛ لمّا قاده طمعه إلى أن يسأل زيوس أن يمنحه قُروناً، ولعلّ ما يدعم مثل هذا الرّأي؛ هو أنّ النّعامة تتبادل الدّور مع الجمل/ البعير في الموروث العربيّ الجاهليّ، فإذا قيل لها احملي، قالت: أنا طائر، وإن قيل لها طيري، قالت: أنا بعير[٤].

يقول الميدانيّ: "كطالب القَرْنِ جُدِعتْ أُذُنُهُ: العرب تقول: ذهب النّعام يطلب قَرْناً فَجُدِعَتْ أُذُنُهُ، ولذلك يُقالُ له: "مُصلَّم[٥] الأُذُنيْن"، وفيه يقول الشّاعر:

---

[١] الميدانيّ، مجمع الأمثال، حقّقه وفصله وضبط غرائبه وعلّق حواشيه مُحمّد مُحيي الدّين عبد الحميد، ج٢، ص ص٣١٥- ٣١٦ .

[٢] جُدِعت: قُطِعت. لسان العرب: مادّة (جدع).

[٣] انظر: الميدانيّ، مجمع الأمثال، حقّقه وفصله وضبط غرائبه وعلّق حواشيه مُحمّد مُحيي الدّين عبد الحميد، ج٢، ص ص ١٣٩- ١٤٠.

[٤] انظر الثّعالبي، التّمثيل والمُحاضرة، تحقيق عبد الفتّاح مُحمّد الحلو، ط١، دار إحياء الكُتب العربيّة، القاهرة- مصر، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م، ص٣٦٢.

[٥] صَلَمَ الشّيء صَلْماً: قَطَعَهُ. وعبدٌ مُصَلَّم الأُذُنيْن: مقطوعهما. لسان العرب: مادّة (صلم).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مِثلُ النّعامـــةِ كانَـتْ وهـــي سائمةٌ[١] أذْناءُ[٢] حتّى زهاها[٣] الحَبْنُ[٤] والجُبْنُ
جـــاءتْ لِتَشْرِيَ قرنـــاً أو تُعوِّضَـهُ والدّهـرُ فيهِ رَبـاحُ[٥] البيعِ والغَـــبْنُ[٦]
فقيلَ: أُذُناكِ ظلمٌ، ثُمَّتَ[٧] اصطلِمَتْ[٨] إلى الصِّماخِ[٩] فـلا قَـــزنٌ ولا أُذُنُ

ويُقال: طالبُ القرن الحمار، قال الشّاعر:

كمثلِ حمـــارٍ كـــانَ للقـرنِ طالباً فـــآبَ بلا أُذنٍ وليسَ لـــــهُ قَـــزنُ

يُضرب في طلب الأمر يُؤدّي صاحبَه إلى تلف[١٠] النّفس"[١١].

---

(١) السّوم: عرض السّلعة على البيع، سُمْتُ بالسّلعة أسومُ بها سَوْماً وساوَمْتُ واستَمْتُ بها وعليها: غاليتُ، واستَمْتُهُ إيّاها: سألتُهُ سَوْمها. والسّائمة: المال الرّاعي، وكُلّ إبل تُرسل مَرعىً ولا تُعلف في الأصل. لسان العرب: مادّة (سوم).

(٢) أذْناء: طويلة الأُذُنين. لسان العرب: مادّة (أذن).

(٣) زها فُلان: أُعجب بنفسه. والزّهو: الكِبر والتّيه والفَخر والعَظَمة. لسان العرب: مادّة (زها).

(٤) حَبِنَ عليه: امتلأ جوفه غضباً. لسان العرب: مادّة (حبن).

(٥) الرّباح: النّماء في التّجر. لسان العرب: مادّة (ربح).

(٦) الغَبْن في البيع والشّراء: الوَكْس. لسان العرب: مادّة (غبن).

(٧) ثُمَّتَ: بمعنى ثُمَّ. لسان العرب: مادّة (ثمم).

(٨) اصطلَمَ: استأصلَ. لسان العرب: مادّة (صلم).

(٩) الصّماخ من الأُذن: الخَرق الباطن الّذي يُفضي إلى الرّأس. ويُقال: الصّماخ هو الأُذن نفسها. لسان العرب: مادّة (صمخ).

(١٠) التّلَف: الهلاك والعَطَب في كُلّ شيء. لسان العرب: مادّة (تلف).

(١١) الميدانيّ، مجمع الأمثال، حقّقه وفصله وضبط غرائبه وعلّق حواشيه مُحمّد مُحيي الدّين عبد الحميد، ج٢، ص ص١٣٩- ١٤٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نهاية، يُمكن القول إنّ القرن الخامس الهجريّ قد احتفى برواية نماذج من حكايات الحيوان الشّارحة، وإنّ رواية كثير من هذه النّماذج قد اقترنت بذكر ما جاء فيها من أبيات شعريّة تمثُّلاً واستشهاداً، وإنّ حمل كثير منها وتداوله وتوظيفه قد نجم عنه صُور مُتعدّدة للحكاية الواحدة، حملت، فضلاً عن الاختلاف في الألفاظ وأُسلوب الرّواية، بعضاً من الاختلاف في الحكاية نفسها، أو في شيء من تفاصيلها الدّاخليّة: حذفاً، أو إضافة، أو تغييراً، على أنّ ذلك لم يخلع عن الحكايات الشّارحة شيئاً من بساطة بُنيتها الفنّيّة، وإيجازها، وسُهولة لُغتها، وفصاحتها، ولم يسلبها شيئاً من قُدرتها على إثارة الاهتمام، وتوجيه السّمْع، ودَفْع الابتسامة على الشّفاه؛ كونها اجتهادات العقل البشريّ البدائيّ، ومُشاركته الفلسفيّة في الخَلْق، وتأويله القصصيّ الخياليّ.

٢- مُنافرات الحيوان

روت بعض مصادر القرن الخامس الهجريّ شيئاً ممّا صاغه العربيّ الجاهليّ من مُنافرات على ألسنة الحيوانات، مُستثمراً ما اختزنه عقله من مُلاحظات حول سمات بعض الحيوانات وطبائعها المُميّزة، مُتخيّلاً أنّها تجري مجراه في التّهاجي والتّنافر والتّفاخر، مُودعاً في هذه المُنافرات شيئاً ممّا يمور في نفسه ويتنازعها تجاه الآخر المُنتمي إلى قبيلة أو جماعة أُخرى، وما قويَ في نفسه من اعتزاز وميل إلى الافتخار بالنّفس.

من هذه المُنافرات، مُنافرة "القطا[١] والحَجَلة[٢]"، الّتي رواها الثّعالبي في كتابه "ثمار القُلوب في المُضاف والمنسوب"، وتحكي أنّ القطا والحَجَلة تهاجتا، "فقالت الحَجَلة للقطا:

---

[١] القَطَ والقَطَوات والقَطَيات: طائر سُمّي بذلك لثِقَل مشيه، واحدته القَطاة. لسان العرب: مادّة (قطا).

[٢] الحَجَلة: الذّبَج، وقيل: الذّكور من القَبَج، والجمع حَجَل، وحِجال. لسان العرب: مادّة (حجل).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قطا. قطا. أرى. أمعكِ بيضك ثنتان، وبيضي مائتان؟ فقالت القطا مُجيبة لها: حَجَل، حَجَل، أنتِ تفرّين في الجبل إذا بصُرت بالرّجل"[١].

ومنها كذلك المُنافرة الّتي أدارها الجاهليّ بين الأرنب والوَبَر، وقد سبق ذكرها[٢].

وتتّسم هذه المُنافرات بالإيجاز، وببساطة بُنيتها الفنّيّة، وسُهولة لُغتها، فضلاً عن وقع موسيقيّ؛ هيّأه لها قصر عباراتها، وتساوي عدد كلمات هذه العبارات في الأغلب، والتزام نهاياتها بالسّجْع.

٣- خُرافات الحيوان

تشغل خُرافات الحيوان الحيّز الأوسع من مساحة ما وصل إلينا، من القرن الخامس الهجريّ، من حكايات الحيوان النّثريّة القصيرة، ولنا أنْ نُقسّم هذه الخُرافات تبعاً لأُصولها إلى قسمَيْن:

أ - خُرافات الحيوان المحمولة من قُرون سابقة أو عُهود قديمة.

ب- خُرافات الحيوان الّتي وضعها أبو العلاء المعرّيّ في القرن الخامس الهجريّ.

وقبل أن نشرع نافذة أيّ منهما لنُطلّ منها على نماذج من هذه الحكايات، وقبل أن يحمل قارئنا الخاطر السّريع على أن يفترض في حكايات النّوع الثّاني خُصوصيّة القرن الخامس الهجريّ، ويتوهّم تعطُّل خُرافات النّوع الأوّل منهـــا، نُؤكّد خُصوصيّـة القرن في كلا النّوعَيْن؛ فإذا كانت هذه الخُصوصيّة تتجلّى في خُرافات النّوع الثّاني، فيما حمّله أبو العلاء لها

---

[١] الثّعالبي، ثمار القُلوب في المُضاف والمنسوب، تحقيق مُحمّد أبي الفضل إبراهيم، ص٦٤٤.

[٢] انظر: هذه الرّسالة، ص٤٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من مضامين، وما علّق فيها من دلالات؛ فإنّ خُصوصيّة القرن الخامس الهجريّ تظهر في النّوع الأوّل في انتخاب رواية ما انضوى تحته من خُرافات؛ فجُلُّها – كما سبق أن أشرت[١] – خُرافات فكريّة سياسيّة واجتماعيّة نقديّة حادّة، لها روح الخُرافات الموضوعة فيه.

أ- خُرافات الحيوان النّثريّة المحمولة من قُرون سابقة أو عُهود قديمة

يُمكن تقسيم هذا النّوع من الخُرافات إلى قسمين:

- خُرافات تقف وراء أمثال سائرة.
- خُرافات لا تقف وراء أمثال سائرة، وإن كان يُمكن التّمثُّل بها، شأنها في ذلك شأن مُعظم خُرافات الحيوان.

فأمّا الخُرافات الّتي تقف وراء أمثال سارت وذاعت بين النّاس، فتشترك في روايتها كُتب الأمثال مع كُتب الأدب العربيّ. من هذه الخُرافات خُرافات تروي قصص أمثال على وزن "أفعل"، بعضها عربيّة خالصة، موجزة فصيحة، التقت فيها مُلاحظات العربيّ الجاهليّ حول سمات بعض الحيوانات وطبائعها وأنماط سُلوكها ومعيشتها، مع حكمته، ورُؤيته الفكريّة، وكثير من خياله، كحكاية المثل: "هذا أجلُّ من الحَرْش"، وهو مثل يُضرب لمن يخاف شيئاً فيُبتلى بأشدّ منه[٢]، وقد سبق ذكرها[٣].

ومنها، الخُرافة الّتي نقطفها عن المثلين: "أَحْذرُ من غُراب"، و "الحَذَر قبل إرسال السّهم"، وهي حكاية تتّكىء على ما عُرف من حذر الغُراب، في دعوتها إلى اتّخاذ الحذر في الوقت

---

[١] انظر: هذه الرّسالة، ص٥١.

[٢] انظر: الميدانيّ، مجمع الأمثال، حقّقه وفصله وضبط غرائبه وعلّق حواشيه مُحمّد مُحيي الدّين عبد الحميد، ج١، ص٢٥٨.

[٣] انظر: هذه الرّسالة، ص٢٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المناسب، فتروي لنا "أنّ الغُراب قال لابنه: يا بُنيّ إذا رُميت فتلوّص – أيْ تلوّ – قال: يا أبتِ، إنّي أتلوّص قبل أن أُرمى"[١].

ومن هذه الخُرافات كذلك، حكاية الاختيار المزعوم، الّتي يتنازعها المثلان: "أكره من خصلتي[٢] الضّبع"، و "عَرض عليه خصلتي الضّبع"، وهي خُرافة تتّكىء في تقديم مغزاها الفكريّ النّقديّ، على ما عُرف من شبق الضّبع وشدّة هيجانها وسُرعته، وعلى ما حُمِل عن الثّعلب من ذكاء وسُرعة تخلُّص، مُوظّفة كُنية كُلّ من الضّبع والثّعلب في سياق الحوار الّذي جرى بينهما.

تقول هذه الخُرافة في مجمع أمثال الميدانيّ: "أكره من خصلتي الضّبع: يُضرب مثلاً للأمرين ما فيهما حظّ يُختار. وأصل ذلك – فيما تزعم العرب- أنّ الضّبع صادت مرّة ثعلباً، فلمّا أرادت أن تأكله، قال الثّعلب: مُنّي عليّ يا أُمّ عامر. فقالت الضّبع: قد خيّرتك يا أبا الحُصين بين خصلتيْن، فاختر أيّهما شئت. فقال الثّعلب: وما هُما؟ فقالت الضّبعُ: إمّا أن آكلك، وإمّا أن أُمزّقك. فقال الثّعلب وهو بين فكّي الضّبع: أما تذكرين يا أُمّ عامر يوم نكحتك بهوب دابر؟ - وهو أرض غلبت الجنّ عليها. قالوا وهو يجيء في أسماء الدّواهي، كذا أورده حمزة. وقال أبو النّدى: هوت دابر، قُلت: وبالحريّ[٣] أن تكون هذه الرّواية أصحّ – فقالت الضّبع: متى؟ وانفتح فوها، فأفلت الثّعلب. فضربت العرب بخصلتيْها المثل، فقالوا: عرض عليّ خصلتي الضّبع، لما لا خيار فيه"[٤].

---

[١] الميدانيّ، مجمع الأمثال، حقّقه وفصله وضبط غرائبه وعلّق حواشيه مُحمّد مُحيي الدّين عبد الحميد، ج١، ص٣١٤. وانظر: ج١، ص٢٠٦.

[٢] الخَصْلَة: الفضيلة والرّذيلة تكون في الإنسان. لسان العرب: مادّة (خصل).

[٣] الحريّ: الخليق. ويُقال كذلك: إنّه لَحَرىً بكذا وحَرٍ؛ أي خَليق. لسان العرب: مادّة (حري).

[٤] الميدانيّ، مجمع الأمثال، حقّقه وفصله وضبط غرائبه وعلّق حواشيه مُحمّد مُحيي الدّين عبد الحميد، ج٢، ص ص١٧٠- ١٧١، وانظر: ج١، ص ص٦٣٦- ٦٣٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن الخُرافات الأُخرى الّتي تقف وراء أمثال سائرة على وزن "أفعل"، خُرافات اشترك العرب والأُمم الأُخرى في معرفتها وتوظيفها، كحكاية المثل: "أعجز من الثّعلب عن العُنقود"، وهي خُرافة قديمة وردت في حكمة إيسوب[١]، وهي ذات مغزىً نقديّ ساخر، إذ تُخبرنا الرّواية العربيّة في مجمع أمثال الميدانيّ: "أنّ العرب تزعم أنّ الثّعلب نظر إلى العُنقود، فرامه، فلم ينله، فقال هذا حامض. وحكى الشّاعر ذلك؛ فقال:

أيُّها العائبُ[٢] سلمى أنتَ عندي كثُعالَة[٣]
رامَ[٤] عُنقوداً فلمّا أبصرَ العُنقودَ طالَه[٥]
قالَ: هذا حامضٌ لمّا رأى أنْ لا ينالَه"[٦]

أمّا الخُرافات الّتي تقف وراء أمثال سائرة لا تتصدّرها صيغة "أفعل"، فهي في مُعظمها أطول قليلاً من الخُرافات السّابقة، وهي ذات مضامين

---

[١] انظر: إيسوب، خُرافات إيسوب، ترجمة عبد الفتّاح الجمل، ط١، دار الفتى العربيّ، بيروت- لبنان، [د.ت]، ج١، ص١٩.

[٢] عابَهُ عَيْباً وعاباً، وعَيَّبَهُ وتَعَيَّبَهُ: نسبه إلى العيب، وجعله ذا عَيْب. لسان العرب: مادّة (عيب).

[٣] ثُعالَة: الثّعلب. لسان العرب: مادّة (ثعل).

[٤] رامَ يرومُهُ رَوْماً ومَراماً: طَلَبَهُ. لسان العرب: مادّة (روم).

[٥] طالَهُ: فاقَهُ في الطّول. لسان العرب: مادّة (طول).

[٦] الميدانيّ، مجمع الأمثال، حقّقه وفصله وضبط غرائبه وعلّق حواشيه مُحمّد مُحيي الدّين عبد الحميد، ج٢، ص٥٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فكريّة: سياسيّة واجتماعيّة، استعار بعضها أهل السّياسة والحُكْم للرّدّ على خُصومهم ومُعارضيهم والنّيل منهم، أو للتّعبير عمّا يقع عليهم من قهر سياسيّ واجتماعيّ.

من هذه الخُرافات، خُرافة "الحيّة والفأس"، أو خُرافة "ذات الصّفا"، وهي خُرافة معروفة في كُلّ من الأدب الهنديّ، واليونانيّ، واللاتينيّ القديم[١]، وفيها قيل المثل العربيّ: "كيف أُعاودك وهذا أثر فأسك؟"، وقد وظّفها النّابغة الذّبيانيّ[٢] في عتابه لآل مُرّة، بعد تواطئهم عليه وعلى قومه، وفي عتابه لقومه، بعد اجتماعهم عليه، مع طلبه حوائجهم عند المُلوك[٣]. وتمثّل بها عبد الملك بن مروان (٢٦- ٨٦هـ= ٦٤٦- ٧٠٥م) في خُطبة له على أهل قُريش، مُشبّهاً ما بين أهل قُريش وبني مروان من عداوة لن تصفو، بما بين الحيّة وشقيق الرّجل المغدور[٤].

---

[١] انظر: عبد المجيد عابدين، الأمثال في النّثر العربيّ القديم مع مُقارنتها بنظائرها في الآداب السّاميّة الأُخرى، ص٤٣.

[٢] أمير المُؤمنين الأُمويّ، عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أُميّة بن عبد شمس بن عبد مناف، أبو الوليد: بويع بعهد من أبيه في خلافة ابن الزّبير، وبقي على مصر والشّام، وابن الزّبير على باقي البلاد مُدّة سبع سنين. ثمّ غلب عبد الملك على العراق وما والاها، واستوثق الأمر له. وكان عظيماً، داهيةً، فقيهاً، غزير العلم، مُتعبّداً. انظر في أخباره: صلاح الدّين الصّفديّ، الوافي بالوفيات، ج١٤، ص ص١٠٣- ١٠٥.

[٣] انظر النّابغة الذّبيانيّ، ديوان النّابغة الذّبيانيّ، تحقيق مُحمّد أبي الفضل إبراهيم، ص١٥٣.

[٤] يُروى أنّ عبد الملك بن مروان حجّ "في بعض أعوامه، فأمر للنّاس بالعطاء، فخرجت بدرة مكتوبٌ عليها من الصّدقة، فأبى أهل المدينة قبولها، وقالوا: إنّما كان عطاؤنا من الفيء. فقال عبد الملك وهو على المنبر: يا معشر قُريش، مثلُنا ومثلكم أنّ أخوين في الجاهليّة خرجا مُسافرين، فنزلا في ظلّ شجرة تحت صفاة، فلمّا دنا الرّواح خرجت إليهما من تحت الصّفاة حيّة تحمل ديناراً، فألقته إليهما. فقالا: إنّ هذا لمن كنز. فأقاما عليها ثلاثة أيّام، كلّ يوم تُخرج إليهما ديناراً. فقال أحدهما لصاحبه: إلى متى ننتظر هذه الحيّة؟ ألا نقتلها ونحفر هذا الكنز فنأخذه؟ فنهاه أخوه، وقال له: ما تدري لعلّك تعطب ولا تدرك المال. فأبى عليه، وأخذ فأساً معه، ورصد الحيّة حتّى خرجت، فضربها ضربة جرحت رأسها، ولم تقتلها، فثارت الحيّة فقتلته، ورجعت إلى جحرها. فقام أخوه فدفنه، وأقام حتّى إذا كان من الغد خرجت الحيّة معصوباً رأسها وليس معها شيء. فقال لها: يا هذه، إنّي والله ما رضيت ما أصابك، ولقد نهيت أخي عن ذلك، فهل لكِ أن نجعل الله بيننا؛ أن لا تضرّيني ولا أضرّك، وترجعين إلى=

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد حظيت هذه الخُرافة بروايات كثيرة، إذ وجدت حيّزاً لها في كُتب الأمثال، مثلما وجدت موضعاً لها في مصادر الأدب العربيّ المُختلفة الأُخرى، كان من بينهما في القرن الخامس الهجريّ: "رسالة الغُفران"[١] لأبي العلاء المعرّيّ، و"مجمع الأمثال"[٢] للميدانيّ. وبينما أفاد أبو العلاء المعرّيّ في روايته لهذه الخُرافة ممّا جاء فيها من شعر التّابغة، بحيث بدت هذه الرّواية في جُزء منها وكأنّها مُنتزعة منه، من غير أن يمنع ذلك أبا العلاء من تذييل روايته بشعر التّابغة نفسه، مُوظّفاً هذه الخُرافة في سياق ردّه على ابن القارح[٣] (٣٥١- بعد ٤٢٤هـ= ٩٦٢- بعد ١٠٣٣م)، مُودعاً فيها نقداً مُبطّناً، فإنّ الميدانيّ قد حمل إلى مجمع أمثاله رواية المُفضّل الضّبّيّ لهذه الخُرافة، مع شيء يسير من الاختلاف في الألفاظ ومواضعها.

= ما كتبَ عليه؟ قالت الحيّة: لا . قال: ولِمَ ذلك؟ قالت: إنّي لأعلم أنّ نفسك لا تطيب لي أبداً، وأنت ترى قبر أخيك، ونفسي لا تطيب لك أبداً، وأنا أذكر هذهِ الشّجّة. وأنشدهم شعر التّابغة:

فقالتْ: أرى قبراً تراهُ مُقابلي وضربةَ فأسٍ فوقَ رأسيَ فاقرة

فيا معشر قُريش، وليكم عُمر بن الخطّاب، فكان فظّاً غليظاً مُضيّقاً عليكم؛ فسمعتم له وأطعتم، ثُمّ وليكم عُثمان، فكان ليّناً سهلاً؛ فعدوتم عليه، فقتلتموه، وبعثنا عليكم مُسلماً يوم الحرّة، فقتلناكم، فنحن نعلم يا معشر قُريش أنّكم لا تحبّوننا أبداً، وأنتم تذكرون يوم الحرّة، ونحن لا نُحبّكم أبداً، ونحن نذكر مقتل عُثمان".

المسعوديّ، مُروج الذّهب ومعادن الجوهر، تحقيق مُحمّد مُحيي الدّين عبد الحميد، ج٣، ص١٢٨.

[١] انظر: أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الغُفران ومعها نصّ مُحقّق من رسالة ابن القارح، تحقيق وشرح عائشة عبد الرّحمن، ص ص٣٦٤- ٣٦٥.

[٢] انظر: الميدانيّ، مجمع الأمثال، حقّقه وفصله وضبط غرائبه وعلّق حواشيه مُحمّد مُحيي الدّين عبد الحميد، ج٢، ص ص١٤٥- ١٤٦.

[٣] عليّ بن منصور بن طالب الحلبيّ، المُلقّب دَوْخَلَة، ويُعرَف بابن القارح، أبو الحسن: هو الّذي كتب إلى أبي العلاء المعرّيّ رسالة مشهورة تُعرف بـ "رسالة ابن القارح"، وأجابه المعرّيّ بـ "رسالة الغُفران". وكان شيخاً من أهل الأدب، راوية للأخبار، حافظاً لقطع كثيرة من اللّغة والأشعار، قيّماً بالنّحو، وكان ممّن خدم أبا عليّ الفارسيّ في داره وهو صبيّ، ثُمّ لازمه وقرأ عليه، وغدا مُؤدّباً للوزير أبي القاسم المغربيّ، وله فيه هجو كثير. انظر في أخباره: صلاح الدّين الصّفديّ، الوافي بالوفيات، ج١٤، ص ص٦٣٩- ٦٤٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعلى ما بين كُلّ من رواية أبي العلاء المعرّيّ والميدانيّ من اختلاف في أُسلوب السّرد، وبناء العبارات، وترتيب ذكر بعض الأحداث، فقد احتفظتا بالمضمون نفسه.

ولا بأس في الوُقوف عند رواية أبي العلاء المعرّيّ لهذه الخُرافة، وهي رواية فيها من الصّنعة ما عهدناه من أبي العلاء.

يقول أبو العلاء: "أما سمعتَ في عُمرك "بذات الصّفا"، الوافية لصاحب ما وفى؟ كانت تنزل بواد خصيب[١]، ما زمنها في العيشة بقَصيب[٢]، وكانت تصنع إليه الجميل[٣] في وِرْد الظّاهرة والغِبّ، وليس من كفر[٤] للمُؤمن بسِبٍّ[٥]. فلمّا ثَمر بُودّها ماله، وأمّل أن يجتذب[٦] آماله، ذكر عندها ثاره، وأراد أن يقتفر آثاره[٧]، وأكبّ على فأس مُعْمَلة، يَحُدُّ غُرابها للآملة، ووقف للسّاعية على صخرة، وهمّ[٨] أن ينتقم منها بأَخَرة[٩] – وكان أخوهُ ممّن قتلته، جاهرته في الحادثة، أو قيل خَتَلَته[١٠] – فضربها ضربة، وأهون بالمَقْر[١١] شَرْبة![١٢] إذا الرّجل

---

[١] الخِصْب: نقيض الجَدْب، وهو كَثرةُ العُشب ورفاغةُ العيش. ويُقال: مكان مُخْصِب وخَصيب. لسان العرب: مادّة (خصب).

[٢] قَصَبَهُ يَقْصِبُهُ قَصْباً وقَصَّبَهُ: شَتَمَهُ وعابَهُ. والقَصيب: المذموم. لسان لعرب: مادّة (قصب).

[٣] الجَميل: المعروف. لسان العرب: مادّة (جمل).

[٤] الكُفْر: جُحود النّعمة، وهو ضدّ الشُّكر. لسان العرب: مادّة (كفر).

[٥] السّبّ والسَّبيب: الّذي يُسابُّك. لسان العرب: مادّة (سبب).

[٦] اجتذبه: استلبه وناله. لسان العرب: مادّة (جذب).

[٧] اقْتَفَرَ الأَثَرَ وتَقَفَّرَهُ: تَتَبَّعَهُ واقتفاهُ. لسان العرب: مادّة (قفر).

[٨] هَمَّ بالشّيء هَمّاً: أرادهُ ونواهُ وعزمَ عليه. لسان العرب: مادّة (هم).

[٩] الأَخَرة: البُطء. لسان العرب: مادّة (أخر). ويُقال: جاء أَخَرَةَ وبأَخَرة: أي أخيراً. أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الغُفران ومعه نصّ مُحقّق من رسالة ابن القارح، تحقيق وشرح عائشة عبد الرّحمن، شرح المُحقّقة، الهامش الثّاني، ص٣٦٥.

[١٠] خَتَلَتْه: خدعته عن غفلة. لسان العرب: مادّة (ختل).

[١١] المَقْر بسُكون القاف وكسرها: نبات المُرّ. لسان العرب: مادّة (مقر).

[١٢] الشَّرْبة من الماء: ما يُشرب مرّة واحدة. وهي كذلك: المرّة الواحدة من الشُّرب. لسان العرب: مادّة (شرب).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أحسّ التّلف، وفقد من الأنيس الخَلَف[١]! فلمّا وُقيت ضربة فاسه، والحقد يُمسك بأنفاسه، ندم على ما صنع أشدَّ النّدم، ومن له في الجِدَة[٢] بالعدم[٣]؟ فقال للحيّة مُخادعاً، ولم يكن بما كتم صادعاً[٤]: هل لكِ أن نكون خلّين، ونحفظ العهد إلّين[٥]؟ ودعاها بالسَّفَه[٦] إلى حلف، وقد سُقي من الغدر بخِلْف[٧]. فقالت: لا أفعل وإن طال الدّهر، وكم قُصِم بالغِيَر[٨] ظَهْر! إنّي أجدك فاجراً مسحوراً، لم تأل[٩] في خُلَّتكِ[١٠] حوراً[١١]. تأبى لي صَكّة[١٢] فوق الرّاس، مارستها أبأس مِراس[١٣]، ويمنعك من أربك[١٤] قبر محفور، والأعمال الصّالحة لها وُفور[١٥]"[١٦].

---

(١) الخَلَف: الولد الصّالح يبقى بعد الإنسان. لسان العرب: مادّة (خلف).

(٢) جَدَوْتُهُ جَدْواً وأجدَيْتُهُ واستجديتُهُ: أتيتُه أسألُهُ حاجةً وطلبتُ جدواه. لسان العرب: مادّة (جدا).

(٣) العَدَم: فُقدان الشّيء وذهابه، وغلبَ على فقد المال وقلّته. لسان العرب: مادّة (عدم).

(٤) صَدَعَ بالأمر: أصابَ بهِ موضِعَهُ وجاهَرَ به، فهو صادِع. لسان العرب: مادّة (صدع).

(٥) الإلّ: العهد والحِلْف والقرابة والجار. لسان العرب: مادّة (ألل).

(٦) السَّفَهُ والسَّفاهُ والسَّفاهةُ: خِفّةُ الحِلْم. لسان العرب: مادّة (سفه).

(٧) الخِلْف: الضَّرْع. وخصّ به بعضهم ضَرْع النّاقة. وقيل: الخِلْف، بالكسر: حلمةُ ضَرْع النّاقة القادِمان والآخِران، والجمع خُلوف. لسان العرب: مادّة (خلف).

(٨) الغِيَرُ: الاسم من قولك: غيّرت الشّيء فتغيّر. لسان العرب: مادّة (غير). والمقصود أحوال الدّهر وأحداثه المُتغيّرة.

(٩) ألَوْتُ أنْ أفعله ألْواً وألُوّاً: ما تركتُ. لسان العرب: مادّة (ألا).

(١٠) الخُلّة: الصّداقة. لسان العرب: مادّة (خلل).

(١١) الحور: الرّجوع والنّقصان بعد الزّيادة، لأنّه رُجوع من حال إلى حال. لسان العرب: مادّة (حور).

(١٢) الصّكّة: الضّربة. لسان العرب: مادّة (صكك).

(١٣) المِراس: المُمارسة. لسان العرب: مادّة (مرس). أي عانيتُ جرّاءها أيّما مُعاناة.

(١٤) الأَرَب: الحاجة. لسان العرب. مادّة (أرب).

(١٥) وَفَرَهُ عطاءهُ: ردّه عليه وهو راض. لسان العرب: مادّة (وفر).

(١٦) أبو العلاء المعرّي، رسالة الغُفران ومعها نصّ مُحقّق من رسالة ابن القارح، تحقيق وشرح عائشة عبد الرّحمن، ص ص٣٦٤- ٣٦٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن هذه الخُرافات كذلك، الخُرافة الّتي يتنازعها المثلان: "حدّث حديثين امرأة فإنْ لم تفهم فأربعة"، و "في بيته يُؤتى الحَكَم"، وقد تمثّل بها النُعمان بن بشير الأنصاريّ[١] (٢- ٦٥هـ= ٦٢٣- ٦٨٤م) في خُطبة له على أهل الكوفة وهو عامل فيها[٢]. ويشترك كُلّ من الواحديّ[٣][٤]

---

[١] النُعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الخزرجيّ الأنصاريّ، أبو عبد اللّه: أوّل مولود وُلد للأنصار بعد الهجرة، كان أميراً على الكوفة لمُعاوية تسعة أشهر، ثُمّ كان أميراً على حمص لمُعاوية، ثُمّ ليزيد، فلمّا مات يزيد صار زُبيريّاً، فخالفه أهل حمص، فأخرجوه منها، واتّبعوه فقتلوه. وكان كريماً، جواداً، شاعراً، خطيباً، وروى عنه جماعة من التّابعين؛ كالشّعبيّ، وحُميد بن عبد الرّحمن بن عوف. انظر في أخباره: صلاح الدّين الصّفديّ، الوافي بالوفيات، ج١٦، ص ص٧٢- ٧٣.

[٢] انظر: أبو عُبيد، الأمثال، حقّقه وعلّق عليه وقدّم له عبد المجيد قطامش، ط١، جامعة الملك عبد العزيز، المملكة العربيّة السُعوديّة، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ص٥٤.

[٣] عليّ بن أحمد بن مُحمّد بن عليّ بن مَتُّويه الواحديّ المتُويّ، أبو الحسن: صاحب التّفاسير المشهورة، كان أُستاذ عصره في النّحو والتّفسير، ورُزق السّعادة في تصانيفه، وأجمع النّاس على حُسنها، وذكرها المُدرّسون في دُروسهم، منها: "البسيط" في تفسير القُرآن الكريم، وكذلك "الوسيط"، و "الوجيز"، ومنه أخذ أبو حامد الغزاليّ أسماء كُتبه الثّلاثة، وله كتاب "أسباب النُزول"، و "التّحبير في شرح أسماء اللّه الحُسنى". وشرحَ ديوان أبي الطّيّب المُتنبّي شرحاً وافياً. انظر في أخباره: ابن خلّكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، حقّقه إحسان عبّاس، المُجلّد الثّالث، ص ص٣٠٣- ٣٠٤.

[٤] أشار الواحديّ في كتابه "الوسيط في الأمثال" إلى أنّ النُعمان بن بشير قد تمثّل بهذه الحكاية في خُطبته على أهل الكوفة، بعد أن بلغه كلام قيل بعد مقتل مُعاوية بن أبي سُفيان، ولم أجد في كتاب الأغاني الّذي وجدت فيه نصّ الخُطبة إشارة إلى أنّ النُعمان بن بشير قد خطب بأهل الكوفة إذ بلغه كلام قيل بعد مقتل مُعاوية. وإنّما وجدت أنّ مُناسبة الخُطبة، هي أنّ مُعاوية قد أمر لأهل الكوفة بزيادة عشرة دنانير في أعطيتهم، فأبى النُعمان بن بشير أن يُنفذها لهم، فلمّا سألوه، صعد المنبر، وخطب بهم، مُتمثّلاً بحكاية الضّبّ والثّعلب والضّبع؛ قال صاحب "الأغاني": "أمر مُعاوية لأهل الكوفة بزيادة عشرة دنانير في أعطيتهم – وعامِلُه يومئذٍ على الكوفة، وأرضها النُعمان بن بشير، وكان عُثمانيّاً، وكان يُبغض أهل الكوفة، لرأيهم في عليّ عليه السّلام- فأبى النُعمان أن يُنفذها لهم، فكلّموه، وسألوه باللّه، فأبى أن يفعل؛ فصعد المنبر يوماً، فقام إليه أهل الكوفة، فقالوا: نُنشدك اللّه والزّيادة. قال: اسكتوا. فلمّا أكثروا، قال: تدرون ما مَثَلي ومَثَلُكُم إلاّ=

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(...- ٤٦٨هـ= ...- ١٠٧٦م)، والميدانيّ[١]، والرّاغب[٢] الأصفهانيّ[٣] (...- ٥٠٢هـ= ...- ١١٠٨م)، في رواية هذه الخُرافة، مع شيء من الاختلاف في بعض الألفاظ تغييراً أو حذفاً أو زيادة. وتُقدِّم رُدود الضّبّ فيها مثالاً على بلاغة العبارة العربيّة وإيجازها من جهة، وانحرافها عن توقُّع السّائل من جهة أُخرى. يقول الواحديّ: "في بيته يُؤتى الحكم: هذا شيء تمثّل به العرب على المدح وضعاً ولا أصل له. زعموا أنّ الأرنب وجدت تمرة، فاختلسها الثّعلب منها فأكلها، فانطلقت به إلى الضّبّ ليحتكما عنده. فقالت الأرنب: يا أبا الحِسل[٤]. فقال: سميعاً دعوتِ. قالت: أتيناك لنحتكم إليك، فابرز إلينا. قال الضّبّ: في بيته يُؤتى الحكم. قالت

= مثل الضَّبُعِ والضّبّ والثّعلب. فإنّ الضّبُع والثّعلب أتيا الضّبّ في وِجاره، فناداياه أبا الحسل. فقال: سميعاً دعوتكما. قالا: أتيناك لتحكم بيننا. قال: في بيته يُؤتى الحكم. قالت الضّبُع: إنّي حللتُ عيني. قال: فعل الحرّة فعلتِ. قالت: فلقطتُ تمرة. قال: طيّباً لقُطتِ. قالت: فأكلها الثّعلبُ. قال: لنفسه نظر. قالت: فلطمته. قال: بجرمِهِ. قالت: فلطمني. قال: حُرّ انتصر. قالت: فاقضِ بيننا. قال: حدّث امرأة حديثين فإن أبت فعشرة". انظر: الواحديّ، الوسيط في الأمثال، تحقيق عفيف مُحمّد عبد الرّحمن، ط١، مُؤسّسة دار الكُتب الثّقافيّة، الكُويت، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، ص١٣٢؛ أبو الفرج الأصبهانيّ، الأغاني، أشرفت على ضبطه وتصحيحه لجنة من الأُدباء والمُدرّسين، المُجلّد التّاسع عشر، ص ص٢٧٠- ٢٧١.

[١] انظر: الميدانيّ، مجمع الأمثال، حقّقه وفصله وضبط غرائبه وعلّق حواشيه مُحمّد مُحيي الدّين عبد الحميد، ج٢، ص٧٢.

[٢] الحُسين بن مُحمّد بن المُفضّل، أبو القاسم الأصفهانيّ، المعروف بالرّاغب: أحد أعلام العلم ومشاهير الفضل، مُتحقّق بغير فنّ من العلم، وله تصانيف تدلّ على تحقيقه، وسَعَة دائرته في العُلوم، وتمكُّنه منها، من هذه التّصانيف: "مُحاضرات الأُدباء"، و "الذّريعة إلى مكارم الشّريعة"، و "الأخلاق"؛ ويُسمّى "أخلاق الرّاغب"، و "جامع التّفاسير"، و "المُفردات في غريب القُرآن" وغيرها. انظر في أخباره: صلاح الدّين الصّفديّ، الوافي بالوفيات، ج٩، ص١٠١؛ خير الدّين الزّركلي، الأعلام، ج٢، ص٢٥٥.

[٣] انظر: الرّاغب الأصفهانيّ، مُحاضرات الأُدباء ومُحاورات الشُّعراء والبُلغاء، حقّقه وضبط نُصوصه وعلّق حواشيه عُمر فاروق الطّبّاع، ج٢، ص ص٧٥٠- ٧٥١.

[٤] الحِسل: ابن الضّبّ. لسان العرب: مادّة (حسل).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأرنب: إنّي وجدت تمرة. قال الضّبّ: حلوة فكليها. قالت: اختلسها الثّعلب، فأكلها. قال الضّبّ: لنفسه بغى الخير. قالت الأرنب: فلطمته. قال الضّبّ: بحقّك أخذت. قالت: فلطمني. قال الضّبّ: حُرٌّ انتصر. قالت الأرنب: فاقض بيننا. قال الضّبّ: حدّث الرّعناء[١] بحديثين، فإن أبت [فأربعة][٢]، وأمسك عن مُحاجّتها[٣]"[٤].

ومن الخُرافات الّتي تقف وراء أمثال سائرة، الخُرافة الّتي تسند المثل: "إنّما أُكلت يوم أُكل الثّور الأبيض"، وهي إحدى الخُرافات العراقيّة القديمة الّتي انتقلت إلى مجموعة إيسوب[٥]. وقد تمثّل بها عليّ بن أبي طالب[٦] (٢٣ ق.هـ- ٤٠هـ= ٦٠٠- ٦٦١م)- كرّم اللّه وجهه- في خُطبة له، واجداً فيما آل إليه حال الثّور الأحمر من ضعف وهوان، وما ينتظره من مصير محتوم غادر، حاله بعد مقتل عُثمان بن عفّان[٧] - رضي اللّه عنه - (٤٧ ق.هـ- ٣٥هـ=

---

(١) الرّعناء: مُؤنّث الأرعن، وهو الأهوج في منطقه، المُسترخي. لسان العرب: مادّة (رعن).

(٢) الكلمة في الأصل: فأربع.

(٣) حاجّهُ مُحاجّةً وحِجاجاً: نازَعَهُ الحُجّة. لسان العرب: مادّة (حجج).

(٤) الميدانيّ، مجمع الأمثال، حقّقه وفصله وضبط غرائبه وعلّق حواشيه مُحمّد مُحيي الدّين عبد الحميد، ج٢، ص٧٢.

(٥) انظر: إيسوب، خُرافات إيسوب، ترجمة عبد الفتّاح الجمل، ج١، ص١٤٣.

(٦) عليّ بن عبد مَناف أبي طالب بن عامر بن المُطّلب بن هاشم، أبو الحسن القُرشيّ الهاشميّ –كرّم اللّه وجهه – رابع الخُلفاء الرّاشدين، وأوّل خليفة من بني هاشم، وأحد العشرة المقطوع لهم بالجنّة، وابن عمّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم، وصهـره، كان فارساً شُجاعاً، وعليماً فقيهاً، بويع له بالخلافة يوم قُتل عُثمان بن عفّان رضي اللّه عنه (٣٥هـ). انظر في أخباره: ابن الأثير، الكامل في التّاريخ، ج٣، ص ص٣٤٤- ٣٥٠؛ صلاح الدّين الصّفديّ، الوافي بالوفيات، ج١٤، ص ص٤١٧- ٤٢٤؛ السُّويديّ، سبائك الذّهب في معرفة قبائل العرب، ص٣١٩.

(٧) عُثمان بن عفّان بن أبي العاص بن أُميّة، أبو عمرو، ويُقال: أبو عبد اللّه، وأبو ليلى: ثالث الخُلفاء الرّاشدين، وأحد العشرة المقطوع لهم بالجنّة، لُقّب بذي النّورَيْن؛ لأنّه تزوّج بنتي رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم: رُقيّة، فأُمّ كُلثوم. بويع بالخلافة بعد دفن عمر، رضي اللّه عنه، بثلاث ليال، وافتُتحت في أيّامه أرمينية، والقوقاز، وخُراسان، وكرمان، وسجستان، وإفريقية، وقبرص. وتمّ جمع القُرآن. له فضائل ومواقف عظيمة، وقد قُتل مظلوماً. انظر في أخباره: ابن الأثير، الكامل في التّاريخ، ج٣، ص ص١٥٥- ١٦٣؛ السُّويديّ، سبائك الذّهب في معرفة قبائل العرب، ص٣٥٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٥٧٧- ٦٥٦م). يقول الميدانيّ تحت المثل المذكور: "يُروى أنّ أمير المُؤمنين عليّاً، رضي اللّه تعالى عنه، قال: إنّما مثلي ومثل عُثمان كمثل أثوار ثلاثة كُنّ في أجمة[١]، أبيض وأسود وأحمر، ومعهنّ فيها أسد، فكان لا يقدر منهنّ على شيء لاجتماعهنّ عليه. فقال للثّور الأسود والثّور الأحمر: لا يدلّ علينا في أجمتنا إلاّ الثّور الأبيض، فإنّ لونه مشهور، ولوني على لونكما، فلو تركتماني آكله، صفت لنا الأجمة. فقالا: دونك فكُله. فأكله. فلمّا مضت أيّام، قال للأحمر: لوني على لونك، فدعني آكل الأسود لتصفو لنا الأجمة. فقال: دونك فكُله. فأكله. ثمّ قال للأحمر: إنّي آكلك لا محالة. فقال: دعني أُنادي ثلاثاً. فقال: افعل. فنادى: ألا إنّي أُكلت يوم أُكل الثّور الأبيض. ثمّ قال عليّ رضي اللّه عنه: ألاّ إنّي هُنت[٢]، ويُروى وَهَنْتُ[٣]، يوم قُتِل عُثمان"[٤].

ومنها كذلك، خُرافة غدر الثّعلب الّتي نقطفها عن المثل: "لا أُحبّ تخديش[٥] وجه الصّاحب"، وهي خُرافة ترمز لكُلّ غادر كاذب، يُريك من نفسه خيراً يُواري به غدراً. يقول الميدانيّ: "تزعم العرب أنّ الثّعلب رأى حجراً أبيض بين لِصْبَيْن[٦]، فأراد أن يغتال[٧] به الأسد، فأتاه ذات يوم، فقال: يا أبا الحارث، الغنيمة[٨] الباردة، شحمة[٩] رأيتها بين لِصبيْن،

---

[١] الأَجَمَة: مَنبت الشّجر. لسان العرب: مادّة (أجم).

[٢] هانَ يهونُ هَواناً: ضَعُفَ وذَلَّ. لسان العرب: مادّة (هون).

[٣] وَهَنَ وَوَهِنَ: ضَعُفَ. لسان العرب: مادّة (وهن).

[٤] الميدانيّ، مجمع الأمثال، حقّقه وفصله وضبط غرائبه وعلّق حواشيه مُحمّد مُحيي الدّين عبد الحميد ج١، ص٣٦.

[٥] خَدَش جلده ووجهه يَخْدِشُهُ خَدْشاً: مزّقه. وخدَّشَهُ: شُدِّدَ للمُبالغة أو للكثرة. لسان العرب: مادّة (خدش).

[٦] اللِصْبان: مُثنّى اللِصْب- بكسر اللام وسُكون الصّاد- مضيق الوادي، أو شَقّ في الجبل، والجمع لُصوب ولِصاب. لسان العرب: مادّة (لصب).

[٧] غَالَهُ غَوْلاً واغْتالَهُ: أهلكهُ وأخذهُ من حيث لم يَدْر. لسان العرب: مادّة (غول).

[٨] الغَنيمة: الفيء. وغَنِمَ الشّيء غُنْماً: فازَ به. والعرب يقولون: هذه غنيمة باردة؛ إذا لم يكن فيها حرب. لسان العرب: مادّة (غنم). وانظر: الميدانيّ، مجمع الأمثال، حقّقه وضبط غرائبه وعلّق حواشيه مُحمّد مُحيي الدّين عبد الحميد،ج٢،ص ص٢٥٢-٢٥٣.

[٩] الشَّحْم: جوهر السَّمن. والجمع شُحُوم، والقطعة منه شَحْمة. لسان العرب: مادّة (شحم).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فكرهت أن أدنو منها، وأحببت أن تُولّى[١] ذلك أنت، فهلمّ لأُريكها. قال: فانطلق به حتّى قام به عليه. فقال: دونك يا أبا الحارث. فذهب الأسد ليدخل فضاق به المكان. فقال له الثّعلب: اردُس برأسك، أي ادفع برأسك. قال: فأقبل الأسد يردُس برأسه حتّى نَشِب[٢]، فلم يقدر أن يتقدّم ولا أن يتأخّر. ثُمّ أقبل الثّعلب يخوره، أي يخدش خَوْرانه[٣] من قِبَل دُبره. فقال الأسد: ما تصنع يا ثُعالة؟ قال: أُريد لأستنقذك. قال: فمن قِبَل الرّأس إذن! فقال الثّعلب: لا أُحبّ تخديش وجه الصّاحب"[٤].

ومنها كذلك، الخُرافة الّتي نقطفها عن المثل: "وكذلك النُّجار[٥] يختلف"، وهو مثل يُضرب للمُختلفين؛ فكما أنّ الأُصول تختلف، فكذلك تختلف سُبل الأفراد ووسائلهم. وهذه الخُرافة خُرافة قديمة، وردت في حكمة أحيقار[٦]. وهي تروي لنا "أنّ ثعلباً اطّلع[٧] في بئر، فإذا في أسفلها دلو، فركب الدّلو الأُخرى، فانحدرت به، وعلت الأُخرى، فشرب، وبقي في البئر، فجاءت الضّبعُ فأشرفت[٨]، فقال لها الثّعلب: انزلي فاشربي. فقعدت في الدّلو، فانحدرت بها، وارتفعت الأُخرى بالثّعلب، فلمّا رأته مُصعداً، قالت له: أين تذهب؟

---

[١] تُولّى: تتتلّد. لسان العرب: مادّة (ولي).

[٢] نَشِبَ الشّيء في الشّيء، نَشَباً ونُشوباً ونُشْبَة: لم يَنْفُذ. لسان العرب: مادّة (نشب).

[٣] الخَوْران: مجرى الرَّوْث. ويُقال: طعنه فخاره، أي أصاب خَوْرانه. لسان العرب: مادّة (خور).

[٤] الميدانيّ، مجمع الأمثال، حقّقه وفصله وضبط غرائبه وعلّق حواشيه مُحمّد مُحيي الدّين عبد الحميد، ج٢، ص٢٤٠.

[٥] النّجار والنُّجار: الأصل والحَسَب. لسان العرب: مادّة (نجر).

[٦] انظر: داود سلّوم، قصص الحيوان في الأدب العربيّ القديم، ص٣٤.

[٧] اطّلع: نظر إليه من علٍ. لسان العرب: مادّة (طلع).

[٨] أشرفَتْ: أطلّتْ على. لسان العرب: مادّة (شرف).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال: كذلك التُّجار يختلف، فذهبت مثلاً"[١]. ويُروى: "«كذاك التِّجارُ تختلف»، جمع تاجر بالتّاء"[٢].

ومن الخُرافات الّتي تسند أمثالاً أيضاً، الخُرافة الّتي نلتقطها عن المثل: "بقي أَشَدُّهُ"، وهي خُرافة قديمة، وردت في مجموعة إيسوب[٣]، ولنا أن نقرأ عبرتها من غير زاوية؛ فهي تهمس تارة بأنّ من السّهل علينا أحياناً أن نقترح ومن العسير أن نُنفّذ، وتهمس أُخرى بأنّ الفكرة ذات القيمة، هي تلك الّتي يُمكن تنفيذها على أرض الواقع. يقول الميدانيّ: "بقي أَشَدُّهُ، ويُروى بقي شِدّة. قيل: كان من شأن هذا المثل أنّه كان في الزّمان الأوّل هرّ أفنى الجرذان وشرّدها، فاجتمع ما بقي منها. فقالت: هل من حيلة نحتال بها لهذا الهرّ لعلّنا ننجو؟ فاجتمع رأيها على أن تُعلّق في رقبته جُلْجُلاً[٤]؛ حتّى إذا تحرّك لها سمعن صوت الجُلْجُل فأخذن حذرهنّ. فجُئن بالجُلْجُل. فقال بعضهنّ: أيّنا يُعلّقه الآن؟ فقال الآخر: بقي أَشَدُّهُ. أو قال: شدّة. يُضرب عند الأمر يبقى أصعبه وأهوله. وهذا ممّا تمثّل به العرب عن ألسن البهائم"[٥].

أمّا الخُرافات الّتي لا تقف وراء أمثال سائرة، فكثيرة، مُتفاوتة الحجم، كثير منها ذو أُصول في التُّراث العراقيّ القديم، تمدُّنا بهذه الخُرافات، في الأغلب، كُتب الأدب العربيّ، ولا سيّ

---

[١] الميدانيّ، مجمع الأمثال، حقّقه وفصله وضبط غرائبه وعلّق حواشيه مُحمّد مُحيي الدّين عبد الحميد، ج٢، ص١٤٥.

[٢] المصدر نفسه، ج٢، ص١٤٥.

[٣] انظر إيسوب، خُرافات إيسوب، ترجمة عبد الفتّاح الجمل، ج١، ص٢٤.

[٤] الجُلْجُل: واحد الجلاجل، وهي الأجراس الصّغيرة. لسان العرب: مادّة (جلل).

[٥] الميدانيّ، مجمع الأمثال، حقّقه وفصله وضبط غرائبه وعلّق حواشيه مُحمّد مُحيي الدّين عبد الحميد، ج١، ص١٠٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المُنوّعة، كـ "نثر الدُّرّ" لأبي سعد الآبيّ[١] (...- ٤٢١هـ= ...- ١٠٣٠م)، و "جمع الجواهر في المُلح والنّوادر" للحُصْريّ[٢] (...- ٤٥٣هـ= ...- ١٠٦١م)، و"مُحاضرات الأُدباء ومُحاورات الشُّعراء والبُلغاء" للرّاغب الأصفهانيّ.

حظي كثير من هذه الخُرافات، من قبلُ، بتوظيف أهل السّياسة والحُكم في الرّدّ على خُصومهم ومُعارضيهم والنّيل منهم، وفي التّعبير عمّا يقع عليهم من ظُلم سياسيّ واجتماعيّ قاهر، شأنها في ذلك شأن بعض الخُرافات الّتي تقف وراء أمثال سائرة.

من هذه الخُرافات، خُرافات مُمعنة في الإيجاز، ذات مضامين فكريّة نقديّة ساخرة حادّة، كخُرافة "البعوضة والنّخلة"، وهي خُرافة قديمة، وردت في حكمة أحيقار، وانضوت في مجموعة كُلّ من لُقمان[٣]، وإيسوب[٤]، وفايدروس[٥]، وقد نجم عن تداولها وتناقلها أن تعدّدت صُورها الّتي احتفظت بالمضمون نفسه، مع اختلاف في شخصيّتيها؛ فكانت النّخلة

---

(١) منصور بن الحُسين الرّازي، أبو سعد الآبيّ: تقلّد الوزارة بالرّيّ، وكان يُلقّب بالوزير الكبير، وكان يُعرف بشرف النّفس، وكرم الطّبع، وعُلوّ الهمّة، وعظم الحشمة، كان أجمع أهل زمانه لمحاسن الآداب، وأغوصهم على خبايا العُلوم. من تصانيفه: كتاب "التّاريخ"، الّذي لم يُسبق إلى تصنيف مثله، وكتاب "نثر الدُّرّ"، وله بلاغة، وشعر بارع. انظر في أخباره: الثّعالبي، تتمّة يتيمة الدّهر في محاسن أهل العصر، شرح وتحقيق مُفيد مُحمّد قميحة، ط١، دار الكُتب العلميّة، بيروت- لبنان، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص ص١١٩- ١٢٦.

(٢) إبراهيم بن عليّ بن تميم، أبو إسحق الأنصاريّ، الحُصْريّ القيروانيّ: شاعر مشهور،كان شُبّان القيروان يجتمعون عنده، ويأخذون عنه، ورأس عندهم، وشُرُف لديهم، وسارت تأليفاته، وانثالت عليه الصّلات، من تصانيفه: كتاب "زهر الآداب"، وهو مشهور من أُمّات الكُتب، جمع فيه أخبار المشرق، وكلامهم، ودقائقهم. انظر في أخباره: صلاح الدّين الصّفديّ، الوافي بالوفيات، ج٤، ص ص٥٢- ٥٣.

(٣) انظر: داود سلّوم، قصص الحيوان في الأدب العربيّ القديم، ص٣٠.

(٤) انظر: إيسوب، خُرافات إيسوب، ترجمة عبد الفتّاح الجمل، ج١، ص٥٦.

(٥) انظر: داود سلّوم، قصص الحيوان في الأدب العربيّ القديم، ص٣٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فيلاً عند أحيقار، وثوراً عند لُقمان وإيسوب[١]، وجملاً عند فايدروس، في حين كانت الذُبابة الشّخصيّة المُقابلة عند لُقمان[٢]، وحلّت محلّها النّاموسة عند إيسوب[٣].

وقد وظّف هذه الخُرافة الحسن بن عليّ في ردّه على المُغيرة بن شُعبة، والاستهانة به وبعداوته[٤] - وقد سبقت الإشارة إلى ذلك[٥] - تقول هذه الخُرافة: "قالت البعوضة للنّخلة: استمسكي فإنّي عنك ناهضة. فقالت: ما أحسست وُقوعك، فكيف نُهوضك!"[٦].

ويُمكننا أن نقع على هذه الخُرافة في مُحاضرات الرّاغب الأصفهانيّ، وقد وُظّفت في سياق اجتماعيّ ساخر[٧].

ومن الخُرافات الموجزة السّاخرة، خُرافة البغل الّذي يفتخر بخُؤولته للفرس إذ يُسأل عن أبيه، وهي إحدى الخُرافات العراقيّة القديمة[٨] الّتي انتقلت إلى مجموعة إيسوب[٩] مُحمّلة

---

[١] انظر: داود سلّوم، قصص الحيوان في الأدب العربيّ القديم، ص٣٠؛ إيسوب، خُرافات إيسوب، ترجمة عبد الفتّاح الجمل، ج١، ص٥٦.

[٢] انظر: داود سلّوم، قصص الحيوان في الأدب العربيّ القديم، ص٣٠.

[٣] انظر: إيسوب، خُرافات إيسوب، ترجمة عبد الفتّاح الجمل، ج١، ص٥٦.

[٤] انظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ضبطه وصحّحه مُحمّد عبد الكريم النّمريّ، المُجلّد الثّالث، الجزء السّادس، ص١٧٩.

[٥] انظر: هذه الرّسالة، ص٣٧- ٣٨.

[٦] الثّعالبي، التّمثيل والمُحاضرة، تحقيق عبد الفتّاح مُحمّد الحلو، ص٣٧٦.

[٧] انظر: الرّاغب الأصفهانيّ، مُحاضرات الأدباء ومُحاورات الشُّعراء والبُلغاء، حقّقه وضبط نُصوصه وعلّق حواشيه عُمر فاروق الطّبّاع، ج٢، ص٢٨٦.

[٨] انظر: داود سلّوم، قصص الحيوان في الأدب العربيّ القديم، ص٣٤.

[٩] انظر: إيسوب، خُرافات إيسوب، ترجمة عبد الفتّاح الجمل، ج٢، ص٦٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بمزيد من التّفاصيل. وقد وظّف هذه الخُرافة ابن عبّاس في مُناظرته مع ابن الزّبير[١] (١- ٧٣هـ= ٦٢٢- ٦٩٢م)، مُستنكراً عليه تعييبه على بني هاشم[٢]، وجعلها أبو العلاء المعرّيّ فاتحة الحوار بين الصّاهل والشّاحج[٣]، وإحدى القضايا الخلافيّة فيه. تقول هذه الخُرافة: "قيل للبغل: من أبوك؟ قال: خالي الفرس"[٤].

ومن هذه الخُرافات كذلك، خُرافة "الثّعلب واللبؤة"، وهي إحدى الخُرافات الّتي تُنسب إلى إيسوب[٥]، وتقول: عيّر ثعلب لبؤة بأنّها لا تلد إلاّ مرّة واحدة، فجاء جوابها إليه مُباغتاً، إذ قالت: نعم، ولكنّه أسد[٦].

---

[٢] عبد اللّه بن الزّبير بن العوّام بن خُويلد بن أسد بن قُصيّ القُرشيّ الأسديّ، يُكنّى أبا بكر: أوّل مولود في الإسلام في المدينة. روى عن أبيه، وأبي بكر، وعُمر، وعُثمان. وشهد اليرموك، وغزا القُسطنطينيّة والمغرب، وله مواقف مشهودة، وكان فارس قُريش في زمانه، بويع بالخلافة سنة أربع وستّين، وحكم على الحجاز، واليمن، ومصر، والعراق، وخُراسان، وأكثر الشّام. انظر في أخباره: صلاح الدّين الصّفديّ، الوافي بالوفيات، ج١٢، ص ص٨٦- ٩٠.

[٣] هاشم بن عبد مناف بن قُصيّ بن مُرّة، من قُريش، وانتهت إليه سيادتها، وكانت له السّقاية والرّفادة بمكّة، ومن بنيه الرّسول صلّى اللّه عليه وسلّم. قال ابن عبّاس: "واعجباً كُلّ العجب لابن الزّبير! يعيب بني هاشم، وإنّما شرف هو وأبوه وجدّه بمصاهرتهم، أمّا واللّه إنّه لمصلوب قُريش، ومتى كان العوّام بن خُويلد يطمع في صفيّة بنت عبد المُطلّب؟ قيل للبغل: من أبوك يا بغل؟ قال: خالي الفرس". ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ضبطه وصحّحه مُحمّد عبد الكريم النّمريّ، المُجلّد العاشر، الجزء العشرون، ص٦٥. وانظر: السُّويديّ، سبائك الذّهب في معرفة قبائل العرب، ص٣١٤.

[٤] انظر: أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاحج، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص ص٩٦- ١١٥.

[٥] الثّعالبي، التّمثيل والمُحاضرة، تحقيق عبد الفتّاح مُحمّد الحلو، ص٣٤٢. وانظر: الميدانيّ، مجمع الأمثال، حقّقه وفصّله وضبط غرائبه وعلّق حواشيه مُحمّد مُحيي الدّين عبد الحميد، ج٢، ص١١٠.

[٦] انظر: إيسوب، خُرافات إيسوب، ترجمة عبد الفتّاح الجمل، ج١، ص١٣٥.

[٧] انظر: ابن هندو، الكَلِم الرّوحانيّة في الحِكَم اليونانيّة، صحّحه والتزم طبعه مُصطفى التّبّانيّ الدّمشقيّ، ط١، مطبعة التّرقّي، مصر، ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م، ص٣؛ أبو سعد الآبيّ، نثر الدُّرر، تحقيق مُنير مُحمّد المدني، مُراجعة حسين نصّار، ج٧، الباب الرّابع عشر، ص٢٧٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومنها، خُرافة "الجدي والذّئب"، أو خُرافة المكان، أو المنصب، أو الوضع الاجتماعيّ، كما يُمكن أن ندعوها، وفيها يشتم الجدي الواقف على سطح ذئباً مارّاً، فما يكون من هذا الأخير إلاّ أن يردّ عليه قائلاً: لست أنت الّذي يشتمني، ولكن يشتمني المكان الّذي أنت فيه[١].

وقد نسب ابن هندو[٢] (...-٤٢٠هـ= ...-١٠٢٩م) في كتابه "الكَلِم الرّوحانيّة في الحِكَم اليونانيّة" هذه الخُرافة إلى اليونان، مثلما نسب إليهم كُلاًّ من خُرافتي "الثّعلب والأفعى"، و "الثّعلب والعَوْسَجة"[٣]، وروى الرّاغب الأصفهانيّ الثّانية على لسان سُقراط[٤] (نحو ٤٧٠- ٣٩٩ ق.م) منهم[٥]، وكان قد نسب هذه الخُرافات الثّلاث إلى اليونان، من قبل، ابن أبي عَوْن[٦]

---

[١] انظر: ابن هندو، الكَلِم الرّوحانيّة في الحِكَم اليونانيّة، صحّحه والتزم طبعه مُصطفى القبّانيّ الدّمشقيّ، ص ص٩- ١٠؛ أبو سعد الآبيّ، نثر الدُّرّ، تحقيق مُنير مُحمّد المدني، مُراجعة حسين نصّار، ج٧، الباب الرّابع عشر، ص٢٧٦؛ الحُصْريّ، جمع الجواهر في المُلح والنّوادر، حقّقه وضبطه وفصل أبوابه ووضع فهارسه علي مُحمّد البجّاوي، ص٣٦٧؛ الرّاغب الأصفهانيّ، مُحاضرات الأُدباء و مُحاورات الشُّعراء والبُلغاء، حقّقه وضبط نُصوصه وعلّق حواشيه عُمر فاروق الطّبّاع، ج٢، ص٧٥٣.

[٢] عليّ بن الحُسين بن مُحمّد بن هِندو، أبو الفرج: الكاتب، والأديب، والشّاعر، له رسائل مُدوّنة، وكان أحد كُتّاب الإنشاء في ديوان عضد الدّولة، وكان مُتفلسفاً. من تصانيفه: كتاب "مفتاح الطّبّ"، و "المقالة المُشوّقة في المدخل إلى علم الفلسفة"، و "الكَلِم الرّوحانيّة في الحِكَم اليونانيّة". انظر: صلاح الدّين الصّفديّ، الوافي بالوفيات، ج١٤، ص ص٢٨٢- ٢٨٥.

[٣] انظر: ابن هندو، الكَلِم الرّوحانيّة في الحِكَم اليونانيّة، صحّحه والتزم طبعه مُصطفى القبّانيّ الدّمشقيّ، ص ص٩- ١٠.

[٤] سُقراط: فيلسوف يونانيّ، أحدث ثورة في الفلسفة بأُسلوبه وفكره، جعل محور الفلسفة معرفة الإنسان نفسه، ودرس تصرُّفاته، والنّواميس الّتي تدفعه إليها؛ وبهذا أسّس علم الأخلاق. وقد حارب السّفسطة، وانتقد الحُكم، فاتّهمه خُصومه بالزّندقة، وحكموا عليه بالموت. ففضّل الموت احتراماً لشرائع مدينته، وشرب السّمّ، ومات في سجنه. وصلت إلينا تعاليمه في كُتب تلميذيْه: أفلاطون، وكسينوفون. انظر: مجموعة من المُؤلّفين، المُنجد في اللُّغة والأعلام، ص٣٥٨.

[٥] انظر: الرّاغب الأصفهانيّ، مُحاضرات الأُدباء ومُحاورات الشُّعراء والبُلغاء، حقّقه وضبط نُصوصه وعلّق حواشيه عُمر فاروق الطّبّاع، ج٢، ص٧٥٢.

[٦] إبراهيم بن مُحمّد بن أبي عَوْن أحمد بن المُنجّم، أبو إسحق: كان من أهل الأدب، مُؤلّفاً للكُتب، من تصانيفه: كتاب "النّواحي في أخبار البُلدان"، وكتاب "الجوابات المُسكتة"/ "الأجوبة المُسكتة"، وكتاب "التّشبيهات"، وكتاب "بيت مال السّرور"، وكتاب "النّواوين"، وكتاب "الرّسائل". كان من نُقّاد أبي جعفر مُحمّد بن عليّ الشّلمغانيّ، المعروف بابن أبي العزاقر (...- ٣٢٢هـ= ...- ٩٣٤م) الّذي كان مُتألّهاً، مُتبدِعاً، ومِمّن كان يغلو في أمره، ويدّعي أنّه إليه، ولمّا أفتى عُلماء بغداد بإباحة دم الشّلمغانيّ، أخذه الرّاضي بالله العبّاسيّ مع الشّلمغانيّ، وقتله بعده، وكان قد عرض عليه شتم الشّلمغانيّ والبُصاق عليه، فأبى ذلك. انظر في أخباره: =

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(... - ٣٢٢هـ = ... - ٩٣٤م) في "الأجوبة المُسكتة"[١]، والحقيقة أنّ هذه الخُرافات من الخُرافات العراقيّة القديمة[٢] الّتي انتقلت إلى اليونان، وقد وردت الخُرافة الثّانية في حكمة أحيقار، وجرت على لسان الذّئب لا الثّعلب[٣].

تقول خُرافة "الثّعلب والأفعى": "كانت أفعى نائمة فوق جُرْزة[٤] شوك، فحملها السّيل والأفعى عليها، فنظر إليها ثعلب، فقال: هذه السّفينة لا يصلح أن يكون لها إلاّ مثل هذا الملاّح[٥]"[٦].

أمّا خُرافة "الثّعلب والعوسجة" فتروي لنا: أنّ ثعلباً تعلّق بِعَوْسَجَة، فعقرته[٧]، فأقبل يلومها، فقالت له: يا هذا، لُم نفسك، فقد تعلّقت بما يتعلّق بكُلّ شيء![٨]

= التّديم، الفهرست، اعتنى بطبعته وعلّق عليها الشّيخ إبراهيم رمضان، ص١٨١؛ خير الدّين الزّركلي، الأعلام، ج١، ص ص٦٠- ٦١، ج٦، ص٢٧٣.

[١] انظر: ابن أبي عون، الأجوبة المُسكتة، تحقيق ودراسة مَيّ أحمد يوسف، ط١، عين للدّراسات والبُحوث الإنسانيّة والاجتماعيّة، القاهرة، ١٩٩٦م، ص١٢٥.

[٢] انظر: داود سلّوم، قصص الحيوان في الأدب العربيّ القديم، ص٣١.

[٣] انظر: داود سلّوم، دراسات في الأدب المُقارن التّطبيقيّ، ص١٧٥.

[٤] الجُرْزة: الحُزمة. لسان العرب: مادّة (جرز).

[٥] الملاّح: صاحب السّفينة، سُمّي مَلاّحاً لمُعالجته الماء بالمِلْح بإجراء السُّفُن فيه. لسان العرب: مادّة (ملح).

[٦] ابن هندو، الكَلِم الرّوحانيّة في الحِكَم اليونانيّة، صحّحه والتزم طبعه مُصطفى القبّانيّ الدّمشقيّ، ص١٣٢. وانظر: الحُصْريّ، جمع الجواهر في المُلح والنّوادر، حقّقه وفصل أبوابه وعلّق حواشيه علي مُحمّد البجّاوي، ص٣٦٧؛ الرّاغب الأصفهانيّ، مُحاضرات الأُدباء ومُحاورات الشُّعراء والبُلغاء، حقّقه وضبط نُصوصه وعلّق حواشيه عُمر فاروق الطّبّاع، ج٢، ص٧٥٣.

[٧] عَقَرَهُ: جَرَحَهُ. لسان العرب: مادّة (عقر).

[٨] انظر: ابن هندو، الكَلِم الرّوحانيّة في الحِكَم اليونانيّة، صحّحه والتزم طبعه مُصطفى القبّانيّ الدّمشقيّ، ص١٣٢؛ أبو سعد الآبيّ، ثر الدّرّ، تحقيق مُنير مُحمّد المدني، مُراجعة حسين نصّار، ج٧، الباب الرّابع عشر، ص٧٦؛ الحُصْريّ، جمع الجواهر في المُلح والنّوادر، حقّقه وضبطه وفصل أبوابه ووضع فهارسه علي مُحمّد البجّاوي، =

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن هذه الخُرافات، الخُرافة الّتي يرويها أبو سعد الآبيّ دون نسبة، ويحملها الأصفهانيّ على لسان الهند، وتحكي "أنّ كلباً قبض على أرنب، فقالت له الأرنب: واللّه ما هذا لقوّتك، ولكن لضعفي"[١]. وتكاد رواية الرّاغب الأصفهانيّ تطابق رواية أبي سعد الآبيّ، لولا أنّ الثّعلب فيها يحلّ محلّ الكلب.

ومن هذه الخُرافات السّاخرة الموجزة، خُرافة "الكلب والغزال"، وهي إحدى الخُرافات العراقيّة القديمة[٢] الّتي صبّت في مجموعة إيسوب[٣] مع شيء من الاختلاف في تفاصيلها، فبينا[٤] كان الكلب يركض خلف الغزال، التفت إليه هذا الأخير، فقال: إنّك لا تلحقني. ولمّا تساءل الكلب عن سبب ذلك، ردّ عليه الغزال قائلاً: لأنّني أعدو لنفسي، وأنت تعدو لصاحبك[٥].

ومنها خُرافة "الحمامة والسّنّور[٦]"، وقد انتقلت هذه الخُرافة من خُرافات أحيقار[٧] إلى مجموعة إيسوب[٨]، وقد حلّ الطّير فيها محلّ فراخ السُّنونو، وحلّت الحمامة محلّهم في

= ص٣٦٧؛ الرّاغب الأصفهانيّ، مُحاضرات الأُدباء ومُحاورات الشُّعراء والبُلغاء، حقّقه وضبط نُصوصه وعلّق حواشيه عُمر فاروق الطّبّاع، ج٢، ص٧٥٣.

(١) أبو سعد الآبيّ، نثر الدُّرّ، تحقيق مُنير مُحمّد المدني، مُراجعة حسين نصّار، ج٧، الباب الرّابع عشر، ص٢٧٧. وانظر: الرّاغب الأصفهانيّ، مُحاضرات الأُدباء ومُحاورات الشُّعراء والبُلغاء، حقّقه وضبط نُصوصه وعلّق حواشيه عُمر فاروق الطّبّاع، ج٢، ص٧٥٣.

(٢) انظر: داود سلّوم، قصص الحيوان في الأدب العربيّ القديم، ص٣٤.

(٣) انظر: إيسوب، خُرافات إيسوب، ترجمة عبد الفتّاح الجمل، ج٢، ص٩.

(٤) بَيْنا: بينما.

(٥) انظر: أبو سعد الآبيّ، نثر الدُّرّ، تحقيق مُنير مُحمّد المدني، مُراجعة حسين نصّار، ج٧، الباب الرّابع عشر، ص٢٧٧.

(٦) السِّنّور: الهِرّ، وجمعه سنانير. لسان العرب: مادّة (سنر).

(٧) انظر: داود سلّوم، قصص الحيوان في الأدب العربيّ القديم، ص٣٢.

(٨) انظر: إيسوب، خُرافات إيسوب، ترجمة عبد الفتّاح الجمل، ج١، ص٣١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرّواية العربيّة الّتي بين أيدينا، تقول هذه الخُرافة: "مرضت الحمامة فعادها السِّنَّور، فقال لها: كيف أنت؟ فقالت: بخير، ما عوفيت منك!" [١].

ولهذه الخُرافة صورة أُخرى في مُحاضرات الرّاغب، تحلّ فيها الفأرة محلّ الحمامة، وتقول: "دخلت فأرة الحمّام، فلمّا خرجت رأت سِنَّوراً، فقال لها: طاب حمّامك. فقالت: لو لم أرك يا ابن البظراء!" [٢].

ومنها كذلك، خُرافة "الكلب و القرد"، الّتي تنطوي على تعليق فكريّ حادّ، يتعرّض بشيء من الإساءة إلى الدّين الإسلاميّ، تقول هذه الخُرافة: "دخل كلب مسجداً خراباً، فبال على المحراب[٣]، وفي المسجد قرد نائم، فقال للكلب: أما تخاف اللّه؟ تبول في المحراب! فقال: ما أحسن ما صوّرك حتّى تتعصّب له!" [٤].

وهناك أمثلة أُخرى لمثل هذا النّوع من الخُرافات[٥] لا مُتّسع لذكرها هنا.

---

[١] الثّعالبي، التّمثيل والمُحاضرة، تحقيق عبد الفتّاح مُحمّد الحلو، ص٣٧٢.

[٢] الرّاغب الأصفهانيّ، مُحاضرات الأُدباء ومُحاورات الشُّعراء والبُلغاء، حقّقه وضبط نُصوصه وعلّق حواشيه عُمر فاروق الطّبّاع، ج٢، ص٧٥٣.

[٣] المحراب: صدر المسجد وأشرف موضع فيه. لسان العرب: مادّة (حرب).

[٤] أبو سعد الآبيّ، نثر الدُّرّ، تحقيق مُنير مُحمّد المدني، مُراجعة حسين نصّار، ج٧، الباب الرّابع عشر، ص٢٧٦. وانظر: الرّاغب الأصفهانيّ، مُحاضرات الأُدباء ومُحاورات الشُّعراء والبُلغاء، حقّقه وضبط نُصوصه وعلّق حواشيه عُمر فاروق الطّبّاع ، ج٢، ص٧٥٢.

[٥] انظر: الحُصْريّ، جمع الجواهر في المُلح والنّوادر، حقّقه وضبطه وفصل أبوابه ووضع فهارسه علي مُحمّد البجّاوي، ص٣٦٧؛ الرّاغب الأصفهانيّ، مُحاضرات الأُدباء ومُحاورات الشُّعراء والبُلغاء، حقّقه وضبط نُصوصه وعلّق حواشيه عُمر فاروق الطّبّاع، ج٢، ص٧٥١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أمّا النّوع الثّاني من هذا الضّرب من الخُرافات، فخُرافات أطول، تُؤدّي فيها الحيوانات دوراً مُميّزاً في مجال النّقد السّياسيّ والاجتماعيّ، وفي إيصال الدُّروس التّربويّة والتّهذيبيّة والوعظيّة، ولا يخلو كثير من هذه الخُرافات من روح ساخرة، وتهكُّم لاذع.

ومن أمثلة هذا النّوع، خُرافة "الكُركيّ"[١] والذّئب"، وهي إحدى الخُرافات العراقيّة القديمة[٢]، الّتي انضوت في مجموعة إيسوب[٣]، وهي ذات مضمون قريب من مضمون خُرافة "الحمامة والسّنّور"؛ فأفضل مُكافأة يُقدّمها لنا الأشرار، هي أنْ يكفّوا بلاءهم عنّا. تقول هذه الخُرافة: "ابتلع ذئب عظماً، فطلب من يُعالجه، فجاء إلى الكُركيّ، وجعل له أُجرة على أن يُخرج العَظْم من حلقه، فأدخل الكُركيّ رأسه، فأخرج العظم، ثُمّ قال للثّعلب: هات الأُجرة. فقال: أنت لم ترض أن أدخلت رأسك في فم الذّئب ثُمّ أخرجته حتّى تطلب منّي أجراً أيضاً!"[٤].

ومنها كذلك، خُرافة "الأسد والذّئب والثّعلب"، وهي إحدى الخُرافات العراقيّة القديمة كذلك[٥]، الّتي انتقلت إلى مجموعة إيسوب[٦] وغيره[٧]، ويحلّ الحمار فيها محلّ الذّئب

---

[١] الكُركيّ: طائر كبير، أغبر اللون، طويل العُنق والرّجلين، أبتر الذّنب، قليل اللحم، يأوي إلى الماء أحياناً، جمعه كَراكيّ. مجموعة من المُؤلّفين، المُنجد في اللُّغة والأعلام: مادّة (كرك).

[٢] انظر: داود سلّوم، قصص الحيوان في الأدب العربيّ القديم، ص ص٣٠- ٣١.

[٣] انظر: إيسوب، خُرافات إيسوب، ترجمة عبد الفتّاح الجمل، ج١، ص١٥٦.

[٤] ابن هندو، الكَلِم الرّوحانيّة في الحِكَم اليونانيّة، صحّحه والتزم طبعه مُصطفى القبّانيّ الدّمشقيّ، ص٩. وانظر: الرّاغب الأصفهانيّ، مُحاضرات الأُدباء ومُحاورات الشُّعراء والبُلغاء، حقّقه وضبط نُصوصه وعلّق حواشيه عُمر فاروق الطّبّاع، ج٢، ص٧٥١.

[٥] انظر: داود سلّوم، قصص الحيوان في الأدب العربيّ القديم، ص ص٣٢- ٣٣.

[٦] انظر: إيسوب، خُرافات إيسوب، ترجمة عبد الفتّاح الجمل، ج٢، ص١١٧.

[٧] انظر: داود سلّوم، قصص الحيوان في الأدب العربيّ القديم، ص٣٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في مجموعة إيسوب، من غير أن يفلت من المصير نفسه الّذي سيلقاه في الرّواية العربيّة. تتول هذه الخُرافة: "إنّ أسداً وذئباً وثعلباً اشتركوا فيما يصيدون، فاصطادوا حماراً وظبياً وأرنباً. فقال الأسد للذّئب: اقسم بيننا واعدل. فقال: أمّا الحمار فلك، وأمّا الظّبي فلي، وأمّا الأرنب فللثّعلب. فغضب الأسد، وضربه ضربة أندر[١] رأسه، فوضعه بين يديه، ثمّ قال للثّعلب: اقسم بيننا واعدل. فلمّا رأى الثّعلب ما صنع بالذّئب، خشي أن يُصيبه مثله، فقال: أمّا الحمار فلك تتغدّى به، وأمّا الأرنب فِلاَلاً[٢] تتخلّل به فيما بينك وبين الليل، وأمّا الظّبي فلك تتعشّى به. فقال له الأسد: ويحك يا ثعلب، ما ينبغي لك إلاّ أنْ تكون قاضياً! مَنْ علّمك هذا القضاء؟ قال: الرّأس الّذي بين يديْك!"[٣].

ويقترب مضمون هذه الخُرافة من مضمون أُخرى قديمة، تُؤدّيها الشُّخوص الحيوانيّة ذاتها، ويؤول فيها الذّئب إلى المصير نفسه في رواية إيسوب[٤]، ويكاد في الرّواية العربيّة الّتي بين أيدينا؛ لولا تمكُّنه من الإفلات، وذلك لعدم تعقُّله في اختيار كلامه في حضرة الملك الأسد. تقول هذه الخُرافة: "اشتكى الأسد، فعاده[٥] السّباع كُلّها إلاّ الثّعلب. فقال له الذّئب: انظر إلى الثّعلب كيف استخفّ بك فلم يأتك؟ وتطاير الخبر إلى الثّعلب، فأتاه. فقال له الأسد: يا ابن الفاعلة، تأخّرت عن الخدمة؟ فقال: إنّي مُذْ بلغني مرضك كُنت في طلب دواء حتّى وجدته. قال: وما هو؟ قال: لا يصلح إلاّ مرارة الذّئب. فقال: وأنّى لي بذلك؟

---

[١] أندر: أسقط. لسان العرب: مادّة (ندر).

[٢] خِلالهم وخِلَلهم: بينهم. لسان العرب: مادّة (خلل).

[٣] الرّاغب الأصفهانيّ، مُحاضرات الأُدباء ومُحاورات الشُّعراء والبُلغاء، حقّقه وضبط نُصوصه وعلّق حواشيه عُمر فاروق الطّبّاع، ج٢، ص٧٥٢. وانظر: أبو سعد الآبيّ، نثر الدُّرّ، تحقيق مُنير مُحمّد المدني، مُراجعة حسين نصّار، ج٧، الباب الرّابع عشر، ص٢٧٥.

[٤] انظر: إيسوب، خُرافات إيسوب، ترجمة عبد الفتّاح الجمل، ج٢، ص١٢٦.

[٥] عادَ العليلَ يعودُهُ عَوْداً وعِيادةً: زارَهُ. لسان العرب: مادّة (عود).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقال: أنا آتيك به، فإذا أتاك فاقتله، وتنال مرارته. فأتاه به، فقفز إليه الأسد، فأفلت، وعدا بدمه، فتبعه الثّعلب، فقال: يا صاحب [السّروال] [١] الأحمر، إذا جلست عند المُلوك فاعقل كيف تتكلّم"[٢].

وإذا كانت الخُرافتان الأخيرتان تتفقان على أهمّيّة التّعقُّل قبل التّكلُّم، وتُشدّدان على ضرورة ذلك في حضرة المُلوك أو ذوي البطش والسُّلطة، فإنّهما تُحذّران من خطر صُحبة السُّلطان، وهذه الغايات تتّفق وبعض غايات خُرافات "كليلة ودمنة".

ويقترب مضمون الخُرافتيْن السّابقتيْن مِنْ مضمون خُرافة "الجمل والحمار"، إذ يقود الحُمق فيها صاحبه إلى التّهلُكة، ويعود بالأذى على الآخر. تقول هذه الخُرافة: "إنّ جملاً وحماراً توحّشا[٣]، فوجدا مرعىً خالياً يرتعان[٤] فيه، فقال الحمار يوماً – وقد بطرا[٥] –: إنّي أُريد أن أُغنّي. فقال الجمل: اتّق اللّه فينا، فإنّي أخشى أن يُنذر[٦] بنا فنُؤخذ. قال: لا بدّ. ثمّ نهق، فسمعته قافلة مارّة فأخذوهما. فأبى الحمار أن يمشي، فَحُمل على الجمل، فمرّوا به في عَقِبِه[٧].

---

[١] الكلمة في الأصل: السّراويل.

[٢] الرّاغب الأصفهانيّ، مُحاضرات الأُدباء ومُحاورات الشُّعراء والبُلغاء، حقّقه وضبط نُصوصه وعلّق حواشيه عُمر فاروق الطّبّاع، ج٢، ص٧٥٢.

[٣] توحّش جوفه: خلا من الطّعام. لسان العرب: مادّة (وحش).

[٤] رَتَعَ: أكَلَ وشَرِبَ رَغَداً في الرّيف. لسان العرب: مادّة (رتع).

[٥] البَطَر: النّشاط. لسان العرب: مادّة (بطر).

[٦] يُنْذَر: يُعْلَم. لسان العرب: مادّة (نذر).

[٧] العَقِب والعُقْب والعَقْب: آخر كُلّ شيء وخاتمته. لسان العرب: مادّة (عقب).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقال الجمل: إنّي طربت لغناك المُتقدّم، وأُريد أن أرقص رقصة. فقال الحمار: اتّق اللّه، إنّي أسقط فلا تفعل. فرقص، فأسقط الحمار، فوقصه[١]"[٢].

ومن هذه الخُرافات كذلك، خُرافات ثلاث، ترد كُلّ منها، فيما ترد، مع سياق زمنيّ وُظّفت فيه، أوّلها خُرافة "البازي[٣] والدّيك"، الّتي يشترك في روايتها كُلّ من الثّعالبي[٤]، وأبي سعد الآبيّ[٥]، والرّاغب الأصفهانيّ[٦]، ويرويها الثّاني منهم على لسان أبي أيّوب المورياني[٧] (...- ١٥٤هـ= ...- ٧٧١م)، وزير المنصور، الّذي تمثّل بها ردّاً على من تعجّبوا خوفه وتغيُّر حاله بدُخوله على المنصور[٨] (٩٥- ١٥٨هـ= ٧١٤- ٧٧٥م) ، مُودعاً فيها

---

[١] وقَصَ عُنُقَهُ يَقِصُها وَقْصاً: كَسَرَها ودَقَّها. لسان العرب: مادّة (وقص).

[٢] الرّاغب الأصفهانيّ، مُحاضرات الأُدباء ومُحاورات الشُّعراء والبُلغاء، حقّقه وضبط نُصوصه وعلّق حواشيه عُمر فاروق الطّبّاع، ج٢، ص٧٥٣.

[٣] البازي: واحد البُزاة والبوازي، جنس من الصُّقور الصّغيرة، أو المُتوسّطة الحجم، تميل أجنحتها إلى القِصر، وتميل أرجلها وأذنابها إلى الطّول. ومن أنواعه: الباشق والبَيْدق. مجموعة من المُؤلّفين، المُنجد في اللّغة والأعلام: مادّة (بأز).

[٤] انظر: الثّعالبي، التّمثيل والمُحاضرة، تحقيق عبد الفتّاح مُحمّد الحلو، ص٢٧١.

[٥] انظر: أبو سعد الآبيّ، نثر الدُّرّ، تحقيق مُنير مُحمّد المدني، مُراجعة حسين نصّار، ج٧، الباب الرّابع عشر، ص ص٢٧٨- ٢٧٩.

[٦] انظر: الرّاغب الأصفهانيّ، مُحاضرات الأُدباء ومُحاورات الشُّعراء والبُلغاء، حقّقه وضبط نُصوصه وعلّق حواشيه عُمر فاروق الطّبّاع، ج٢، ص ص٧٥٢- ٧٥٣.

[٧] سُليمان بن أبي سُليمان مُخلّد – وقيل داود – المورياني الخوزيّ، أبو أيّوب: تولّى وزارة أبي جعفر المنصور بعد خالد بن برمك جدّ البرامكة، فتمكّن منه غاية التّمكُّن، ثُمّ إنّ المنصور أوقع به، وعذّبه، وأخذ أمواله، وأموال أهل بيته، وقتلهم جميعاً. انظر في أخباره: ابن خلّكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، حقّقه إحسان عبّاس، المُجلّد الثّاني، ص ص٤١٠- ٤١٤.

[٨] عبد اللّه بن مُحمّد بن عليّ بن عبد اللّه بن عبّاس بن عبد المُطّلب العبّاسيّ الخليفة، أبو جعفر المنصور: أُمّه سلاّمة البربريّة، أتته البيعة بالخلافة بمكّة، وعهد إليه بالخلافة أخوه السّفّاح، فولي اثنتين وعشرين سنة؛ وكان من أفراد الدّهر: حزماً، ورأياً، ودهاء، وجبروتاً، وفصاحة، وبلاغة. وكان شُجاعاً، محبباً، تاركاً للّهو واللعب، كامل العقل، قتل=

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تظلُّمه وشكواه، وقد ذكر الجاحظ هذه الحادثة من قبل[١]. يقول أبو سعد الآبيّ: "كان أبو أيّوب المورياني، وزير المنصور، إذا دعاه المنصور يصفرُ ويُرْعَدُ[٢] مع مكانه منه، ومحلّه عنده، فقيل له ذلك، فقال: مثلي ومثلكم في هذا مثل باز وديك تناظرا، فقال البازي للدّيك: ما أعرف أقلّ وفاءً منك! قال: وكيف؟ قال: تُؤخذ بيضة، فيحضنكَ أهلك، وتخرج على أيديهم، فيُطعمونكَ بأكفّهم، ويُحسنونَ إليك، حتّى إذا وجدتَ منهم غفلة، طرتَ، وصحتَ، وعلوتَ الحيطان، وفارقتَ الدّار الّتي كبرتَ فيها إلى غيرها، وأنا أُؤخذ من الجبال، فأُوثق، وتُحاط عينيّ، وأُطعم الشّيء اليسير، وأُؤنس يوماً أو يومين، ثُمّ أُطلق على الصّيد، فأطير وحدي، وآخذه لصاحبي، وأُمسكه عليه، وأعود إلى مكاني. فقال له الدّيك: ذهب عليك الصّواب، أنت واللّه لو رأيت على السّفافيد[٣] من البُزاة اليسير من الكثير الّذي أراه من الدّيكة، ما عُدت إليهم قطّ، ولكن لو عرفتم من المنصور ما أعرفه لكنتم أسوأ حالاً منّي عند طلبه لكم"[٤].

الخُرافة الثّانية هي خُرافة "الخنزير والأسد"، الّتي احتفى الرّاغب الأصفهانيّ بروايتها مرّتين في مُحاضراته[٥]، في سياق توظيف المنصور لها في كتاب ردّه على ابن هُبيرة[٦] (٨٧-

---

= خَلْقاً كثيراً حتّى ثبّت الأمر له ولولده، وكان فيه عدل. انظر في أخباره: ابن الأثير، الكامل في التّاريخ، تحقيق الشّيخ خليل مأمون شيحا، ج٥، ص ص٨٨- ٩٥؛ صلاح الدّين الصّفديّ، الوافي بالوفيات، ج١٢، ص ص٢٢١- ٢٢٢.

[١] انظر: الجاحظ، الحيوان، تحقيق وشرح عبد السّلام مُحمّد هارون، ج٢، ص ص٣٦١- ٣٦٢.

[٢] أُرْعِدَ فارتَعَدَ: أخذتهُ الرّعدة من الفزع وغيره. لسان العرب: مادّة (رعد).

[٣] السَّفُّود والسُّفُود: حديدة ذات شُعب، مُعقّفة، يُشوى بها اللحم، والجمع سَفافيد. لسان العرب: مادّة (سفد).

[٤] أبو سعد الآبيّ، نثر الدُّرّ، تحقيق مُنير مُحمّد المدني، مُراجعة حسين نصّار، ج٧، الباب الرّابع عشر، ص ص٢٧٨- ٢٧٩.

[٥] انظر: الرّاغب الأصفهانيّ، مُحاضرات الأُدباء ومُحاورات الشُّعراء والبُلغاء، حقّقه وضبط نُصوصه وعلّق حواشيه عُمر فاروق الطّبّاع، ج١، ص ص٣٠٩- ٣١٠، ج٢، ص٧٥٣.

[٦] يزيد بن عُمر بن هُبيرة بن معيّة بن هُبيرة الفزاريّ، أبو خالد: أصله من الشّام، ولي قنّسرين للوليد بن يزيد بن عبد الملك، وجمع له ولاية العراقين، وكان سخيّاً، جسيماً، خطيباً، شُجاعاً. ولمّا ظهر أمر بني العبّاس، وقويت شوكتهم،=

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٣٢هـ= ٧٠٦- ٧٥٠م) الّذي دعاه إلى المُبارزة، نال بها المنصور منه، وساق إليه فيها سبب عُزوفه عن مثل هذه المبارزة. يقول الرّاغب الأصفهانيّ: "بعث ابن هُبيرة إلى المنصور في الحرب: بارزني. فامتنع. فقال: لأسبقنّ امتناعك ولأُعيّرنّك به. فقال: مثلنا في ذلك مَثَل خنزيرٍ قال للأسد: قاتلني. فقال: لست بكفؤ، ومتى قتلتك لم يكن لي عزّ بقتل خنزير. فقال الخنزيرُ: لأخبرنّ السّباع بنكولك[١]. فقال: احتمال تعيّرك أهون من التّلطُّخ بدمك"[٢].

أمّا ثالثة هذه الخُرافات، فخُرافة "البوم والخرائب"، الّتي نقع على غير رواية لها، تلتقي في أنّها حُملت على لسان مُسامر مجهول لوال أو خليفة، هو المأمون عند الطُّرطوشيّ[٣]، وهو عامل مجهول الاسم عند كُلّ من أبي سعد الآبيّ[٤]، والرّاغب الأصفهانيّ[٥]، لكنّه عند أوّلهما قائم على بلدة من أعمال بغداد تُعرف باسم بندنيجين[٦]. وبينما قدّم الطُّرطوشيّ المأمون، وقد أفاد من نصيحة مُسامره؛ مجلس للمظالم، وأنصف النّاس، فإنّ

=وجّه السّفّاح أخاه المنصور إلى واسط لحصاره. انظر في أخباره: صلاح الدّين الصّفديّ، الوافي بالوفيات، ج١٦، ص ص٢٣٧- ٢٣٨.

[١] النّكول: النّكوص والجُبْن. لسان العرب: مادّة (نكل).

[٢] الرّاغب الأصفهانيّ، مُحاضرات الأُدباء ومُحاورات الشُّعراء والبُلغاء، حقّقه وضبط نُصوصه وعلّق حواشيه عُمر فاروق الطّبّاع، ج٢، ص٧٥٣.

[٣] انظر: الطُّرطوشيّ، سراج المُلوك، حقّقه وضبطه وعلّق عليه ووضع فهارسه مُحمّد أبو بكر، المُجلّد الثّاني، ص ص٤٩٧- ٤٩٨.

[٤] انظر: أبو سعد الآبيّ، نثر الدُّرّ، تحقيق مُنير مُحمّد المدني، مُراجعة حسين نصّار، ج٧، الباب الرّابع عشر، ص ص٢٧٦- ٢٧٧.

[٥] انظر: الرّاغب الأصفهانيّ، مُحاضرات الأُدباء ومُحاورات الشُّعراء والبُلغاء، حقّقه وضبط نُصوصه وعلّق حواشيه عُمر فاروق الطّبّاع، ج١، ص٢٠٧.

[٦] البَنْدنيجين: بلدة مشهورة في طرف النّهروان من ناحية الجبل، من أعمال بغداد. انظر: ياقوت الحَمَويّ، مُعجم البُلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجُنديّ، ج١، ص٥٩٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأمان الّذي منحه العامل للمُسامر في رواية كُلّ من أبي سعد الآبيّ والرّاغب الأصفهانيّ، هو الّذي حال دون قتله. ويُمكننا أن نردّ الاحتفاء برواية هذه الخُرافة، في هذا القرن، إلى الرّسالة السّياسيّة والاجتماعيّة النّقديّة الّتي تحملها؛ فظُلم الخليفة وسوء حُكمه يُهدّدان بخراب المُجتمع وانهياره. وقد سبق ذكر هذه الخُرافة[١].

ومن أمثلة هذا النّوع من الخُرافات، خُرافة "الأسد والثّعلبان"، الّتي نقع عليها في مُحاضرات الرّاغب الأصفهانيّ[٢]، وقد تجرّدت من بعض التّفاصيل الّتي حملتها، في القرن الرّابع الهجريّ، في بصائر أبي حيّان التّوحيديّ[٣] (...- نحو ٤٠٠هـ= ...- ١٠١٠م) وذخائره[٤]، تلك التّفاصيل الّتي جعلتها قريبة من روح القرنين الرّابع والخامس الهجريّين، اللذين شهدا انقسام الدّولة الإسلاميّة إلى دُويلات وإمارات مُتعدّدة، مُتناحرة، ومُتنافسة فيما بينها، فأحد الثّعلبيْن في رواية أبي حيّان التّوحيديّ كان شاميّاً، أمّا الآخر فكان عراقيّاً، ولـمّا ادّعى الأوّل

---

[١] انظر: هذه الرّسالة، ص٣٥.

[٢] انظر: الرّاغب الأصفهانيّ، مُحاضرات الأُدباء ومُحاورات الشُّعراء والبُلغاء، حقّقه وضبط نُصوصه وعلّق حواشيه عُمر فاروق الطّبّاع، ج٢، ص٧٥٢.

[٣] عليّ بن مُحمّد بن العبّاس، أبو حيّان التّوحيديّ، قال ياقوت الحَمَويّ: هو شيرازيّ الأصل، وقيل نيسابوريّ، ووجدت بعض الفُضلاء يقول له الواسطيّ، صوفيّ السّمت والهيئة. كان مُتفنّناً في جميع العُلوم، من النّحو، واللُّغة، والشّعر، الأدب، والفقه، والكلام على رأي المُعْتزلة، وكان جاحظيّاً يسلك في تصانيفه مسلكه، ويشتهي أن ينتظم في سلكه. من تصانيفه: "رسالة الصّديق والصّداقة"، وكتاب "الرّدّ على ابن جنّي في شعر المُتنبّي"، وكتاب "الإمتاع والمُؤانسة"، وكتاب "ذمّ الوزيريْن" وغيرها. انظر في أخباره: ياقوت الحَمَويّ، مُعجم الأُدباء: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب حقّقه وضبط نُصوصه وأعدّ حواشيه وقدّم له عُمر فاروق الطّبّاع، المُجلّد الخامس، ص ص٣٣٥- ٣٦٦؛ صلاح الدّين الصّفديّ، الوافي بالوفيات، ج١٤، ص ص٥٤٤- ٥٤٥.

[٤] انظر: أبو حيّان التّوحيديّ، البصائر والذّخائر، عُني بتحقيقه والتّعليق عليه إبراهيم الكيلاني، المُجلّد الثّاني، مكتبة أطلس، دمشق- سورية، ١٩٦٤م، ص ص٧٢٨- ٧٢٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

معرفة الحيل، والقُدرة على التّخلُّص من المصائب، كانت الشّدّة هي المحكّ لإظهار زيف ادّعائه، وإبراز تفوُّق الثّعلب العراقيّ، وحُسن تخلُّصه. وقد تخلّت رواية الرّاغب الأصفهانيّ عن ذكر نسبة هذين الثّعلبيْن لصالح مغزى الحكاية، الّذي يدعو إلى إعمال العقل طلباً للنّجاة، ويُنادي بالتّآزُر في مُواجهة الأخطار الخارجيّة.

يقول الرّاغب الأصفهانيّ: "تصاحب ثعلبان فلقيا أسداً، فقال أحدهما للآخر: ما الحيلة؟ فقال: عليّ الحيلة. فقال الأسد: ما الخبر؟ فقالا: إنّا ورثنا أغناماً من أبينا، ونريد أن نقسمها بيننا. قال: أين هي؟ قالا: قريب. فتبعهما حتّى أتيا إلى مجرى ماء يخرج من بُستان، فقال أحدهما للآخر: ادخل وأخرج الأغنام. فدخل فأبطأ. فقال أخوه: انظر إلى بطنه حتّى أدخل أُخرجه من الغنم. فأخذ الأسد ينتظر، فصعدا إلى السّطح، فقالا: اذهب فقد اصطلحنا. فغضب الأسد وزأر. فقالا: لا تكن بارداً، فما رأينا من يغضب من صُلح الخصميْن غيرك!" [١].

ومن أمثلة هذه الخُرافات كذلك، الخُرافة الّتي يُوردها الماوَرْدِيّ [٢] (٣٦٤-٤٥٠هـ= ٩٧٤- ١٠٥٨م) في كتابه "أدب الدُّنيا والدّين"، وهي ممّا رُوي من حكايات سُليمان - عليه السّلام - مع الحيوان. تقول هذه الخُرافة: "إنّ سُليمان بن داود- عليهما السّلام- مرّ بعُصفور يدور حول عُصفورة، فقال لأصحابه: هل تدرون ما يقول لها؟ قالوا: لا يا نبيّ

---

[١] الرّاغب الأصفهانيّ، مُحاضرات الأُدباء ومُحاورات الشُّعراء والبُلغاء، حقّقه وضبط نُصوصه وعلّق حواشيه عُمر فاروق الطّبّاع، ج٢، ص٧٥٢.

[٢] عليّ بن مُحمّد بن حبيب، أقضى القُضاة، أبو الحسن الماوَرْدِيّ، البصريّ الشّافعيّ: صاحب التّصانيف المُليحة الجيّدة، ولي القضاء ببُلدان كثيرة، كان عظيم القدر، مُتقدّماً عند السُّلطان. من تصانيفه: تفسير القُرآن، سمّاه "النّكت والعُيون"، وكتاب "الحاوي في الفقه"، وكتاب "الإقناع في الفقه"، وكتاب "أدب الدّنيا والدّين"، وكتاب "الأحكام السّلطانيّة"، وكتاب "سياسة المُلك وقوانين الوزارة"، وكتاب "تعجيل النّصر وتسهيل الظّفر". انظر في أخباره: صلاح الدّين الصّفديّ، الوافي بالوفيات، ج١٤، ص ص٥١٦- ٥١٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اللّه. قال: إنّه يخطبها لنفسه، ويقول لها زوّجيني نفسك، أُسكنك أيّ غُرف دمشق شئت. وقال سُليمان: كذب العُصفور، فإنّ غرف دمشق مبنيّة بالصُّخور، لا يقدر أن يُسكنها هناك، ولكن كُلّ خاطب كاذب"[١].

ويُمكننا أن نقع في كتاب "قصص الأنبياء" للثّعلبي[٢] على غير حكاية من حكايات سُليمان - عليه السّلام- مع الحيوان، كحكاية "سُليمان والنّملة"، وهي غير تلك المذكورة في سورة النّمل. ولهذه الحكاية غير غاية تهذيبيّة: دينيّة وسياسيّة واجتماعيّة وعظيّة؛ ففيها دعوة إلى عدم الاغترار بالقُوّة، والنّظر بعين الرّأفة إلى من هو أضعف خَلْقاً، وفيها نصيحة بترك الشّهوات، وتسخير الجاه والمُلك والسُّلطان في خدمة المُحتاجين والرّعيّة.

يقول الثّعلبي: "حُكي أنّ نملة دبّت على سُليمان، فحملها ورمى بها، فوقعت النّملة، فقالت: ما هذه الصّولة[٣]، وما هذا البطش؟ أما علمت أنّي أَمَة من أنت عبدُه؟ فغشي على سُليمان، فلمّا أفاق قال: ائتوني بها. فأتوه بها. فسألها، فقالت له: جلدي رقيق، وبدني ضعيف، وأخذتني ورميتني! فقال لها سُليمان: اجعليني في حِلّ[٤] فإنّي لم أقصد ذلك. فقالت: بشرط أن لا تنظر إلى الدُّنيا بعين الشّهوة، ولا تستغرق في شهواتك وضحكك، ولا يستعين أحد بجاهك إلاّ بذلته له. قال: قد فعلت ذلك. قالت: فأنت في حِلّ"[٥].

---

[١] الماوَرْديّ، أدب الدُّنيا والدّين، حقّقه وعلّق عليه ووضع فهارسه مُحمّد فتحي أبو بكر، ط٢، الدّار المصريّة اللبنانيّة، القاهرة- مصر، ١٩٩١م، ص٣٤٠.

[٢] انظر: الثّعلبي، قصص الأنبياء المُسمّى عرائس المجالس، تحقيق مُحمّد سيّد، ص ص٢٦١- ٢٦٨.

[٣] الصَّوْلة: السَّطْوة. لسان العرب: مادّة (صول).

[٤] من: حلّلَ اليمينَ تحليلاً وتَحِلّة: كفّرها. لسان العرب: مادّة (حلل).

[٥] الثّعلبي، قصص الأنبياء المُسمّى عرائس المجالس، تحقيق مُحمّد سيّد، ص٢٦٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والألقاب، وقد حلّت محلّ السُّلطة المركزيّة آنذاك حُكومات إقليميّة يُمسك العجم بزمام أكثرها.

تسخر هذه الخُرافات من الأقدار الّتي تُصيّر الحقير ذا منصب يتطاول من خلاله على من هو دونهم، وتنقد المسؤولين وأهل السُّلطة الّذين تُطلق سُلطتهم أيديهم في الخلق والعباد، فيبطشون ويسفكون الدّماء بحقّ أو بغير حقّ، وتُحذّر من صُحبتهم، وترى أنّه إنْ كان لا بُدّ من هذه الصُّحبة، فلتكن بالمُسايسة، والحيلة، والحذر، والصّبر.

لم يكن الضّعيف ضعيفاً، من منظور هذه الحكايات، لو لم يرض بتحكُّم القويّ وجبروته، ولو لم يضعف أمام إغراء السُّلطة والطّمع، ومُحاولات التّفرقة والتّجزئة والخداع.

تتوارى دعوات خلف هذه الخُرافات تهيب بالمسؤولين للاضطلاع بمسؤوليّاتهم، وترك شهواتهم، وعدم التّفريط بواجباتهم، والتّكتّل والاتّحاد في مُواجهة الأخطار الدّاخليّة والخارجيّة، وهناك نقد لاذع للمُجتمع فيها، يضع أصابعه على أدوائه وعُيوبه، من: كذب، ونفاق، وخداع...

لقد احتفظت خُرافات الحيوان الموروثة عبر تداولها ببساطة بُنيتها الفنّيّة، وإيجازها، وحافظت عبر رواياتها المُختلفة على فصاحة عباراتها مع شيء من الاختلاف في بعض ألفاظها، وتفاصيلها الدّاخليّة، وشخصيّاتها. وقد تصدّر الفعل "زعم" رواية كثير من هذه الخُرافات مُسنداً إلى العرب، أو إلى رُواة و واضعين مجهولين.

وقد اتّسمت هذه الخُرافات بأنّ شخصيّاتها محدودة، شخصيّتان أو ثلاث في الأغلب، وبأنّها تتألّف من حدث واحد قد يتفرّع أحياناً إلى أحداث محدودة تجري كُلّها في خدمة مغزى الخُرافة الّذي يُعلّق في نهايتها، مُنطوياً على سُخرية أو مُفارقة أو حكمة، غدا بعضه أمثالاً سارت وراجت بين النّاس.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإذا كانت الخُرافات الّتي بين أيدينا تُؤكّد أنّ مضمونها الإنسانيّ الفكريّ مشاع، قادر على أن يصمد أمام اختلاف الأزمان، والأماكن، وأجناس البشر، ومُعتقداتهم، ولُغاتهم، ليقابل كُلّ عصر بالجدّة ذاتها، ويترك في كُلّ جيل التّأثير نفسه، فإنّها تكشف أيضاً عن موروث أدبيّ عربيّ ضخم من هذه الخُرافات، استقى العرب كثيراً منه مِنْ تُراثهم العراقيّ القديم، الّذي يُعدّ أقدم الآداب المكتوبة في تُراث البشريّة.

ب- خُرافات الحيوان الّتي وضعها أبو العلاء المعرّيّ

مثلما احتفى أبو العلاء برواية بعض حكايات الحيوان الموروثة، احتفى بكتابة حكايات جديدة، كانت منها خُرافات نثريّة قصيرة، أودع بعضها شيئاً من رسائله ومُصنّفاته الأدبيّة، ووظّفها في سياقات مُختلفة: مادحاً، مُهنّئاً، مُعتذراً، واعظاً، ناقداً، ساخراً. وقدّم بعضها الآخر في مُصنّف أدبيّ خاصّ مُحاكياً "كليلة ودمنة"، عُرف هذا المُصنّف بكتاب "القائف"، غير أنّه لم يصل إلينا، إلاّ أربع حكايات منه، رواها لنا الكلاعيّ[١] (٥٦٥- ٦٣٤هـ= ١١٧٠- ١٢٣٧م) في كتابه "إحكام صنعة الكلام"، ثلاث منها على ألسنة الحيوانات[٢].

---

[١] سُليمان بن موسى بن سالم بن حسّان الحميريّ الكلاعيّ، الأندلسيّ البلنسيّ، الحافظ الكبير، أبو الرّبيع: كان من بقيّة أعلام الحديث ببلنسية، بصيراً به، حافظاً، عارفاً بالجرح والتّعديل، ذاكراً للمواليد والوفيات، يتقدّم أهل زمانه في ذلك، وفي حفظ أسماء الرّجال، خُصوصاً من تأخّر من زمانه وعاصره، وكان فرداً في إنشاء الرّسائل، مُجيداً في النّظم، وكان هو المُتكلّم عن المُلوك في مجالسهم، والمُبين عنهم لما يُريدونه في المحافل على المنبر، ولي خطابة بلنسية. وله تصانيف مُفيدة في عدّة فُنون، منها: "الاكتفاء في مغازي رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم والثّلاثة الخُلفاء" في أربع مُجلّدات، وكتاب حافل في معرفة الصّحابة والتّابعين لم يُكمله، وكتاب "مصباح الظُّلم"، وكتاب في "أخبار البُخاريّ وسيرته"، وكتاب "الأربعين"، سوى ما صنّف في الحديث والأدب والخُطب. انظر في أخباره: صلاح الدّين الصّفديّ، الوافي بالوفيات، ج١٠، ص ص٤٣٥- ٤٣٧.

[٢] الكلاعيّ، إحكام صنعة الكلام، تحقيق مُحمّد رضوان الدّاية، ط١، دار الثّقافة، بيروت- لبنان، ١٩٦٦م، ص ص٢٠٨- ٢١٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والنّاظر في بواعث وضع هذه الخُرافات، وكيفيّة توظيفها، يَخْلُص إلى أنّ كثيراً منها قد أثمرته علاقة أبي العلاء بأهل السُّلطة، فبعض هذه الخُرافات وضعها أبو العلاء في مكاتباته لبعض هؤلاء، ووظّفها في خدمة أغراضه، في حين جاء كتاب "القائف" بطلب من عزيز الدّولة[١]، (...- ٤١٣هـ= ...- ١٠٢٢م) والي حلب من قبل المصريّين (٤٠٧- ٤١٣هـ)، فلمّا قُتِل سنة ٤١٣هـ، كان أبو العلاء قد أتمّ منه أجزاء أربعة، فأمسك عن إتمامه[٢].

أمّا ما كان من خُرافات الحيوان في رسائل أبي العلاء ومُصنّفاته الأدبيّة، فخُرافة "الحمامة"، الّتي ترد في غير رسالة من رسائله[٣]، مُحمّلة كُلّ مرّة بشيء من الاختلاف في

---

[١] عزيز الدّولة، أبو شجاع فاتك: غُلام أرمنيّ أو روميّ لمنجوتكين، مولى العزيز صاحب مصر، وكان منجوتكين شديد الشّغف به، وكان أديباً، عاقلاً، كريماً، عالي الهمّة، فولاّه الحاكم بأمر اللّه حلب وأعمالها (٤٠٧- ٤١٣هـ)، ولقّبه أمير الأُمراء، عزيز الدّولة، وتاج الملّة، وكان مُحبّاً للأدب والشّعر، وله صنّف أبو العلاء المعرّيّ: "رسالة الصّاهل والشّاحج"، وكتاب "القائف". قُتل بتدبير الفاطميّين سنة ٤١٣هـ انظر: ابن العديم، زُبدة الحلب من تاريخ حلب، وضع حواشيه خليل المنصور، ط١، دار الكُتب العلميّة، بيروت- لبنان، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ص ص١٢٢- ١٢٥.

[٢] انظر: ياقوت الحَمَويّ، مُعجم الأُدباء: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، حقّقه وضبط نُصوصه وأعدّ حواشيه وقدّم له عُمر فاروق الطّبّاع، المُجلّد الأوّل، ص٥٩١؛ القِفطيّ، إنباه الرُّواة على أنباه النُّحاة، تحقيق مُحمّد أبي الفضل إبراهيم، ج١، ص٩٨؛ ابن العديم، الإنصاف والتّحرّي في دفع الظُّلم والتّجرّي عن أبي العلاء المعرّيّ، كتاب تعريف القُدماء بأبي العلاء المعرّيّ، جمع وتحقيق مُصطفى السّقّا، وعبد السّلام مُحمّد هارون، وعبد الرّحيم محمود، وإبراهيم الإبياري، وحامد عبد المجيد، بإشراف طه حسين، ص٥٣٢؛ الذّهبيّ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ط١، دار الكتاب العربيّ، بيروت- لبنان، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، حوادث وفيات ٤٤١- ٤٥٠هـ و ٤٥١- ٤٦٠هـ، ص٢١٦؛ صلاح الدّين الصّفديّ، الوافي بالوفيات، ج٤، ص٣٨٢.

[٣] انظر: أبو العلاء المعرّيّ، رسائل أبي العلاء المعرّيّ، تحقيق وشرح عبد الكريم خليفة، ط١، منشورات اللجنة الأُردنيّة للتّعريب والتّرجمة والنّشر، عمّان- الأُردنّ، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م، ج١، الرّسالة الثّالثة، ص ص١٢٩- ١٣٠، ج٢، الرّسالة التّاسعة عشرة، ص ص٣٠٢- ٣٠٤، والرّسالة الرّابعة والعشرون، ص ص٣٣٣- ٣٣٥، والرّسالة الخامسة والعشرون، ص ص٣٤٩- ٣٥٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالبيت الحرام، لا تفرق[١] لصائد ولا رام، فغرّها القدَر، إذ لم ينفع الحذر، فخرجت من الأرض المُحرّمة[٢]، فأصبحت وهي جِدّ مُغرمة[٣]، صادها وليد في الحِلّ[٤]، ما حفظ لها من إلّ، وأودعها سجناً للطّير، ومنعها من كُلّ مَيْر[٥]، فإذا رأت من خَصاص[٦] القفص بواكر[٧] الحَمام، ظلّت تُمارس[٨] جُرَعَ[٩] الحِمام[١٠]، تسأل بطَرْفها[١١] أخاها، ما فعل بعدها فرخاها، فيقول: أصبحا ضائعيْن، قد سترهما الورق من كُلّ عين.

فُريخانِ ينضاعانِ[١٢] في الفجرِ كُلّما أحسّا دويَّ الرّيحِ[١٣] أو صوتَ ناعبِ[١٤][١٥]

---

[١] لا تفرق: لا تخشى ولا تخاف. لسان العرب: مادّة (فرق).

[٢] الأرض المُحرّمة: الّتي لا يحلّ فيها الصّيد. لسان العرب: مادّة (حرم).

[٣] جِدّ مُغرمة: مُولعة بِرَيْها حتّى النّهاية.

[٤] الحِلّ: الحَلال. لسان العرب: مادّة (حلل).

[٥] المَيْر: الطّعام. لسان العرب: مادّة (مير).

[٦] الخَصاص: الفُرَج. لسان العرب: مادّة (خصص).

[٧] بواكر الحَمام: الحَمام الّذي يمرّ غُدْوة.

[٨] تمارس: تُقاسي وتُكابد.

[٩] الجُرَع: جمع جُرْعة، وهي ملء الفم يبتلِعُه. لسان العرب: مادّة (جرع). استعارها لشُرب كأس الموت.

[١٠] الحِمام: قضاء الموت وقدره. لسان العرب: مادّة (حمم).

[١١] الطَّرْف: طَرْفُ العين. والطّرف: إطباق الجَفْن على الجَفْن. وطَرَفَ يَطْرِفُ طَرْفاً: لَحَظَ. والطَّرْف: تحريك الجُفون في النّظر. لسان العرب: مادّة (طرف).

[١٢] انضاع الفرخ: بسط جناحيْه إلى أُمّه لِتَرُقّه، أو فَزِع من شيء فتضوّر منه. لسان العرب: مادّة (ضوع).

[١٣] دويّ الرّيح: حفيفها. لسان العرب: مادّة (دوا).

[١٤] النّاعب: الغُراب. لسان العرب: مادّة (نعب).

[١٥] البيت من قصيدة بائيّة لصخر الغَيّ بن عبد اللّه الخُثَعيّ – أحد بني عمرو بن الحارث – يرثي أخاه أبا عمرو، وقد نهشته حيّة فمات، وقد رُويت لأبي ذُؤيب، ويُقال إنّها لأخي صَخْر الغَيّ، يرثي بها أخاه صَخْراً. ومن يرويها لأخي صخر الغَيّ أكثر. ومطلع القصيدة: =

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ألفاظها، وتفاصيلها الدّاخليّة: حذفاً أو زيادة أو تغييراً، مُحتفظة بالنّهاية نفسها الّتي تخدم غرض أبي العلاء من وضعها، وتوظيفها في مُكاتباته: تبياناً لشوقه، وإظهاراً لمودّته في معرض شُكره أو سُؤاله.

يقول أبو العلاء في رسالته إلى صدقة بن يوسف الفلاّحيّ (...- ٤٣٩هـ)[١] لمّا استدناه إلى حضرة الأمير عزيز الدّولة: "وما حمامة ذات طوق، يُضرب بها المثل في الشّوق، كانت في وكر مَصون[٢]، بين الشّجر والغُصون، تألف[٣] من أبناء جنسها ريداً[٤]، فيتراسلان تغريداً، مسكنها نَعمان الأراك[٥]، تأمن به غوائل[٦] الأشراك[٧]، وتمرّ في بُكرتها[٨]

---

[١] الوزير الأجلّ، تاج الرّياسة، فخر المُلك، مُصطفى، أمير المُؤمنين، أبو منصور صدقة بن يوسف الفلاّحيّ: كان يهوديّاً، وهداه الله إلى الإسلام، وكان موصوفاً بالبراعة في صُروف الكتابة، وكان ناظراً على الشّام، ثُمّ غدا وزيراً للمُستنصر الفاطميّ، بعد الجَرجائيّ، سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة؛ فكاد لأبي سعد التّستريّ، الّذي صار ناظراً في جميع أُمور الدّولة، مُتحكّماً به، وحمل جماعة من الأتراك على قتله، فقُبض عليه سنة تسع وثلاثين وأربعمائة، واعتُقلَ، وقُتل. انظر في أخباره: ابن مُنجب، الإشارة إلى من نال الوزارة، عُني بتحقيقه والتّعليق عليه عبد الله مُخلص، ط١، طُبع بمطبعة المعهد العلميّ الفرنسيّ الخاصّ بالعاديات الشّرقيّة، القاهرة- مصر، ١٩٢٤م، ص ص٣٧- ٣٨.

[٢] الصَّوْن: أن تقيَ شيئاً أو ثوباً. صنتُ الشّيء أصونُهُ، فهو مَصون. لسان العرب: مادّة (صون).

[٣] أَلِفْتُ الشّيء وأَلِفْتُ فُلاناً: أَنِستُ به. لسان العرب: مادّة (ألف).

[٤] الرّئد: التّرب بالحمز، وربّما لم يُهمَز. لسان العرب: مادّة (ريد).

[٥] نَعمان الأراك: واد بين مكّة والطّائف. وقيل: وادٍ لهُذيل على ليلتين من عَرفات. وقال الأصمعيّ: نعمان واد يسكنه بنو عمرو بن الحارث بن تميم بن سعد بن هُذيل، بين أدناه ومكّة نصف ليلة. انظر: ياقوت الحَمَويّ. مُعجم البُلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجُنديّ، ج٥، ص٣٣٩.

[٦] الغوائل: الدّواهي، مفردها الغائلة. لسان العرب: مادّة (غول).

[٧] الأشراك: حبائل الصّائد. واحدها الشَّرَك. لسان العرب: مادّة (شرك).

[٨] البُكرة: الغُدوة. وقد يُراد بها اليوم أو الغد. لسان العرب: مادّة (بكر).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بأشوق إلى المعيشة النّضرة[١]، منّي إلى تلك الحضرة"[٢].

ومن الخُرافات الّتي أودعها أبو العلاء رسائله، خرافتا "الأسد والفأر" و "عظيم الجوارح والعُصفور"، اللتان نُطالعهما على التّوالي في "رسالة الهناء"[٣]، الّتي كتبها أبو العلاء في تهنئة أحد كُبراء عصره بنزول وزير السُّلطان شبل الدّولة[٤] (...- ٤٢٩هـ= ...- ١٠٣٨م) عنده.

وقد ضمّن أبو العلاء هاتين الخُرافتين مضموناً واحداً، ووظّفهما تدليلاً على أنّ التّهنئة لا تكون إلاّ بين النُّظراء، واعتذاراً عن نُهوضه بمثل هذا الأمر الجلل وما هو بالكُفء أو النّظير لممدوحيْه، واعتداداً بذلك في الوقت نفسه، واستمراراً في ديباجة التّبجيل والتّعظيم الّتي راح يحوكها مُنذ بدء رسالته، وتوقّياً من شرّ قد يناله من ممدوحيْه، وإن كان أحدهما قد أشار عليه بذلك، وسُخرية رُبّما من زمانه الّذي لا يأمن فيه على نفسه مادح أو ذامّ، زمانه

=لَعَنْرُ أبي عمرٍو لقدْ ساقهُ المَنى إلى جَدَثٍ يُوزى لهُ بالأهاضِب". انظر: أبو سعيد السُّكّريّ، شرح أشعار الهُذليّين، حقّقه عبد السّتّار أحمد فرّاج، راجعه محمود مُحمّد شاكر، ط١، مكتبة دار العُروبة، القاهرة- مصر، ١٩٦٥م، ج١، ص ص٢٤٥- ٢٥٣.

[١] النَّضْرة: النّعمة والعيش والغِنى، وقيل: الحُسن والرّونق، وكُلّ شيء يَنْضُرُ نَضْراً ونَضْرة ونَضارة ونُضوراً، ونَضِرَ ونَضُرَ، فهو ناضِرٌ ونضيرٌ ونَضِرٌ، أي حَسَن، والأُنثى نَضِرة. لسان العرب: مادّة (نضر).

[٢] أبو العلاء المعرّيّ، رسائل أبي العلاء المعرّيّ، تحقيق وشرح عبد الكريم خليفة، ج٢، ص ص٣٣٣- ٣٣٥.

[٣] انظر: أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الهناء، تحقيق وشرح كامل كيلاني، ط٣، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت- لبنان، ١٩٧٩م.

[٤] نصر بن صالح بن مِرداس الكلابيّ، أبو كامل، شبل الدّولة: خلصت حلب إليه سنة ٤٢١هـ حتّى سنة ٤٢٩هـ، قاتله الرّوم، فانتصر عليهم، وقد استمال الدّزبريّ، أمير الجُيوش، جميع العرب من الطّائيّين والكلبيّين وبعض الكلابيّين، وسيّرهم إليه، فثبت نصر في خواصّ أصحابه، وقاتل قتالاً شديداً، فَطُعِن، ووقع. انظر في أخباره: ابن العديم، زُبدة الحَلَب من تاريخ حلب، وضع حواشيه خليل المنصور، ص ص١٣٥- ١٤٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الّذي سرعان ما تنقلب فيه الموازين وتتبدّل المواقع؛ ففي هاتين الخُرافتين يلقى المُجترىء على تهنئة من هو أعلى شأناً منه، الهلاك على يد أحد أعوانه بأمر منه، بعد أن يلقى التّقريع واللوم منه نفسه، أو من بعض مُعاونيه. يقول أبو العلاء:

"وإذا جاءت التّهنئة من غير نظير، فإنّها تُعتقد من المحاظير[١]، كمثل الأسد لمّا ظفر بفرس لبعض المُلوك، لم تسمُ[٢] إلى رُكوبه نفس الصُّعلوك[٣]، فحمله إلى العِرّيسة[٤]، وأخذ الكفاية من الفريسة.

واجتمعت إليه أصناف الوحش مُهنّئات، خُشّعاً – من الهَيْبة – مُتجنّئات[٥]. فقائل لا يخرج عن الإيجاز، وصامت لا يجترىء[٦] على المجاز.

فلمّا أرمّت[٧] الجماعة، ولم يبق – في التّكلُّم – طَماعة[٨]، قال فِرنب[٩]، وهو – في المقالة – مُذنب، كان بالأجمة له وِجار[١٠]، والضّيغم[١١] له نعم الجار، يمنعه أذاة[١٢]

---

[١] المحظور: المُحرّم، وجمعه مَحاظير. لسان العرب: مادّة (حظر).

[٢] تسمو: ترتفعُ وتصل. لسان العرب: مادّة (سما).

[٣] الصُّعلوك: الفقير الّذي لا مال له. لسان العرب: مادّة (صعلك).

[٤] العِرّيسة والعِرّيس: الشّجر المُلتفّ، وهو مأوى الأسد. لسان العرب: مادّة (عرس).

[٥] الجَنأ: ميل في الظّهر، وقيل: في العُنق. لسان العرب: مادّة (جنأ). والمقصود: خُشّعاً من هيبته.

[٦] اجترأ: أقدمَ. لسان العرب: مادّة (جرأ).

[٧] أرمّت: سكتت من فَرق. لسان العرب: مادّة (رمم).

[٨] طَماعة: مَطْمع. لسان العرب: مادّة (طمع).

[٩] الفِرنب: الفأر. لسان العرب: مادّة (فرنب).

[١٠] الوِجار والوَجار: الجُحر. لسان العرب: مادة (وجر).

[١١] الضّيغم: الأسد. لسان العرب: مادّة (ضغم).

[١٢] الأذاة: الأذى. لسان العرب: مادّة (أذي).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشَّغوب[١]، من خيطل[٢] تبرّر[٣] وسُرعوب[٤]: بورك للملك في العطيّة السّنيّة[٥]، وما بلغ من الأُمنيّة.

فنظر الأسد نظر مُغضَب، وكأنّه – من الأسف – على مِخضَب[٦]، إلى سِرْحان[٧] حضر أو نمر، فعرف أنّه ما رضي بذلك الأمر، فأوحى بالعَجَل إلى هرّ في البرّ، أن ينزل بالبِرّ[٨] النّاطق ما سنح[٩] من الشّرّ. فجعل يصيح في مخالب الضَّيْوَنِ[١٠]: ما ذنبي أوكل في جوار الجبّار أُسامة[١١]؟

فقالت له بعض الأجناد[١٢]: أهّلت[١٣] نفسك لخطاب ما كنت له بأهل، فعُددت من أصحاب السَّفَه والجَهْل. أو كمثل عظيم من جوارح الطّير، كان يرجع إلى الأفراخ بِمَيْر، فجاء ومعه إحدى الفور[١٤]،

---

[١] الشَّغوب: كثير الشّغب. لسان العرب: مادّة (شغب).

[٢] الخيطل: السّنّور. وقيل: الكلب. لسان العرب: مادّة (خطل).

[٣] أَبَرَّ عليه: غَلَبَهُ. لسان العرب: مادّة (برر).

[٤] السُّرعوب: ابن عِرْس. لسان العرب: مادّة (سرعب).

[٥] السَّنِيّ: الرّفيع. لسان العرب: مادّة (سنا).

[٦] المِخضَب: المِسعَر، وهو عود تُحَرَّك به النّار عند الإيقاد. لسان العرب: مادّة (حضب).

[٧] السِّرْحان: الذّئب. والجمع سَراحٍ وسراحين وسراحي. لسان العرب: مادّة (سرح).

[٨] البِرّ: الفأر في بعض اللُّغات. لسان العرب: مادّة (برر).

[٩] سَنح: عَرَض له، أو تيسّر له. لسان العرب: مادّة (سنح).

[١٠] الضَّيْوَنُ: السّنّور الذّكر، وقيل: هو دُوَيبّة تُشبهه. لسان العرب: مادّة (ضون).

[١١] أُسامة: من أسماء الأسد. لسان العرب: مادّة (أسم).

[١٢] الجُند: الأعوان والأنصار، والجمع أجناد. لسان العرب: مادّة (جند).

[١٣] أَهّلهُ لذلك الأمر تأهيلاً وآهلهُ: رآه له أَهْلاً. لسان العرب: مادّة (أهل).

[١٤] الفور: الظِّباء، لا واحد لها من لفظها. لسان العرب: مادّة (فور).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فصمتت ذوات الأجنحة غير العصفور. فقال: قرّت لامحتك[١] من قيْل[٢]، ما اقتنع للنّاهض[٣] بخسيس النّيْل[٤].

فقال ذلك الجارح لباز منه قريب: لاق هذا الجاهل بسوء التّثريب[٥]، من هو حتّى يتكلّم لديّ؟ كأنّه أمِن من رديّ[٦]!

فأومأ[٧] البازي المُتجبّر، وهو عن اختطاف البائس مُتكبّر، إلى باشق[٨] بالحضرة، فأكله مُعتاماً[٩]، وترك أفراخه أيتاماً"[١٠].

ومن الخُرافات الّتي وضعها أبو العلاء في مُصنّفاته الأدبيّة، بعض خُرافات انضوت فيما وصل إلينا من كتاب "الفُصول والغايات"، ولمّا كان هذا الكتاب في تمجيد اللّه وتعظيمه، ووعظ عباده ونُصحهم، ولمّا كان أبو العلاء قد غيّب فيه كثيراً من رُؤاه الفلسفيّة، وآرائه الخاصّة، وبعضاً من ملامح حياته، فطبيعيّ أن تجري مُعظم خُرافات هذا الكتاب في خدمة

---

[١] قرّت لامحتك: قرّت عينك؛ أي رأت ما كانت مُتشوّقة إليه. لسان العرب: مادّة (قرر).

[٢] القَيْل: الملك. لسان العرب: مادّة (قيل).

[٣] النّاهض: الفرخ الّذي استقلّ للنُّهوض. وقيل: هو الّذي وفُر جناحاه للطّيران، والجمع نواهض. لسان العرب: مادّة (نهض).

[٤] خسيس النّيل: المطلب الوضيع.

[٥] التّثريب: التّأنيب والأخذ على الذّنب. لسان العرب: مادّة (ثرب).

[٦] الرّدى: الهلاك، ورديّ: قتلي. لسان العرب: مادّة (ردي).

[٧] ومأ إليه يَمْأ وَمْأ وأومَأ: أشار. لسان العرب: مادّة (ومأ).

[٨] الباشق: طائر من أصغر الجوارح، وجمعه بواشق. لسان العرب: مادّة (بشق)، ومجموعة من المؤلّفين، المنجد في اللّغة والأعلام: مادّة (بشق).

[٩] اعتمّتَ حاجتك: أخّرتها. لسان العرب: مادّة (عتم). وقد شرحها أبو العلاء فقال: مُعتاماً: مُختاراً. أبو العلاء المعرّي، رسالة الهناء، تحقيق وشرح كامل كيلاني، ص٣٥.

[١٠] أبو العلاء المعرّي، رسالة الهناء، تحقيق وشرح كامل كيلاني، ص ص٧٦- ٨٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مضمونه الفلسفيّ الفكريّ والوعظيّ الدّينيّ، وتحمل رُؤى صاحبها ومواقفه. من هذه الخُرافات، خُرافة "الثّعلب والأفعى"، ولا ندري في أيّ سياق وُظّفت، ذلك أنّه سبقها بتر في النُّسخة الأصل امتدّ ليطال بدايتها، لكنّنا نقرأ فيها تسليماً بالقدر، وشيئاً من أبي العلاء نفسه، ومن نظرته إلى الحياة، وموقفه منها، ومن ظُروف حياته: من إنصاف كان ينشده في الحياة وأهلها لم يتحقّق، ومن انتظار لخير لم يأت، وتقدير لم يُوَفّ إليه كاملاً مع حسن طويّته واجتهاده، ومن شدائد مُتلاحقة أسلمته واحدتها إلى الأُخرى، ولم تتركه مع اعتزاله وزُهده؛ فثعلب هذه الحكاية لم يحظ بخلاص وسعادة واستقرار، على الرّغم من وفائه وتعبّده وصلاحه، إذ ظلّت قوى الشّرّ تتهدّده، ونُوب الزّمان تترصّده.

يقول أبو العلاء: "فبات في العَراء عرِصاً[١]، في طَلَب مأوى مُحترِصاً[٢]، وعاد بالرّيحان[٣] خَرِصاً[٤]، فلمّا رأى بياض الفجر رُفع له ربّ[٥] نعمة، بأكره بعظيم النّقمة، معه أكلب[٦]، لأمثاله تلتمس وتطلب، ذوات رِيَق[٧] من القِدّ ومن الأَبَق[٨]، فلمّا رآهُنّ اجتهد في الهرب، واتّبعنه مُجتهدات.

---

[١] العَرِص: النّشيط. لسان العرب: مادّة (عرص).

[٢] المُحترِص: الحريص. لسان العرب: مادّة (حرص).

[٣] الرّيحان: الرّزق. لسان العرب: مادّة (روح).

[٤] الخَرِص: الجائع المقرور. لسان العرب: مادّة (خرص).

[٥] ربُّ كُلّ شيء: مالكُه وصاحبُه. لسان العرب: مادّة (ربب).

[٦] أكلُب: جمع كلب. لسان العرب: مادّة (كلب).

[٧] الرّيقة: عُروة في حبل تُجعل في عُنق البهيمة أو يدها تُمسكها، وجمعها رِيَق. لسان العرب: مادّة (ريق).

[٨] الأبَق: القِنَّب، وقيل: قِشره، وقيل: الحبْل منه. لسان العرب: مادّة (أبق).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فراغ[١] وأبعد، وغوّر[٢] وأنجد[٣]، فأراد اللّه سلامته، فأراه غاراً[٤] ذا دحال[٥]، فولج[٦] بعضهنّ، وجاء صاحب الضّراء[٧]، فلم يكن للضّاري مولِج في الدّحْل المدخول، فبهش[٨] ربّه بيده، فصادف أُمّ العُثمان[٩]، فسقته قِريّ حُمات[١٠].

فلمّا انصرف موسد المُقلّدات[١١]، قال ثُعالة: ما تأمرين يا فَجار[١٢]، واللّه المُتكفّل بجزاء المُجير[١٣]؟ قالت: أعلمتَ أم عُلّمتَ؟ أظنُّك سالماً لا سلمتَ، أُخيِّرك إحدى خُلّتيْن: إن شئت أن تكون ضيفاً تنصرف ولا عهد بيني وبينك، وإن شئت أن

---

[١] راغَ يروغُ روْغاً وروَغاناً: حاد. لسان العرب: مادّة (روغ).

[٢] غوّر: أسرع. لسان العرب: مادّة (غور).

[٣] أنجد: ارتفع. لسان العرب: مادّة (نجد).

[٤] الغار: مغارة في الجبل. وقيل: الغار كالكهف في الجبل. لسان العرب: مادّة (غور).

[٥] الدّحال: جمع دَحْل، وهو نقب ضيّق فمه ثُمّ يتّسع أسفله حتّى يُمشى فيه. وقيل: هُو هُوّة تكون في الأرض، وفي أسافل الأودية يكون في رأسها ضيق ثُمّ يتّسع أسفلها. لسان العرب: مادّة (دحل).

[٦] الوُلوج: الدُّخول، وَوَلَجَ: دَخَلَ في. لسان العرب: مادّة (ولج).

[٧] الضّراء: جمع ضِرْو، وهو الكلب الضّاري بالصّيد. لسان العرب: مادّة (ضرو).

[٨] بهش إليه بيده يَبْهَشُ بَهْشاً وبَهَشَهُ بها: تناولَهُ. لسان العرب: مادّة (بهش).

[٩] أُمّ العُثمان: الحيّة، ويقال لولدها العُثمان. لسان العرب: مادّة (عثم).

[١٠] يُقال: قرَت الحيّةُ السّمَّ إذا جمعته في رأسها. والحُمَة: السّمّ والضّرّ. لسان العرب: مادّة كُلّ من (قرا) و (حما).

[١١] المُقلّدات: الكلاب، والقِلادة: ما جُعل في العُنُق يكون للإنسان والفرس والكلب. وأوسدَ الكلبَ:أغراه بالصّيد. لسان العرب: مادّة كُلّ من (قلد) و(وسد).

[١٢] فَجار: اسم معدول عن فَجَرة وفاجِرة. لسان العرب: مادّة (فجر).

[١٣] المُجير: هو الّذي يمنعك وينقذك. لسان العرب: مادّة (جور).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أُصانعك[١] على أن تحمل إليّ كُلّ شهر عُصفوراً، وتعيش سالماً موفوراً[٢]، ولن يكون سعيك عندي مكفوراً، أُغيثك عند شدّتك، واللّه المُغيث. فاختار العهد فحالفها على ذلك، واللّه ربّ المُتعاهدات.

فلمّا رأى مُحلّ الدّين[٣] كأنّه فسيط الأُظفور[٤]، اهتبل[٥] غِرّة[٦] نُغَر[٧] فحمله إلى الغار، فقالت ربّته: «أنجز حُرّ ما وعد»[٨]، و «نعم الخَلّة[٩] الوفاء». فلمّا أدبر[١٠] قالت: «لم أر كالليلة قفا واف»، كَرُمْتَ[١١] جارنا بالسّبْرات![١٢].

---

[١] صانَعَهُ: داراهُ وداهَنَهُ. لسان العرب: مادّة (صنع).

[٢] الموفور: التّامّ. لسان العرب: مادّة (وفر).

[٣] مُحِلُّ الدّين: أجله. وكانت العرب إذا نظرت إلى الهلال، قالت: لا مرحباً بمُحِلّ الدّين، مُقرّب الأجل. لسان العرب: مادّة (حلل).

[٤] فسيط الأُظفور: قُلامة الظُّفُر، يُشبّه به الهلال. لسان العرب: مادّة (فسط).

[٥] اهْتَبَل: غَنِم. لسان العرب: مادّة (هبل).

[٦] الغِرّة: الغَفْلة. لسان العرب: مادّة (غرر).

[٧] النُّغَر: فرخ العُصفور. لسان العرب: مادّة (نغر).

[٨] المثل بلفظه في الميدانيّ. انظر: الميدانيّ، مجمع الأمثال، حقّقه وفصله وضبط غرائبه وعلّق حواشيه محمّد مُحيي الدّين عبد الحميد، ج٢، ص ص٣٣٢- ٣٣٣.

[٩] الخَلّة: الخَصْلة. لسان العرب: مادّة (خلل).

[١٠] أدبَرَ: ذهبَ ومضى. لسان العرب: مادّة (دبر).

[١١] كَرُمْتَ: على معنى التعجُّب، أي ما أكرمك!

[١٢] أرض سِبْرات وسِبْريت وسُبْروت: لا نبات فيها، وقيل: لا شيء فيها، والجمع سَباريت وسبارٍ. لسان العرب: مادّة (سبرت). والمعنى: ما أكرمك في أرض قاحلة، يندُر فيها الوفاء ويصعُبُ!

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفعل ذلك أَهِلّة[١]، فلمّا كان في بعض التّطواف، وجد فِلْذة[٢] من الزُّمرُّد[٣]، فقال: ما يصنع بهذه كسوب جوّال؟ لأُتحفنّ[٤] بها ذات الكشيش[٥]. فانطلق بها وبإتاوته[٦] مع الهلال، فلمّا نظرت إليها في يده، ندرت[٧] منها العينان، فقالت: الأجل موقوت[٨]، أذاب عينيّ زبرجد[٩] لا ياقوت[١٠]، ما بعثك على ذلك يا أبا الأدراص[١١]؟ قال: ما علمت أنّ الجوهر لك ضارّ، و «أتتك بحائن[١٢] رجلاه»[١٣]، والدّليل على ذلك أنّي منك غير فارّ،

---

[١] الأهلّة: جمع هلال، وهو غرّة القمر، حين يُهِلُّه النّاس في غِرّة الشّهر. لسان العرب: مادّة (هلل).

[٢] الفِلْذة: القطعة من الكبد واللحم والمال والذّهب والفضّة، والجمع أفلاذ. لسان العرب: مادّة (فلذ).

[٣] الزُّمرُّد من الجواهر: حجر كريم أخضر اللون، شديد الخُضرة، شفّاف، وأشدّه خُضرة أجوده وأصفاه جوهراً، واحدته زُمرُّدة. مجموعة من المُؤلّفين، المُنجد في اللُّغة والأعلام: مادّة (زمرد).

[٤] التُّحفة: ما أتْحَفْتَ به الرّجل من البِرّ واللُّطف والنَّفَص. وقد أتحَفَهُ بها واتَّحَفَهُ. لسان العرب: مادّة (تحف).

[٥] كشيش الحيّة: صوت تُخرجه الأفعى من فيها. وقيل: صوت جلدها إذا حكَّت بعضها بعضاً. لسان العرب: مادّة (كشش).

[٦] الإتاوة: الرّشوة والخراج. لسان العرب: مادّة (أتو).

[٧] ندرت العينان: ذهب بصرهما. والنُّدْرة: القطعة من الذّهب والفضّة توجد في المعدن. لسان العرب: مادّة (ندر).

[٨] موقوت: محدود. لسان العرب: مادّة (وقت).

[٩] الزّبرجد: حجر كريم يُشبه الزُّمرُّد، وهو ذو ألوان كثيرة، واحدته زُبرجُدة. مجموعة من المُؤلّفين، المُنجد في اللُّغة والأعلام: مادّة (زبر).

[١٠] الياقوت: حجر كريم، صلب، شفّاف، تختلف ألوانه، واحدته ياقوتة. مجموعة من المُؤلّفين، المُنجد في اللُّغة والأعلام: مادّة (يقت).

[١١] أبو الأدراص: الأحمق. والدّرص والدّرز: ولد الفأر واليربوع والثُّنفذ والأرنب والهرّة والكلبة والذّئبة ونحوها، والجمع دِرَصة، وأدراص، ودِرْصان، ودُروص. لسان العرب: مادّة (درص).

[١٢] الحائن: الهالك. لسان العرب: مادّة (حين).

[١٣] المثل بلفظه في أمثال المُفضّل الضّبّيّ، وبجمع أمثال الميدانيّ. انظر: المُفضّل الضّبّيّ، أمثال العرب، تقديم وتعليق إحسان عبّاس، ص ص١٢١- ١٢٣؛ الميدانيّ، مجمع الأمثال، حقّقه وفصله وضبط غرائبه وعلّق حواشيه مُحمّد مُحيي الدّين عبد الحميد، ج١، ص ص٢١- ٢٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

دونك فامتثلي[١] ما شئت من الامتثال. قالت: إنّك لصادق، والصّدق نجاة، لتكن لك عندي وظيفتان ما وكنتِ[٢] المُفرخات[٣].

وانطلق فاتّخذ عِرساً[٤] تُسعده، يُنجدها على العبادة وتُنجده، تُمجّد ربّها ويُمجّده، فلمّا كثُر منها ولده، خرج في رَأد الضّحاء[٥] طالباً للرّزق، فانقضّت عليه لِقوة[٦] لقيته بأحد المُنكرات[٧].

أو سُلّط عليه آل زارع[٨] ومعها الكلاّب[٩]، فَشُفي بلحمه القَرم، واحتَكم في إهابه[١٠] القَرَظ[١١] والغاف[١٢]، ثمّ قُرن[١٣] بغيره؛ فالتقى به المُكثِر[١٤] شفيف[١٥] الشّتوات"[١٦].

---

[١] امْتَثَلَ منه: اقتصّ، والامتثال: الاقتصاص. لسان العرب: مادّة (مثل).

[٢] وكَنَ الطّائرُ وَكْناً ووُكُوناً: دخل في الوَكْن، وهو عُشّ الطّائر. لسان العرب: مادّة (وكن).

[٣] أفرخت البيضة والطّائرة: إذا صار لها فرخ. لسان العرب: مادّة (فرخ).

[٤] المقصود: زوجة.

[٥] رأد الضّحاء: رونق الضُّحى، وقيل: هو بعد انبساط الشّمس وارتفاع النّهار. لسان العرب: مادّة (رأد).

[٦] اللِقْوة واللَقْوة: العُقاب الخفيفة السّريعة الاختطاف. لسان العرب: مادّة (لقا).

[٧] المُنكرات: الأُمور الشّديدة. والنُّكر: نعت للأمر الشّديد. لسان العرب: مادّة (نكر).

[٨] آل زارع: الكلاب. لسان العرب: مادّة (زرع).

[٩] الكلاّب: صاحب الكلاب. لسان العرب: مادّة (كلب).

[١٠] الإهاب: الجلد من البقر والغنم والوحش ما لم يُدبَغ، والجمع أُهُب، والجمع القليل: آهِبة. لسان العرب: مادّة (أهب).

[١١] القَرَظ: شجر يُدْبَغُ به، واحدته قَرَظة. لسان العرب: مادّة (قرظ).

[١٢] الغاف: شجر عظام تنبت في الرّمل مع الأراك وتَعْظُم، وورقه أصغر من ورق التُّفّاح، وهو في خِلقته، وله ثمر حُلو جدّاً، وثمره غلف يُقال له الحُنْبُل، واحدته غافة. لسان العرب: مادّة (غيف).

[١٣] القَرن: جَمْعُك بين دابّتين في حبل. لسان العرب: مادّة (قرن).

[١٤] رجلٌ مُكْثِر: ذو كُثْر من المال. لسان العرب: مادّة (كثر).

[١٥] الشّفيف: شدّة لَذْع البرد وشدّة الحرّ. لسان العرب: مادّة (شفف).

[١٦] أبو العلاء المعرّيّ، الفُصول والغايات، تحقيق محمود حسن زناتي، ط١، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة- مصر، ١٩٧٧م، ص ص١٨٤- ١٨٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن هذه الخُرافات كذلك، خُرافة الطّائر، وفيها تمجيد للّه وتعظيم له، وتذكير بالأجل، وإقرار بالخطأ، وطلب للرّحمة. وتقترب هذه الخُرافة من خُرافة الحمامة، إلاّ أنّ الطّائر فيها ينجو من القفص بمشيئة اللّه، في حين تبقى الحمامة أسيرته في تلك الخُرافة؛ خدمة لهدف أبي العلاء في كُلّ منهما. يقول أبو العلاء: "مولاي أعبدك أظلم أم تلك الظّالمة؟ أمّا أنا فمُقرّ[١] بالفعل السّيّء، وأمّا تلك فلا أشعر ما تقول. يا نفس ما عديَ[٢] لي أحد كما عديت، أكلأت[٣] في المعصية وهي الكلأ الوبيل[٤]. كيف لي بأن أكون طائراً يعمد[٥] إلى شجرة مع الظّلام، فيعلّق براثنه[٦] في بعض الأغصان، ويُنادي على نفسه بالخطأ حتّى يملّ السّامعون! فبينا هو كذلك أذن[٧] له غلام ما جرّسه[٨] بعد الزّمان، فنهض إليه بعد هَجْعة[٩] وعند البائس أنّه في أمان، فقبض عليه الكفّ، فأنساه الرُّعب الهُتاف، وانصرف به سدران[١٠] جذِلاً[١١]، فاستودعه[١٢] في أحد سُجون الطّير، فلمّا أصبح بأكره مع الغُدوّ[١٣]،

---

[١] أقرّ بالحقّ: اعترف به. لسان العرب: مادّة (قرر).

[٢] عديَ: ظَلَم. لسان العرب: مادّة (عدا).

[٣] كَلأت وأكلأت: أكلتِ الكلأ. لسان العرب: مادّة (كلأ).

[٤] الوبيل: الّذي لا يُستمرأ. لسان العرب: مادّة (وبل).

[٥] عَمَدَهُ ويَعْمِدُهُ عَمْداً وعَمَدَ إليه: قصده. لسان العرب: مادّة (عمد).

[٦] البُرْثُن: مِخلب السّبع أو الطّائر الجارح، وجمعه براثن. لسان العرب: مادّة (برثن).

[٧] أَذِن له أَذَناً: استمَعَ. لسان العرب: مادّة (أذن).

[٨] جَرَّسَتْه الأمورُ: جرّبته وأحكمته. لسان العرب: مادّة (جرس). أي ما أحكمه الزّمان ولا مرّت عليه نَوْبه.

[٩] بعد هَجْعة: بعد نَوْمة خفيفة من أوّل الليل. لسان العرب: مادّة (هجع).

[١٠] سَدْران: مثل سادر، وهو الّذي لا يهتمّ بشيء. لسان العرب: مادّة (سدر).

[١١] الجَذِل: الفَرِح، والجمع جَذالى. لسان العرب: مادّة (جذل).

[١٢] استودَعَهُ: حفظَهُ وديعة. لسان العرب: مادّة (ودع).

[١٣] الغُدوّ: نقيض الرّواح. لسان العرب: مادّة (غدا).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أبغض عدوّ، فعقد برجله بريماً[١] كالإمام[٢] فهو في تعذيب، من الخيط الجذيب[٣]، فجاء الهجير[٤]، وما بقي من رمقه غير التّجير[٥]، وفاز بالنّساء[٦]، حتّى المساء، فمرّ به يَفَن[٧]، قد أعدّ الكفن، له أطفال، يطرح لهم الفال[٨]، فاشتراه بدرهم من الوليد[٩]، واللّه مُنقذ المكروبين، فأرسله رغبة في الأجر، واللّه الحميد، فالتمس[١٠] لنفسه قوتاً[١١] مع العشيّ، فوجد غير كاف[١٢] واللّه به عليم. وباتَ نَصِباً[١٣]، فلمّا أسحر[١٤] عَلِقَ[١٥] عَذَبة[١٦]، وأرسل رأسه مُنتَكِساً[١٧]، فسبّح بذلك الصّياح.

---

[١] البَريم: خيطان يكونان من لونين. لسان العرب: مادّة (برم).

[٢] الإمام: الخيط الّذي يُمَدّ على البناء، فيُبْنى عليه ويُسوّى عليه سافُ البناء. لسان العرب: مادّة (أمم).

[٣] الجذيب: المجذوب. والجَذْب: المَدّ. لسان العرب: مادّة (جذب).

[٤] الهَجير: نصف النّهار عند اشتداد الحَرّ. لسان العرب: مادّة (هجر).

[٥] التّجير: ثُقل كُلّ شيء يُعصر. لسان العرب: مادّة (تجر).

[٦] النّساء: تأخُّر العُمر والبقاء. لسان العرب: مادّة (نسأ).

[٧] اليَفَن: الشّيخ الفاني. لسان العرب: مادّة (يفن).

[٨] يطرح لهم الفال: يرجو لهم الخير، ويتفاءل لهم. أبو العلاء المعرّيّ، الفُصول والغايات، تحقيق محمود حسن زناتي، ص٤٤٥.

[٩] الوليد: الغُلام قبل أن يَحْتَلِم، أو الشّابّ، والجمع وِلدان، وَوِلْدة. لسان العرب: مادّة (ولد).

[١٠] التَمَسَ: طَلَبَ. لسان العرب: مادّة (لمس).

[١١] القوت: ما يُمسِك الرَّمَقَ من الرّزق. لسان العرب: مادّة (قوت).

[١٢] كفاك الأمر: أغناك. فهو كاف. لسان العرب: مادة (كفي).

[١٣] النَّصِب: المريض الوَجِع. لسان العرب: مادّة (نصب).

[١٤] أسحر: خرجَ في السَّحَر. لسان العرب: مادّة (سحر).

[١٥] عَلِقَ به عَلَقاً وعَلِقَهُ: نشب فيه. لسان العرب: مادّة (علق).

[١٦] العَذَبة: الغُصن، والجمع عَذَب. لسان العرب: مادّة (عذب).

[١٧] أنكس: قلب الشّيء على رأسه، نَكَسَهُ ينكُسُهُ نَكْساً فانتكس، ونكس رأسه تنكيساً: أماله. لسان العرب: مادّة (نكس).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أعظم بعزّتك! ذهب الأبد[١] وأنت لا تحول[٢]. لا أعلم كُنهك[٣] ولا أهوء[٤]. أشوب في تقديسك وأروب[٥]، وأوقن أنّي في الغد أموت، فلتسقني من رحمتك غُيوث[٦]، تسكن حركتي فلا أموج[٧]. كم خَفَت[٨] قبلي نُبوح[٩]! نار كُلّ فريق تبوخ[١٠]. ليت أنّي وَتِد[١١] يسوخ[١٢]، أُدفن في الثّرى فلا أعود، بمن غير الخالق ألوذ! المرء يُقدّر[١٣] ولغيره الأُمور، يحسب أنّه يملك ويحوز، كَذَب! للّه النُّفوس. فلتمسح يدك من الدُّنيا مَشوش[١٤]، ستنبتّ[١٥] إن سلمت

---

[١] الأبد: الدّهر، والجمع آباد وأُبود. لسان العرب: مادّة (أبد).

[٢] تحول: تتحوّل. لسان العرب: مادّة (حول).

[٣] الكُنه: جوهر الشّيء، وقيل: غايته. لسان العرب: مادّة (كنه).

[٤] أهوء: هاء بنفسه إلى المعالي يهوءُ هَوْءاً: رفعها وسما بها إلى المعالي، وإنّي لأهوء بك عن هذا الأمر؛ أي أرفعك عنه. لسان العرب: مادّة (هوأ).

[٥] أشوب وأروب: من المثل "هو يشوب ويروب"، أي يخلط في القول والعمل، وأصل ذلك أن يجيء باللبن الرّائب ويشوبه بماء. والشّوب: الخَلْط. والرَّأب: الإصلاح. لسان العرب: مادّة (شوب). والميدانيّ، مجمع الأمثال، حقّقه وفصله وضبط غرائبه وعلّق حواشيه مُحمّد مُحيي الدّين عبد الحميد، ج٢، ص٤٠١.

[٦] الغُيوث: جمع الغيث، وهو المطر. لسان العرب: مادّة (غيث).

[٧] ماجَ يموجُ: اضطرب وتحيّر. لسان العرب: مادّة (موج).

[٨] خَفَتَ الصّوت خُفوتاً: سكنَ، ولهذا قيل للميّت. لسان العرب: مادّة (خفت).

[٩] النُّبوح: ضجّة الحيّ وأصوات كلابهم. لسان العرب: مادّة (نبح).

[١٠] تبوخ: باخَتِ النّارُ والحربُ تَبوخُ بَوْخاً وبُوُوخاً وبَوَخاناً: سكنَتْ وفَتَرت. لسان العرب: مادّة (بوخ).

[١١] الوَتِد والوَتْد والوَدّ: ما رُزّ في الحائط أو الأرض من الخشب، والجمع أوتاد. لسان العرب: مادّة (وتد).

[١٢] يسوخ في الأرض: يدخل فيها ويغيب. لسان العرب: مادّة (سوخ).

[١٣] يُقدّر: يُدَبّر. لسان العرب: مادّة (قدر).

[١٤] المَشوش: المنديل الّذي تُمسح به اليد. لسان العرب: مادّة (مشش).

[١٥] تنبتّ: تنقطع. لسان العرب: مادّة (بتت).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القَلوص[١]. أقتضب[٢] لغيري، وأروض[٣]. ما ضرّت عابداً للّه تحوط[٤]. هل لي إلى الشّبيبة[٥] رُجوع؟ هيهات وعن المنيّة[٦] أروغ! القلب دَنِس[٧] والجسد مَشوف[٨]. ويحي إذا طُلبت الحُقوق! لا ملك يسلم ولا صُعلوك. عندي للموت رسول، قال وصدق فيما يقول: إنّك أيّها الفاخر لمرحوم، أسرفت على[٩] نفسك وربٌّ صلاح[١٠]"[١١].

ومن خُرافات الحيوان الّتي أودعها أبو العلاء كتاب "الفُصول والغايات" كذلك، خُرافات قصيرة مُتلاحقة في مُعظمها، ذات مضمون فلسفيّ فكريّ، و وعظيّ دينيّ؛ فالنّفس تشعر بالشّرّ قبل وُقوعه، وتُحسّ بالفرح قبل حُدوثه، ولهذا أو ذاك تعتريها فرحة وبهجة، أو يُداخلها حزن وقلق، واللّه أودعها خوفاً وطمعاً، وألهمها احتراساً وخُدَعـاً[١٢]؛ ولأنّها كذلك؛ فحريّ بها أن تجعل ورعها خوفاً من اللّه، وولعها حُبّاً لذكره، وعملها سعياً لرضاه، وتوقّيها احتراساً من غضبه، وشغفها شوقاً للقائه. يقول أبو العلاء: "لعلّ الضّـبّ قد علم أنّ

---

[١] القَلوص: أوّل ما يُركب من إناث الإبل حين تُركب، وسُمّيت قلوصاً لطول قوائمها ولم تَجْسُم بعد. لسان العرب: مادّة (قلص).

[٢] أقتضبُ: من اقتضبْتُ البعير؛ إذا ركبته من غير رياضة. واقتضاب الكلام؛ أي ارتجاله. لسان العرب: مادّة (قضب).

[٣] راضَ يروضُ رَوْضاً ورياضةً الدّابّةَ: وَطّأها وذلّلها، أو عَلّمها السّيرَ. لسان العرب: مادّة (روض).

[٤] تحوط: اسم للسّنة المُجْدِبة. لسان العرب: مادّة (حوط).

[٥] الشّبيبة: الشّباب. لسان العرب: مادّة (شبب).

[٦] المنيّة: الموت. لسان العرب: مادّة (مني).

[٧] دَنِسَ يَدْنَسُ دَنَساً فهو دَنِس: توسّخ. لسان العرب: مادّة (دنس).

[٨] مشوف: مجلُوّ. لسان العرب: مادّة (شوف).

[٩] أسرفَ: جاوز الحدّ. لسان العرب: مادّة (سرف).

[١٠] صلاح: من أسماء مكّة مبنيّ على الكسر. لسان العرب: مادّة (صلح).

[١١] أبو العلاء المعرّيّ، الفُصول والغايات، تحقيق محمود حسن زناتي، ص ص٤٤٤-٤٤٦.

[١٢] الخُدْعة: ما تخدع به وتغدر. لسان العرب: مادّة (خدع).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الكُدية[١] ستُسلمه[٢]، وفزع الظّبي من الحابل[٣] قبل أن يَريبه[٤]، والوليد يأخذ المَرْوة[٥] وجناح الطّائر ينتفض، واللّه أودع الأنفس خوفاً وطمعاً. لو شاء خلجت[٦] اللّهاة[٧] فقالت: سيهبط حاملي أرضاً كثيرة الرّقال[٨]، فليصيبنّ من هامدها[٩]. ولاضطربت حوصلاء الظّليم[١٠]، فقال: قِرّي قِرّي[١١]، وإن كُنت مُبشّرة فتبشّري[١٢]، لأُزيرنّك بلاداً كثيرة التّنوم[١٣]، أو لأُلقينّ فيك ما شئت من الهبيد[١٤] إنْ كان العِشرق[١٥] ليس لك بجبيب، ويعصي اللّه من كان جَشِعاً[١٦]. لو شاء رأت القطاة رجلاً من أهل البادية يشري[١٧] أَدَماً[١٨]، فابتهجت له، ولم تشعر لم ذلك، فصنع الرّجل من الأدَم غَرْباً[١٩]،

---

[١] الكُدية: الأرض الغليظة، أو الصّلبة، أو المُرتفعة. لسان العرب: مادّة (كدا).

[٢] أسْلَمَهُ: خَذَلَهُ. لسان العرب: مادّة (سلم).

[٣] الحابل: الّذي ينصب الحِبالة للصّيد. لسان العرب: مادّة (حبل).

[٤] الرّيبة: الشّكّ والظّنّ. وأرابني ويَريبني: أدخلَ عليّ شرّاً أو خوفاً، شككني. لسان العرب: مادّة (روب).

[٥] المَرْوة: حجر أبيض رقيق، والجمع مَرْو. لسان العرب: مادّة (مرو).

[٦] خَلَجَت: اختلجت؛ أي تحرّكت. لسان العرب: مادّة (خلج).

[٧] اللّهاة: اللحمة المُشرفة على الحلق، أو الهَنَة المُطبقة في أقصى سقف الفم. لسان العرب: مادّة (لها).

[٨] الرَّقْلة: النّخلة، وجمعها رِقال، ورَقْل. لسان العرب: مادّة (رقل).

[٩] الهامد من الشّجر: اليابس. لسان العرب: مادّة (همد).

[١٠] الظّليم: الذّكر من النّعام، والجمع: أظْلِمة، وظُلْمان، وظِلْمان. لسان العرب: مادّة (ظلم).

[١١] أقرّ اللّهُ عينك: بلّغك أُمنيتك حتّى ترضى نفسك. لسان العرب: مادّة (قرر).

[١٢] تبشّري: أبشري بـ لسان العرب: مادّة (بشر).

[١٣] التّنوم: شجر له حَمْل صِغار كمثل حبّ الخِرْوع، تأكله النّعام والظّباء، واحدته تُومة. لسان العرب: مادّة (تنم).

[١٤] الهبيد: الحنظل، أو حَبّهُ، واحدته هبيدة. لسان العرب: مادّة (هبد).

[١٥] العِشرق: شجر، وقيل: نبت، واحدته عِشْرقة. لسان العرب: مادّة (عشرق).

[١٦] الجَشِع: الحريص. لسان العرب: مادّة (جشع).

[١٧] يشري: يشتري. لسان العرب: مادّة (شرى).

[١٨] الأدم: الجلد. لسان العرب: مادّة (أدم).

[١٩] الغَرْب: الدّلو العظيمة تُتخذ من جلد ثور. ويُقال: الرّاوية الّتي يُحمل عليها الماء. لسان العرب: مادّة (غرب).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأورد[١] إبله عِدّاً[٢]، واتّخذ لها حوضاً فسقى، وأسأر[٣]، فأقبلت سُربة من الكُدريّ[٤] فيها تلك القطاة، فأصابت من ذلك السُّؤر[٥]، فلمّا ارتوت، قالت: لِريّ اليوم ما اغتبطت بالأمس، ومن أمن من اللّه بات من النّاس مُرَوَّعاً[٦]. وإذا حكم ربّك رأى فرخ الغُراب قبل أن ينهض للطّيران عتيلاً[٧] يُفقّر لفسيل[٨]، فجعل ينضاع من الابتهاج، وهو لا يعلم لأيّ شيء يحتفر ذلك العتيل، ثُمّ إنّه طار ونأى[٩] عن تلك الأرض، فلمّا كان بعد أعوام قدمها، فرأى في موضع ذلك التّفقير أشاءً[١٠] كأنّها موسقات[١١] الظُّعُن[١٢]، فأصاب[١٣] من الجَدَم[١٤] والفَرَاس[١٥]، وقال: إنّ نفساً أحسّت بهذين ونخلهما نوىً[١٦]

---

(١) أوردهُ الماءَ: جعلَهُ يردُه. لسان العرب: مادّة (ورد).

(٢) العِدّ: القديم من الرّكايا. وقيل: هو الماء القديم الّذي لا ينتزح. لسان العرب: مادّة (عدد).

(٣) أسأر: أبقى من الماء. لسان العرب: مادّة (سأر).

(٤) الكُدريّ: ضرب من القطا، قِصار الأذناب، فصيحة. لسان العرب: مادّة (كدر).

(٥) السُّؤر: بقيّة الماء. لسان العرب: مادّة (سأر).

(٦) الرّوع والرُّواعُ والتّرُّوع: الفَزَع. لسان العرب: مادّة (روع).

(٧) العتيل: الأجير أو الخادم. لسان العرب: مادّة (عتل).

(٨) الفسيل: الواحدة الصّغيرة من النّخل تُقطع من الأُمّ فتُغرس. لسان العرب: مادّة (فسل).

(٩) نأى يَنْأى: بَعُدَ. لسان العرب: مادّة (نأي).

(١٠) الأشاء: صِغار النّخل، واحدتها أشاءة. لسان العرب: مادّة (أشأ).

(١١) أوسقت النّخلة: كثُر حملها. لسان العرب: مادّة (وسق).

(١٢) الظّعينة: الهودج تكون فيه المرأة. والظّعينة: المرأة في الهودج، والجمع ظُعُن، وظعائن، وأظعان. لسان العرب: مادّة (ظعن). وتُشبّه ظُعُنُ البادية بالأشاء الحوامل.

(١٣) أصابَ منه: أخذَ وتناوَلَ. لسان العرب: مادّة (صوب).

(١٤) الجدَم: ضرب من التّمر. لسان العرب: مادّة (جدم).

(١٥) الفَراس: التّمر الأسود. لسان العرب: مادّة (فرس).

(١٦) النّوى: جمع نَواة التّمر؛ وهي عجمة التّمر والزّبيب وغيرهما. لسان العرب: مادّة (نوي).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مع العسيف[١]؛ لنفس ولوع[٢]، فطوبى[٣] لمن كان بذكر ربّه مولعاً. ويأذن الخالق فتبصر الضّائنة قَيْناً[٤] يصنع شفرة، فتُراع منه، وهي لا تدري أللذّبح هي أم لحلأة[٥] الأفيق[٦]، واللّه أشعر أنفس المخلوقين جزعاً... ويقول فرخ النّسر لأبيه: رأيت فيما يرى النّائم سناناً[٧] يُركّب على قناة[٨]، فحدّثتني الكذوب بالشّبع، فهل لك بهذه الرُّؤيا[٩] علم؟ فيقول: قرّت عينك، يقع كيد[١٠] بين القوم؛ فآتيك باللحم غريضاً[١١]، يقطر منه الدّم. ويرزق اللّه النُّسور إذا بدت الرّماح شُرّعاً[١٢]. وبحكم اللّه تقول النّوق لمناسمها[١٣]: ما لك تألمين[١٤] والسّاعة أفرعتِ[١٥] في المسافة؟ فتقول: إنّ أُمّ أدراص[١٦] منّا لقريب، وإذا أيّد اللّه الرّكائب[١٧]، لم تر ظُلّعاً[١٨].

---

(١) العسيف: الأجير المُستهان به، جمعه عُسفاء. لسان العرب: مادّة (عسف).

(٢) الوَلوع: الشّديدة التّعلّق. لسان العرب: مادّة (ولع).

(٣) الطّوبى: الحُسنى والخير. لسان العرب: مادّة (طيب).

(٤) القَيْن: الحدّاد. وقيل: كُلّ صانع قَيْن، والجمع أقيان وقُيون. لسان العرب: مادّة (قين).

(٥) الحَلْء: قَشر الشّعر عن الأديم. لسان العرب: مادّة (حلأ).

(٦) الأفيق: الجلد الّذي لم يُدبَغ، وقيل: الّذي لم تتمّ دباغته. لسان العرب: مادّة (أفق).

(٧) السّنان: سِنانُ الرُّمح، وجمعه أسِنّة، وهي حديدة الرُّمح لصقالتها وملاستها. لسان العرب: مادّة (سنن).

(٨) القَناة: الرُّمح، والجمع قَنَواتٌ وقَنًا وقُنِيٌّ. لسان العرب: مادّة (قنا).

(٩) الرُّؤيا: ما يراه النّائم في منامه. لسان العرب: مادّة (رأى).

(١٠) الكَيْد: الحَرْب. لسان العرب: مادّة (كيد).

(١١) الغَريض: الطّريّ من اللحم واللبن والماء والتّمر. لسان العرب: مادّة (غرض).

(١٢) أَشْرَعَ نَحْوَهُ الرُّمحَ والسّيفَ وشَرَعَهُما: أقبلَهُما إيّاه وسدّدَهُما نحوه. لسان العرب: مادّة (شرع).

(١٣) المَنْسِم: طرف خُفّ البعير والنّعامة والفيل، وجمعه مَناسم. لسان العرب: مادّة (نسم).

(١٤) ألِمَ يَأْلَمُ أَلَماً: تألّم. لسان العرب: مادّة (ألم).

(١٥) أفرعت في المسافة: ابتدأت بها. لسان العرب: مادّة (فرع).

(١٦) أُمّ أدراص: أرض فيها جِحَرَة فأر ويرابيع يصعُب المشي فيها. لسان العرب: مادّة (درص).

(١٧) الرَّكوبة: الرَّكوب أو المُخصّصة للرّكوب، وجمعها رَكائب. لسان العرب: مادّة (ركب).

(١٨) ظَلَعَ ظَلْعاً: عَرِج وغمز في مشيه. والظُّلاع: داء يأخذ في قوائم الدّوابّ؛ فتظلع منه. لسان العرب: مادّة (ظلع).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويعرف الحِسل الشّرّ في الحارش[١]، واللّه ألهمنا احتراساً وخُدَعاً... إن شئت قالت الوردة لأُختها: ما أشوقني إلى الماء[٢]! قالت: ورقك يهفّ[٣]، والنّسيم راكد[٤]، ستروين ولو من أدمع كئيب، سعِد من أجرى خيفة ربّه أدمعاً. وإذا أنطق ربّنا بالقُدرة غير النّاطقين، قالت البَهارة[٥] لصاحبتها: ودّعيني؛ فالبارحة طُللت[٦] ولم أنتعش. ما أقرب منّي قدم واطىء[٧]، أو كفّ جان[٨]، فاجعلني ربّ لخشيتك مُستودعاً. وإذا حكمت قالت أُمّ حُبيْن[٩] للحرباء[١٠]: ألا تبرُز[١١] فقد ضحا[١٢] اليوم؟ قال: نفس تأمرني بذلك، ونفس تنهاني عنه، والثّبات في موضع مبيتي أحزم[١٣]، ولكنّ العادة جذوب[١٤]. فخرج فلمّا انتصب في الجِذْل[١٥]، مرّ راكب خلفه صبيّ، فسقط سوط الرّاكب، فقال للصّبيّ: انزل، فأعطني السّوط. فلمّا نزل أخذ فِهْراً[١٦] من

---

[١] حرشَ الضّبَّ يَحرِشُهُ حَرْشاً: صادَهُ. لسان العرب: مادّة (حرش).

[٢] ما أشوقني: ما أشدّ شوقي!

[٣] يهفّ: يتحرّك حركة خفيفة. لسان العرب: مادّة (هفف).

[٤] الرّاكد: السّاكن الّذي لا يجري. لسان العرب: مادّة (ركد).

[٥] البَهارة: نبت طيّب الرّيح، وجمعها بَهار. لسان العرب: مادّة (بهر).

[٦] طُللت: أصابني الطّلّ، وهو أخفّ المطر وأضعفه. وقيل: هو النّدى. لسان العرب: مادّة (طلل).

[٧] وَطِىء الشّيء تَطَؤُهُ وطْأً: داسه. لسان العرب: مادّة (وطأ).

[٨] جنى الثّمَرَة يجنيها جَنىً وتجنّاها: تناوَلَها من شجرتها. لسان العرب: مادّة (جني).

[٩] أمّ حُبين: دُوَيبّة على خِلْقة الحِرباء، عريضة الصّدر، عظيمة البطن، وقيل: هي أُنثى الحرباء. لسان العرب: مادّة (حبن).

[١٠] الحرباء: حيوان أكبر من العظاية، وهو يستقبل الشّمس ويدور معها كيفما دارت، ويتلوّن بحرّ الشّمس ألواناً مُختلفة، وهو لا يكاد يُفارق أُصول الأشجار وغُصونها. مجموعة من المُؤلّفين، المُنجد في اللّغة والأعلام: مادّة (حرب).

[١١] بَرَزَ يَبْرُزُ بُروزاً: خرجَ إلى البَراز، والبَراز الموضع الّذي ليس به خَمَرٌ من شجر ولا غيره. لسان العرب: مادّة (برز).

[١٢] الضَّحْوُ والضَّحْوَة والضَّحِيَةُ: ارتفاع النّهار. لسان العرب: مادّة (ضحا).

[١٣] الحَزْمُ: ضبط الإنسان أمره والأخذ منه بالثّقة. لسان العرب: مادّة (حزم).

[١٤] جاذَب فلاناً الشّيء: نازعه إيّاه. لسان العرب: مادّة (جذب).

[١٥] الجِذْل: ما عظُم من أُصول الشّجر المُقطّع. لسان العرب: مادّة (جذل).

[١٦] الفِهْر: الحجر يملأ الكفّ. لسان العرب: مادّة (فهر).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأرض، فرمى الحرباء فقتله؛ فقالت أُمّ حُبين: بَكَراً[١] حدّثك نفسك بمصرع الهجير، وسيلقى الحيّ بأمر الأوّل مصرعاً. وإذا أطلـق واهب الحواسّ ألسن الدَّبر[٢]، قال اليعسوب[٣] لجوارسه[٤]، وقد وقع في أرض مُرعية[٥]: إنّ الجني اليوم لغير عذب في فيّ، فأدركن بيوتكنّ، فأحسب أنْ قد حربَكُنّ[٦] شُعْث[٧] الرُّؤوس، أخلاق[٨] الأطمار[٩]، معهم المحابض[١٠] والأخراص[١١]، فعُدن فإذا الأزي[١٢] في المسائب[١٣]، وهِفّ[١٤] الشّمع[١٥] مُلقىً في الرّيح وقد تخُرِّم[١٦] الرَّصْع[١٧]، وتقوى ربّك أحصن دِرع، فكن بالتّقوى مُدرّعاً"[١٨].

---

[١] البَكَر: الغُدوة، قال سيبويه لا يُستعمل إلاّ ظرفاً. لسان العرب: مادّة (بكر).

[٢] الدَّبر: النّحل. وقيل: الزّنابير. لسان العرب: مادّة (دبر).

[٣] اليعسوب: أمير النّحل وذكرها، والجمع يعاسيب. لسان العرب: مادّة (عسب).

[٤] الجوارس: النّحل؛ لأنّها تجرِس من الشّجر أي تأكل. لسان العرب: مادّة (جرس).

[٥] الأرض المُرعية: كثيرة الرّعي. والرّعي: الكلأ. لسان العرب: مادّة (رعي).

[٦] حَرَبَهُ حَرَباً: أخذ ماله وتركه بلا شيء. لسان العرب: مادّة (حرب).

[٧] شَعِث الشّعر شَعَثاً وشُعوثةً: تلبّد. لسان العرب: مادّة (شعث).

[٨] خَلِقَ وأخْلَقَ الثّوبُ والجلدُ وغيرهما: بَلي. لسان العرب: مادّة (خلق).

[٩] الطِّمْر: الثّوب الخَلَق البالي، وجمعه أطمار. لسان العرب: مادّة (طمر).

[١٠] المِحْبَض: مِشْوَر العَسل، وهو عود يُشار به العسل، وجمعه مَحابِض. لسان العرب: مادّة (حبض).

[١١] الخُرْص: العود الّذي يُشار به العسل، وجمعه أخراصٌ، وخُرصانٌ، وخِرْصانٌ. لسان العرب: مادّة (خرص).

[١٢] الأَزِيُّ: العسل. لسان العرب: مادّة (أري).

[١٣] المسائب: مُفردها المِسأَب، وهو السَّأب أي الزِّقّ، أو زقّ العسل: وعاء يُجعل فيه العسل. لسان العرب: مادّة (سأب).

[١٤] الهِفّ: الشُّهدة الرّقيقة الخفيفة القليلة العسل. لسان العرب: مادّة (هفف).

[١٥] الشَّمَع والشَّمْع: موم العسل الّذي يُستصبح به. لسان العرب: مادّة (شمع).

[١٦] تَخَرَّم: تشقّق. لسان العرب: مادّة (خرم).

[١٧] الرَّصْع: فراخ النّحل، الواحدة رَصَعة. لسان العرب: مادّة: (رصع).

[١٨] أبو العلاء المعرّي، الفُصول والغايات، تحقيق محمود حسن زناتي، ص ص٥٤١- ٥٤٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أمّا كتاب "القائف"، كما يُخبرنا بعض أعلام القُدماء ممّن ترجموا لأبي العلاء وتحدّثوا عن كُتبه، فقد نسجه أبو العلاء على معنى "كليلة ودمنة" لعزيز الدّولة، والي حلب من قِبل المصريّين، ومقداره ستّون كُراسة، ووضع في إضاءة ما غمُض منه واستعصى على الفهم كتاباً آخر أسماه "منار القائف"، في عشرة كراريس [١]، غير أنّ "القائف" ومناره لم يصلا إلينا، إلاّ أربع حكايات تمثّل بها الكلاعيّ في "فصل المقامات والحكايات"، من كتابه "إحكام صنعة الكلام"، ثلاث منها على ألسنة الحيوانات[٢] كما سبق أن أشرت.

ولعلّ ما قصده القُدماء بقولهم: "على معنى كليلة ودمنة"، هو وضع الحكايات الخُرافيّة على ألسنة الحيوانات وغير الحيوانات؛ لإيصال الرّسائل الفكريّة والنّقديّة. ويُمكننا أن نجد تأييداً على ذلك، فيما قدّم به الكلاعيّ روايته للحكايات الأربع الّتي ساقها من قائـــف أبي العلاء؛ إذ قال: "ومن الحكايات المُختلقة والأخبار المزعومة المُنمّقة: كتاب "كليلة ودمنة"، وكتاب "القائف" لأبي العلاء، وفيه تكلّموا على ألسنة الحيوان وغير الحيوان"[٣].

كما قد يحمل عُنوان كتاب "القائف" إيحاء بأنّ أبا العلاء قد قفا فيه صنيع ابن المُقفّع في كتاب "كليلة ودمنة"؛ فالقائف في اللُغة، من قَفوْتُ فُلاناً؛ إذ تبعتُ أثره[٤].

---

(١) انظر: ياقوت الحَمَويّ، مُعجم الأُدباء: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، حقّقه وضبط نُصوصه وأعدّ حواشيه وقدّم له عُمر فاروق الطّبّاع، المُجلّد الأوّل، ص٥٩١؛ القِفطيّ، إنباه الرُّواة على أنباه النُّحاة، تحقيق مُحمّد أبي الفضل إبراهيم، ج١، ص٩٨؛ ابن العديم، الإنصاف والتّحرّي في دفع الظُّلم والتّجرّي عن أبي العلاء المَعرّيّ، كتاب تعريف القُدماء بأبي العلاء المعرّيّ، جمع وتحقيق مُصطفى السّقّا، وعبد السّلام مُحمّد هارون، وعبد الرّحيم محمود، وإبراهيم الإبياري، وحامد عبد المجيد، بإشراف طه حسين، ص٥٣٢.

(٢) انظر: الكلاعيّ، إحكام صنعة الكلام، تحقيق مُحمّد رضوان الدّاية، ص ص٢٠٨- ٢١٠.

(٣) المصدر نفسه، ص٢٠٨.

(٤) لسان العرب: مادّة (قفا).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والتأمُّل فيما صدّر به الكلاعيّ روايته للحكايات الأربع، يكشف وجهاً آخر من وُجوه تلاقي الكتابيْن، وهو التّنميق، ولعلّه قصد به الصّنعة بما فيها من تخيُّر الألفاظ، والالتزام بالسّجع، وتقارب الجُمل في الطّول، وغير ذلك.

وقد أنهى الكلاعيّ روايته للحكايات الأربع بالإشادة بصنيع أبي العلاء في "القائف"، لا بل بتفضيل "القائف" على "كليلة ودمنة"؛ فهو أكبر حجماً، وأرحب أُفقاً، وأكثر أصالة وأثراً؛ إذ قال: "ولأبي العلاء في كتاب القائف إحسان مشهور، وإبداع كثير موفور، وهو أكثر من "كليلة ودمنة" ورقاً، وأفسح طَلَقاً[١]، وأطيب شميماً وعَبَقاً[٢]"[٣].

الحكاية الأُولى من حكايات الحيوان الثّلاث، هي حكاية النّملة الّتي حضرتها الوفاة، وفيها أودع أبو العلاء موقفه من عصره الّذي يمور بالصّراعات والبطش وسَفك الدّماء؛ فنملة هذه الحكاية طامعة برحمة ربّها؛ لأنّها لم تسفك في حياتها دماً قطّ، وما هذه النّملة إلاّ رمز لأبي العلاء نفسه، الّذي كان يمتنع عن أكل لُحوم الحيوان، ويُحرّم إيلامه[٤]، في وقت كان البشر فيه ينهشون لُحوم بعضهم، ولا يتوانون عن إيلام غيرهم.

---

[١] الطَّلَقُ: الإرسال، والتخلية، وحلّ العَقْد، والتّرك. لسان العرب: مادّة (طلق).

[٢] عَبِقَ به عَبَقاً وعَباقية: لزِمَهُ. وعَبقت الرّائحةُ في الشّيء: بقيت والشّميم: الرّائحة. لسان العرب: مادّة كُلّ من (شمم) و (عبق).

[٣] الكلاعيّ، إحكام صنعة الكلام، تحقيق مُحمّد رضوان الدّاية، ص٢١٠.

[٤] انظر: ياقوت الحَمَويّ، مُعجم الأُدباء/ إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، حقّقه وضبط نُصوصه وأعدّ حواشيه وقدّم له عُمر فاروق الطّبّاع، المُجلّد الأوّل، ص٥٦٩؛ القفطيّ، إنباه الرُّواة على أنباه النُّحاة، تحقيق مُحمّد أبي الفضل إبراهيم، ج١، ص ص٨٣- ٨٤، ص١٠٩، ١١٦؛ سبط ابن الجوزي (٥٨١- ٦٥٤هـ= ١١٨٥- ١٢٥٦م)، مِرآة الزّمان في تاريخ الأعيان، كتاب تعريف القُدماء بأبي العلاء المعرّيّ، جمع وتحقيق مُصطفى السّقّا، وعبد الرّحيم محمود، وعبد السّلام مُحمّد هارون، وإبراهيم الإبياري، وحامد عبد المجيد. بإشراف طه حسين، ص١٤٤، ١٥١؛ ابن خلّكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، حقّقه إحسان=

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تقول هذه الخُرافة: "حضرتِ النّملةَ الوفاةُ، فاجتمع حواليها النّمل، فقالت نادبتها[١]: يرحمك اللّه! أمن شعيرة[٢] مجرورة، وبُرّة[٣] ممطورة[٤]، وآثار سُفرة[٥] منشورة؟ قالت لهنّ: لا تجزعن[٦]، فقد ذخرت[٧] عند اللّه ذخيرة، من ذخر مثلها جدير بالرّحمة، وذلك أنّي لم أسفك دماً قطّ"[٨].

الحكاية الثّانية، هي حكاية الوَضع[٩]، الّذي أعرض عن الشّهات بالأفعى وقد كُفّت[١٠]، وكان قد ناله منها أذىً كبير من قبل، وتعكس هذه الحكاية موقفاً اجتماعيّاً مال إليه أبو العلاء، ورُبّما اتّخذه من الّذين أساؤوا إليه. تقول هذه الحكاية: "زعموا أنّ وَضعاً كان يُجاور حيّة رقشاء. فكان ذلك الوَضع إذا فرّخ سرت الحيّة لآكل فراخه في الظّلام، في عام

=عبّاس، المُجلّد الأوّل، ص١١٤؛ الذّهبيّ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عُمر عبد السّلام تدمُري، حوادث وفيات ٤٤١- ٤٥٠هـ و ٤٥١- ٤٦٠هـ، ص٢٠٣؛ ابن الورديّ، تتمّة المُختصر في أخبار البشر، تحقيق وإشراف أحمد رفعت البدراوي، ط١، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ١٣٨٩هـ/ ١٩٧٠م، ج١، ص٥٤١؛ صلاح الدّين الصّفديّ، الوافي بالوفيات، ج٤، ص٣٨٠.

[١] ندبَ الميتَ: بكى عليه، وعدّد محاسنه. لسان العرب: مادّة (ندب).

[٢] الشّعير: جنس من الحُبوب معروف. واحدته شَعيرة. لسان العرب: مادّة (شعر).

[٣] البُرّة: الواحدة من البُرّ، وهو حبّ القمح والحنطة. لسان العرب: مادّة (برر).

[٤] الممطورة: الّتي أصابها المطر. لسان العرب: مادّة (مطر).

[٥] السُّفرة: طعام يُتّخذ للمُسافر. لسان العرب: مادّة (سفر).

[٦] الجزع: الخوف ونقيض الصّبر. لسان العرب: مادّة (جزع).

[٧] ذخرت: ادّخرتُ. لسان العرب: مادّة (ذخر).

[٨] الكلاعيّ: إحكام صنعة الكلام، تحقيق محمّد رضوان الدّاية، ص٢٠٩.

[٩] الوَضع: الصّغير من العصافير. وقيل: هو طائر كالعُصفور. لسان العرب: مادّة (وصع).

[١٠] كُفّ بَصَرُها وكَفّ كَفّاً: ذهب. لسان العرب: مادّة (كفف).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بعد عام. واللّه يُجازي على الحَيف[١] والإنعام[٢]. فقُضي بتلك الحيّة أن كُفّت في آخر عمرها، فلزمت الوِجار، لا تُذعر التّائي ولا الجار. فقال أحبّاؤه: ألا تأتي الظّالمة مُظهراً للشّمات؟ قال: لو كنتُ، وهي المُبصرة، أقدر على ضَيْر، لكُنتُ إليها وشيك[٣] السَّيْر، فأمّا إذ كفتنيها الأقضية[٤]، فإنّ عيني عنها مُغضية[٥]"[٦].

أمّا الحكاية الثّالثة، فحكاية الأسد الّذي ترفّع عن عطايا المُلوك والأصحاب، مُكتفياً بنبات الأرض، على الرّغم من ذهاب بصره وحاجته وسغبه، حِفاظاً على ماء وجهه، واعتداداً بأنفته وكبريائه، وهي حكاية أبي العلاء نفسه، فقد "كانت له نفس تشرُف عن تحمُّل المنن"[٧]، وتعرِض عن أعطيات المُلوك والأشراف والنّاس، على الرّغم من حاجته وضيق ذات يده[٨]. تقول هذه الحكاية: "عُمي أسد من عوامّ الأُسد، فأضرّ ذلك به. فقيل له: لو جئت ملك الأُسد؛ فسألته أن يصلك، لكان ذلك رأياً لك. فذهب إليه، وسرد قصّته عليه. فقال لخازنه يُجري له[٩] في كُلّ يوم عُضواً مُؤرّباً[١٠].

---

[١] الحَيف: الميل في الحُكم، والجَوْر، والظُّلم. لسان العرب: مادّة (حيف).

[٢] الإنعام: الإحسان. لسان العرب: مادّة (نعم).

[٣] الوشيك: السّريع. لسان العرب: مادّة (وشك).

[٤] الأقضية: جمع القضاء، وهو الحُكم والحَتْم. لسان العرب: مادّة (قضي).

[٥] أغضى عنه طَرْفه: سَدّه أو صدّه. لسان العرب: مادّة (غضا).

[٦] الكلاعيّ، إحكام صنعة الكلام، تحقيق مُحمّد رضوان الدّاية، ص٢١٠.

[٧] القِفْطيّ، إنباه الرُّواة على أنباه النُّحاة، تحقيق مُحمّد أبي الفضل إبراهيم، ج١، ص٨٤.

[٨] انظر: ابن العديم، الإنصاف والتّحرّي في دفع الظُّلم والتّجرّي عن أبي العلاء المعرّيّ، كتاب تعريف القُدماء بأبي العلاء المعرّيّ، جمع وتحقيق مُصطفى السّقّا، وعبد الرّحيم محمود، وعبد السّلام مُحمّد هارون، وإبراهيم الإبياري، وحامد عبد المجيد، بإشراف طه حسين، ص ص٥٧٧- ٥٧٨.

[٩] أجْرَيْتُ له كذا: أدمتُهُ لَهُ. والجِراية: الأعطيات. لسان العرب: مادّة (جرا).

[١٠] عضو مُؤرَّب: مُوفّر كامل. لسان العرب: مادّة (أرب).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقال الأسد الّذي التمس الجراية: أصلح اللّه الملك! إنّي كنت أصطاد الوعل[١] والبقرة الأهليّة[٢]، فلا أكاد أُدرك بهما الشّبع، فأين منّي هذا العُضو يقع؟ فقال الملك: من اتّكل على كسب غيره، وجب أن يقتنع بقليلِ خيره. قال الأسد: صدق الملك، ولا حاجة لي بهذا العُضو. قال الملك: فما تصنع؟ قال: أجتزىء[٣] بنبت السّحاب، ولا أفتقر إلى الملك والأصحاب"[٤].

تُعلن خُرافات الحيوان الّتي وضعها أبو العلاء شغفه بهذا اللون من الحكايات، واحتفاءه بتوظيفه في سياقات مُختلفة، مُستَغِلاً ما يُتيحه من مساحة رحبة للتّعبير والبوح، وللغُموض والالتفاف كذلك، وما يستوعبه من مضامين، وما يختزنه من دلالات، وما يُوفّره من رُموز وتشبيهات، وما يُحقّقه من إمتاع وإثارة، ويستقطبه من انتباه واهتمام.

تتوارى خلف هذه الخُرافات بعض رُؤى أبي العلاء الفكريّة، ومواقفه السّياسيّة والاجتماعيّة، ورسائله الإصلاحيّة الوعظيّة والنّقديّة. والنّظر فيها يفضح كثيراً من ملامح شخصيّته؛ حيث الأنفة، والكبرياء، والتّرفُّع، والحُزن، والتّأدب، ويكشف شيئاً من هواجس نفسه ومُعاناتها، تلك المُعاناة الّتي لم يُفلح أبو العلاء في الإفلات من شباكها في مُعظم حكاياته، فانتهى أمر الحيّة الّتي طاردت الثّعلب إلى العمى، مثلما آل أمر كُلّ من الحيّة الّتي آذت الوَضع، والأسد الّذي ترفّع عن عطايا المُلوك والأصحاب، وتعفّفت النّملة عن سَفْك الدّماء،

---

[١] الوَعْل: تيس الجبل، والجمع أوْعال، ووُعول، ووُعُل، ووَعِلة. لسان العرب: مادّة (وعل).

[٢] الأهليّ: الإنسيّ، ضدّ الوحشيّ. لسان العرب: مادّة (أهل).

[٣] اجْتَزَأْتُ بكذا وتَجَزَّأْتُ به: اكتفيتُ. لسان العرب: مادّة (جزأ).

[٤] الكلاعيّ، إحكام صنعة الكلام، تحقيق مُحمّد رضوان الدّاية، ص ص٢٠٩- ٢١٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واكتفى الأسد بنبات الأرض، وانتهى الحال بثعلب "الفُصول والغايات" إلى الزُّهد والتّنسُّك والورع، وآل أمر كُلّ من الطّائر والحمامة إلى السّجن، حيث الوحدة والألم.

وتعكس هذه الخُرافات شيئاً من أُسلوب أبي العلاء، الّذي اعتنى بأفكاره ومعانيه اعتناءه بما يُعبّر عنها من ألفاظ وعبارات؛ فكلتاهما ثمرة تأمُّل وتفكُّر، وقِطاف تقليب ونظر، ومنطق غالب، وكلتاهما ميدان للسّبق والتّمايز، ومجال لاستعراض الثّقافة الواسعة والمعارف المُختلفة، وفيهما معاً نُطالع ما استحسنه الذّوق النّقديّ العامّ، ونتمثّل صورة للبيئة الأدبيّة في عصر أبي العلاء، وما راج فيها من أساليب أدبيّة.

لقد اختار أبو العلاء من الألفاظ أقواها تعبيراً عن المعنى، وأحكم سَبْكها، وراعى ائتلافها، وأحسن تعالُق عباراته وتعاقُبها، وهيّأ لها إيقاعاً موسيقيّاً، تضافرت كثير من العوامل لتحقيقه؛ ففضلاً عن توافق الألفاظ، وحسن سبكها، كان هناك الاحتفاء بالعبارة القصيرة، وتجزئة الطّويلة، والعناية بتوافق العبارات في الطّول، واتّفاق نهاية كُلّ اثنتين منها في الأغلب، وتماثل غير حرف فيهما - في نهايتيهما - أحياناً.

ولقد احتفى أبو العلاء بتحميل المعنى الواحد لغير عبارة، وضمّن بعض حكاياته أمثالاً وحكماً، فاستقلّت العبارات الّتي تحملها بمعانيها، وارتبطت بالسّياق تدليلاً وتأكيداً، كما ضمّن أبو العلاء بعض حكاياته عبارات دُعائيّة ومُعترضة، خدمت المعنى من جهة، وأسهمت في البناء الموسيقيّ من جهة أُخرى.

ولمّا كانت خُرافات الحيوان الّتي أودعها أبو العلاء بعضاً من رسائله ومُصنّفاته الأدبيّة، تمثّلاً على ما ذهب إليه من رأي، فقد جعلها تالية للفكرة الّتي جاءت تُدلّل عليها أو تُؤكّدها، يقول: "وإذا جاءت التّهنئة من غير نظير، فإنّها تُعتقد من المحاظير، كمثل أسد لمّا ظفر بفرس

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لبعض المُلوك..."[١]، وصدّر كثيراً منها عبارات تحمل معنى التّشبيه، من نحو: "كمثل"[٢]، أو "كيف لي بأن أكون"[٣]، واحتفى أبو العلاء بالتّدليل على الرّأي نفسه بغير حكاية، كما هي الحال في الخُرافتين اللتين أودعهما "رسالة الهناء"[٤].

وقد تخلّى أبو العلاء عن صيغة "زعموا أنّ"، وما يُضارعها من صيغ، فيما رواه الكلاعيّ من حكايات "القائف"، إلاّ في حكاية "الوَضع والحيّة"، فقد صدّرها بصيغة "زعموا أنّ"، ولا ندري ما إذا كان أبو العلاء في ذلك ينفي عن نفسه وضعها، ويقصر دوره على نقلها، ممّا قد يعني أنّ كتاب "القائف" احتمل حكايات موروثة، أم أنّه يقتفي في روايتها ما كان من نهج رواية خُرافات الحيوان، ولا سيّما في كتاب "كليلة ودمنة".

---

[١] أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الهناء، تحقيق وشرح كامل كيلاني، ص٧٦.

[٢] انظر: المصدر نفسه، ص٧٦، ٨٠.

[٣] انظر: أبو العلاء المعرّيّ، الفُصول والغايات، تحقيق محمود حسن زناتي، ص١٨٤.

[٤] انظر أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الهناء، تحقيق وشرح كامل كيلاني، ص ص٧٦- ٨٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حكاية الحيوان النثرية الطويلة في القرن الخامس الهجري وتمثلها "رسالة الصاهل والشاحج" لأبي العلاء المعري

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

منفذ

لم يكن هُناك من احتفى بحكايـــة الحيوان، في القـــرن الخامس الهجريّ، احتفاء أبي العلاء بها. لم يكن هناك من طوّرها، وطوّعها، وقلّبها بين يديْـــه بخفّـــة ومهارة، مُستثمراً إمكاناتها، ومساحاتها، وأقنعتها، كما فعل هو، ولو أنّ جُزءاً كبيراً من أدبه الحكائيّ على ألسنة الحيوانات قد غيّبه الضّياع؛ فلم تصل إلينا منه سوى إشارات بسيطة في كُتب من ترجمـــوا لـه، ففضلاً عن "القائف" إلاّ ثلاث حكايات منه، كان هُناك كُلّ من "سَجْع[١] الحمائم"، وفيه تكلّم أبو العلاء في العظة والزُّهد على ألسن حمائم أربع[٢]، و "خُطب الخيل"، حيث أجرى أبو العلاء على ألسنتها خُطباً في حمد اللّه وتعظيمه[٣]، وكانت هناك "رسالة

---

[١] سَجَعَ الحمامُ يَسْجَعُ: هدلَ على جهة واحدة. وتقول العرب: سَجَعَتِ الحمامة إذا دَعَتْ ومَدَّتْ وطَرَّبَتْ في صوتها. لسان العرب: مادّة (سجع).

[٢] كان بعض الرُّؤساء قد سأله أن يُصنّف له تصنيفاً يذكره فيه؛ فأنشأ له هذا الكتاب، وجعل ما يقوله على لسان الحمامة في العظة والحثّ على الزُّهد، وهو أربعة أجزاء، ومقداره ثلاثون كُرّاسة. انظر: ياقوت الحَمَويّ، مُعجم الأُدباء: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، حقّقه وضبط نُصوصه وأعدّ حواشيه وقدّم له عُمر فاروق الطّبّاع، المُجلّد الأوّل، ص٥٨٥؛ القِفْطيّ، إنباه الرُّواة على أنباه النُّحاة، تحقيق مُحمّد أبي الفضل إبراهيم، ج١، ص٩٦؛ ابن العديم، الإنصاف والتّحرّي في دفع الظُّلم والتّجرّي عن أبي العلاء المعرّيّ، كتاب تعريف القُدماء بأبي العلاء المعرّيّ، جمع وتحقيق مُصطفى السّقّا، وعبد السّلام مُحمّد هارون، وعبد الرّحيم محمود، وإبراهيم الإبياري، وحامد عبد المجيد، بإشراف طه حسين، ص٥٣١؛ الذّهبيّ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عُمر عبد السّلام تدمُري، حوادث وفيات ٤٤١- ٤٥٠هـ و ٤٥١- ٤٦٠هـ، ص٢١٥؛ صلاح الدّين الصّفديّ، الوافي بالوفيات، ج٤، ص٣٨٢.

[٣] ومقداره عَشْر كراريس. انظر: ياقوت الحَمَويّ، مُعجم الأُدباء: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، حقّقه وضبط نُصوصه وأعدّ حواشيه وقدّم له عُمر فاروق الطّبّاع، المُجلّد الأوّل، ص٥٩٠؛ القِفْطيّ، إنباه الرُّواة على أنباه النُّحاة، تحقيق مُحمّد أبي الفضل إبراهيم، ج١، ص٩٣؛ ابن العديم، الإنصاف والتّحرّي في دفع الظُّلم والتّجرّي عن أبي العلاء المعرّيّ، كتاب تعريف القُدماء بأبي العلاء المعرّيّ، جمع وتحقيق مُصطفى السّقّا، وعبد السّلام مُحمّد=

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أدب العُصفورين" أيضاً[١]، وإن كُنّا نجهل حتّى اليوم موضوعها، وغاية أبي العلاء من تصنيفها.

وإلى نحو ثلاثين سنة خلت، كانت "رسالة الصّاهل والشّاحج" واحدة من هؤلاء، على الرّغم من تأكيد بعض المُؤرّخين القُدماء أنّها أفلتت من يد الضّياع، فخرجت من معرّة النُّعمان[٢] في نُسخ مُوثّقة إلى مشرق العالم الإسلاميّ ومغربه، فذكر ابن العديم[٣]

=هارون، وعبد الرّحيم محمود، وإبراهيم الإبياري، وحامد عبد المجيد، بإشراف طه حسين، ص٥٣٠؛ الذّهبيّ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عُمر عبد السّلام تدمُري، حوادث وفيات ٤٤١- ٤٥٠هـ و ٤٥١- ٤٦٠هـ، ص٢١٣؛ صلاح الدّين الصّفديّ، الوافي بالوفيات، ج٤، ص٣٨٢.

[١] انظر: ياقوت الحَمَويّ، مُعجم الأُدباء: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، حقّقه وضبط نُصوصه وأعدّ حواشيه وقدّم له عُمر فاروق الطّبّاع، المُجلّد الأوّل، ص٥٩١؛ القِفطيّ، إنباه الرُّواة على أنباه النُّحاة، تحقيق مُحمّد أبي الفضل إبراهيم، ج١، ص٩٧؛ ابن العديم، الإنصاف والتّحرّي في دفع الظُّلم والتّجرّي عن أبي العلاء المعرّيّ، كتاب تعريف القُدماء بأبي العلاء المعرّيّ، جمع وتحقيق مُصطفى السّقّا، وعبد السّلام مُحمّد هارون، وعبد الرّحيم محمود، وإبراهيم الإبياري، وحامد عبد المجيد، بإشراف طه حسين، ص٥٣٤؛ الذّهبيّ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عُمر عبد السّلام تدمُري، حوادث وفيات ٤٤١- ٤٥٠هـ و ٤٥١- ٤٦٠هـ، ص٢١٨؛ صلاح الدّين الصّفديّ، الوافي بالوفيات، ج٤، ص٣٨٢.

[٢] مَعَرّة النُّعمان: مدينة كبيرة قديمة من أعمال حمص، بين حلب وحماة، في سورية، مرّ بها النُّعمان بن بشير الأنصاريّ الصّحابيّ، فمات له بها ولد، فدفنه، وأقام عليه؛ فسُمّيت به. انظر: ياقوت الحَمَويّ، مُعجم البُلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجُنديّ، ج٥، ص١٨٢.

[٣] عُمر بن أحمد، الصّاحب، العلاّمة، كمال الدّين، أبو القاسم الهوازنيّ العُقيليّ الحلبيّ، المعروف بابن العديم: كان مُحدّثاً، حافظاً، مُؤرّخاً، صادقاً، فقيهاً، مُفتياً، مُنشئاً، بليغاً، كاتباً، مُجوّداً. من تصانيفه: "تاريخ حلب"، أدركته المنيّة قبل إكمال تبييضه، وكتاب "دفع التّجرّي عن أبي العلاء المعرّيّ"، وكتاب "الإشعار لما للملوك من النّوادر والأشعار". انظر في أخباره: صلاح الدّين الصّفديّ، الوافي بالوفيات، ج١٤، ص ص٧٢٨- ٧٣١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١١٧٢- ١٢٤٨م) فيما سلم من مُؤلَّفات أبي العلاء حتّى زمن كُلّ منهما[١]، وأورد الكلاعيّ شيئاً منها في كتابه "إحكام صنعة الكلام"، في فصل المُورّى، حيث للكلام باطن يُخالف ظاهره[٢]، وذكر أنّه عارضها في رسالة -لم تصل إلينا- أسماها "السّاجِعة والغِريب[٣]"، فكان – كما يقول – كمن يُضاهي بالنَّغْبة[٤] عُباب[٥] البحر الهائج[٦].

وحتّى ذلك الحين، لم يكن بحوزتنا عن "رسالة الصّاهل والشّاحج"، إلاّ ما ذكره هؤلاء وآخرون، من أنّها أربعون كُرّاسة، أجراها أبو العلاء على لسان فرس وبغل، وصنّفها لعزيز الدّولة أبي شُجاع فاتك، مولى منجوتكين[٧] العزيزيّ (ت٣٨٧هـ) مولى العزيز باللّه[٨] (٣٤٤-٣٨٦هـ= ٩٥٥- ٩٩٦م) صاحب مصر - ووالي حلب للمصريّين (٤٠٧- ٤١٣هـ) أيّام الحاكم

---

[١] انظر: ياقوت الحَمَويّ، مُعجم الأُدباء: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، حقّقه وضبط نُصوصه وأعدّ حواشيه وقدّم له عُمر فاروق الطّبّاع، المُجلّد الأوّل، ص٥٩٣؛ القِفطِيّ، إنباه الرّواة على أنباه النُّحاة، تحقيق مُحمّد أبي الفضل إبراهيم، ج١، ص١٠٢.

[٢] انظر: الكلاعيّ، إحكام صنعة الكلام، تحقيق مُحمّد رضوان الدّاية، ص١٨٩.

[٣] لعلّه يقصد به الغُراب.

[٤] النَّغْبَة والنُّغْبَة: جُرعة الماء. لسان العرب: مادّة (نغب).

[٥] العُباب: كثرة الماء. وعُباب البحر: موجه. لسان العرب: مادّة (عبب).

[٦] انظر: الكلاعيّ، إحكام صنعة الكلام، تحقيق مُحمّد رضوان الدّاية، ص ص٢٦- ٢٧.

[٧] ورد اسمه في "زُبدة الحَلَب من تاريخ حلب": بنجوتكين، وفي "الكامل في التّاريخ": منجوتكين، وفي "الوافي بالوفيات": ينجوتكين. وفي هذا الأخير أنّه كان مولى العزيز صاحب مصر، وقد تولّى إمرة دمشق له، سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة، وتُوفّي سنة سبع وثمانين وثلاثمائة. انظر: ابن الأثير، الكامل في التّاريخ، تحقيق الشّيخ خليل مأمون شيحا، ج٧، ص٢١٥؛ ابن العديم، زُبدة الحَلَب من تاريخ حلب، وضع حواشيه خليل المنصور، ص١٠٥؛ صلاح الدّين الصّفديّ، الوافي بالوفيات، ج١٦، ص٣٠٢.

[٨] أبو المنصور نزار، المُلقّب العزيز باللّه، ابن المُعزّ بن المنصور بن القائم بن المهديّ العُبيديّ، صاحب مصر وبلاد المغرب: كان كريماً، شُجاعاً، حسن العفو عند المقدرة، وقد زادت مملكته على مملكة أبيه، وفُتحت له حمص، وحماة، وشَيْزَر، وحلب، وخُطب له في الموصل وأعمالها، وضُرب اسمه على السّكّة والبُنود، وخُطب له في اليمن. انظر في أخباره: ابن خَلّكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، حقّقه إحسان عبّاس، المُجلّد الخامس، ص ص٣٧١- ٣٧٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بأمر اللّه[١] (٣٧٥- ٤١١هـ= ٩٨٥- ١٠٢١م)، وبعض أيّام الظّاهر لإعزاز دين اللّه[٢] (٣٩٥- ٤٢٧هـ= ١٠٠٥- ١٠٣٦م)؛ بسبب أنّ حقّاً وجب على بعض أقربائه -أقرباء أبي العلاء- كان عليه سُؤال عزيز الدّولة فيه، وأنّه أنشأ له في تفسيرها، من ثمّ، كتاباً لطيفاً من ثماني عشرة كُرّاسة عُرف بـ "لسان الصّاهل والشّاجح"[٣]، لولا أن عثرت عائشة عبد الرّحمن على نُسختين مُوثّقتين لهذه الرّسالة، عاليتي الإسناد، في الخزانة الملكيّة في الرّباط،

---

[١] أبو عليّ المنصور، المُلقّب الحاكم بأمر اللّه بن العزيز بن المُعزّ بن المنصور بن القائم بن المهديّ، صاحب مصر: تولّى عهد أبيه في حياته، ثُمّ استقلّ بالأمر يوم وفاة والده، كانت سيرته من أعجب السّير، ورُويت عنه أخبار غريبة، قيل: إنّ أُخته دسّت عليه من يقتله. وكان الحاكم بأمر اللّه جواداً بالمال، سفّاكاً للدّماء، قتل عدداً كبيراً من أماثل دولته وغيرهم. انظر في أخباره: ابن الأثير، الكامل في التّاريخ، تحقيق الشّيخ خليل مأمون شيحا، ج٧، ص ص٣٦٢- ٣٦٤؛ ابن خلّكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، حقّقه إحسان عبّاس، المُجلّد الخامس، ص ص٢٩٢- ٢٩٨.

[٢] أبو هاشم عليّ، المُلقّب الظّاهر لإعزاز دين اللّه، ابن الحاكم بن العزيز بن المُعزّ بن المنصور بن القائم بن المهديّ عُبيد اللّه، صاحب مصر: كانت ولايته بعد مقتل أبيه، وكانت مملكته الدّيار المصريّة، وإفريقية، وبلاد الشّام. وكان جميل السّيرة، حسن السّياسة، مُنصفاً للرّعيّة، إلاّ أنّه كان مُنشغلاً بلذّاته، مُحبّاً للدّعة والرّاحة، قد فوّض الأُمور إلى وزيره أبي القاسم عليّ بن أحمد الجرجرائيّ؛ لمعرفته بكفايته وأمانته. انظر في أخباره: ابن الأثير، الكامل في التّاريخ، تحقيق الشّيخ خليل مأمون شيحا، ج٨، ص٢٦؛ ابن خلّكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، حقّقه إحسان عبّاس، المُجلّد الثّالث، ص ص٤٠٧- ٤٠٨.

[٣] انظر: ياقوت الحمويّ، مُعجم الأُدباء: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، حقّقه وضبط نُصوصه وأعدّ حواشيه وقدّم له عُمر فاروق الطّبّاع، المُجلّد الأوّل، ص٥٩١؛ القفطيّ، إنباه الرّواة على أنباه النُّحاة، تحقيق مُحمّد أبي الفضل إبراهيم، ج١، ص٩٧؛ ابن العديم، الإنصاف والتّحرّي في دفع الظُّلم والتّجرّي عن أبي العلاء المعرّيّ، كتاب تعريف القُدماء بأبي العلاء المعرّيّ، جمع وتحقيق مصطفى السّقّا، وعبد السّلام مُحمّد هارون، وعبد الرّحيم محمود، وإبراهيم الإبياري، وحامد عبد المجيد، بإشراف طه حسين، ص ص٥٣١- ٥٣٢؛ الذّهبيّ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عُمر عبد السّلام تدمُري، حوادث وفيات ٤٤١- ٤٥٠هـ و٤٥١- ٤٦٠هـ، ص٢١٦؛ صلاح الدّين الصّفديّ، الوافي بالوفيات، ج٤، ص٣٨٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فاضطلعت بتحقيقها، وصدّرته بشيء من دراسة[١]، مُسدية بذلك يداً بيضاء للكنز العلائيّ وللأدب العربيّ معاً، وحاسمة شيئاً ممّا وهم فيه الدّارسون واختلط عليهم بسبب غيابها[٢].

وبظُهورها، كان لا بُدّ أن يبدو وصف القُدماء مُقصّراً، ضئيلاً، مُجحِفاً، أمام ما حمّله أبو العلاء لرسالته من قضايا عصره ومُشكلاته وأحداثه، ومن ورائها مُباشرة مواقفه منها وانتقاداته وتحليلاته الخاصّة، مُستدعياً لتمثُّل ذلك كُلّه، والتفلُّت ممّا يُمكن أن يترتّب عليه من مُساءلة وأذىً، لا الأقنعة الحيوانيّة فحسب، وإنّما كثيراً من ثقافاته، ومعارفه، ومحفوظه، وعبقريّته اللُغويّة أيضاً. ولمّا كان أبو العلاء لا يقنع بتسخير الأشياء لهدف واحد؛ فقد أوغل في ذلك، وأبعد، واستطرد، وتوسّع، حتّى كادت رسالته تفيض بما مُلئت به من المعارف، والمحفوظ الشّعريّ والنّثريّ، والألغاز اللُغويّة، والنّكت العروضيّة، رغبة في تحدّي مُعاصريه من أهل العِلْم والأدب، وتأكيد تفوُّقه عليهم، وتدليلاً على قُدراته الفذّة ومواهبه المُتعدّدة.

متى ولماذا أملى أبو العلاء هذه الرّسالة؟

يروي لنا التّاريخ أنّه قبل أن يُمليَ أبو العلاء "رسالة الصّاهل والشّاحج" ببضع سنوات، وتحديداً في رمضان من سنة ٤٠٧هـ، غدا أبو شُجاع فاتك، الغُلام الأرمنيّ، ويُقال الرّوميّ - ولهذا الأمر دلالته في فهم الأحداث- مولى منجوتكين العزيزيّ، والياً على حلب[٣]

---

[١] انظر: أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاحج، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، مدخلا الرّسالة التّاريخيّ والموضوعيّ، ص ص٩- ٥٢.

[٢] انظر المصدر نفسه، المدخل التّاريخيّ، ص ص٩- ٢٧.

[٣] حَلَب: مدينة في شمال سورية، تُعرف بالشّهباء، واسعة، كثيرة الخيرات، طيّبة الهواء، يُضرب بقنعتها المثل في الحُسن والحصانة. انظر: ياقوت الحمويّ، مُعجم البُلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجُنديّ، ج٢، ص٣٢٤؛ ابن العديم، زُبدة الحَلَب من تاريخ حلب، وضع حواشيه خليل المنصور، ص٨؛ مجموعة من المؤلّفين، المنجد في اللُغة والأعلام، ص٢٤٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأعمالها للحاكم بأمر اللّه الفاطميّ، بعد أن سيّره هذا الأخير إليها في عدّة من الخيل بسُروج مُحلاّة بذهب مُصفّحة، وبعد أن قلّده سيفاً، ومنطقه بمنطقه، ولقّبه عزيز الدّولة وتاج الملّة أمير الأُمراء. وقد كان عزيز الدّولة هذا، كما يقول ابن العديم، أديباً، كريماً، عالي الهمّة، مُحبّاً للشّعر والأدب، وله صنّف أبو العلاء إلى هذه الرّسالة الّتي بين أيدينا، ولسانها الّذي لم يصل إلينا، كتاب "القائف"[١]، كما سبق أن أشرت[٢].

غير أنّه قبل أن تجيء سنة ٤١١هـ، كان عزيز الدّولة، قد شقّ عصا طاعة الفاطميّين، وضرب الدّينار والدّرهم باسمه في حلب، ودعا لنفسه على المنبر، فلمّا جاءت تلك السّنة كانت جُيوش الحاكم لأمر اللّه في أُهبة واستعداد لمُلاقاته وقتاله[٣]، وكان هو، إذ علم بذلك، قد أرسل إلى بسيل[٤] ملك الرّوم (...- ٤١٥هـ)، يدعوه إلى استلام حلب، فلمّا خرج ملك الرّوم إليه، جَفَل[٥] أهل حلب وأعمالها من قُدومه – وهم يجهلون سببه – وجلا الكثيرون منهم عن ديارهم، وقد عُرفت هذه الجَفْلة في التّاريخ، كما يروي لنا ابن العديم، بـ "جَفْلة عزيز الدّولة"؛ لأنّها بسببه، وكادت حلب تصير إلى الرّوم في ذلك الوقت، لولا أنْ قُتل الحاكم بأمر اللّه في ظُروف غامضة، إذ كان على أثر مقتله أن نقض عزيز الدّولة ما كان بينه وبين ملك الرّوم من اتّفاق[٦].

---

[١] انظر: ابن العديم، زُبدة الحَلَب من تاريخ حلب، وضع حواشيه خليل المنصور، ص ص١٢٢- ١٢٣.

[٢] انظر: هذه الرّسالة، ص١٠١.

[٣] انظر: ابن العديم، زُبدة الحَلَب من تاريخ حلب، وضع حواشيه خليل المنصور، ص١٢٤.

[٤] بسيل بن أرمانوس، ملك الرّوم: كان شُجاعاً، عادلاً، حسن الرّأي. حارب البلغار، ودام مُلكه خمساً وثلاثين سنة، وظفر بهم، وأجلى كثيراً منهم من بلادهم، وأسكنها الرّوم. انظر: ابن الأثير، الكامل في التّاريخ، تحقيق الشّيخ خليل مأمون شيحا، ج٧، ص١٥٧.

[٥] جَفَلَ يَجْفُلُ ويَجْفِلُ جُفولاً وأَجْفَلَ: انْزَعَجَ، وهَرَبَ مُسرعاً. لسان العرب: مادّة (جفل).

[٦] انظر: ابن العديم، زُبدة الحَلَب من تاريخ حلب، وضع حواشيه خليل المنصور، ص١٢٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم تكن الخِلَع[١] الّتي وصلت عزيز الدّولة من الظّاهر لإعزاز دين اللّه، والاطمئنان الّذي منحته مصر له، من ثَمَّ، إلاّ إيذاناً بقُرب أجله على يد الفاطميّين، الّذين عظُم أمره لديهم؛ بعد ما بدا لهم، فضلاً عن عصيانه، عُمق صلاته بالرّوم، واستعانته بهم ضدّهم. "ولمّا اطمأنّ عزيز الدّولة بموت الحاكم، ووصلته من الظّاهر الخِلَع من مصر، ودخل غُلام له يُدعى تيزون، وكان هنديّاً، وكان يميل إليه، ودخل في أوّل الليل عليه، وهو نائم في المركز، وفي يده سيف مُجرّد مستور في كُمّه، ليقتله، فوجد صبيّاً من رفقته يغمزه، فلمّا رآه الصّبيّ حرّك مولاه ليوقظه، فبادر الهنديّ، وضرب عزيز الدّولة، فقتله، وثنّى بالصّبيّ، وقُتل الهنديّ، وذلك كُلّه لأربع ليال خلت من شهر ربيع الآخر، سنة ثلاث عشرة وأربعمائة"[٢].

في زمن الاطمئنان الوهميّ ذاك، أملى أبو العلاء "رسالة الصّاهل والشّاحج"، استناداً إلى إشارة له فيها إلى أمير المُؤمنين، الظّاهر لإعزاز دين اللّه، الّذي ولي الخلافة الفاطميّة في شوّال من سنة ٤١١هـ[٣]، وذلك في سياق حديثه عن قُدرة المُسلمين على مُجاراة الرّوم في المزاعم والأكاذيب الّتي راحوا يُطلقونها، بل في قُدرتهم على التّفوّق عليهم، ساخراً، مُشكّكاً في مصداقيّة ما يُتناقل من أخبار، ومصداقيّة مواقف عزيز الدّولة نفسه، مُومئاً إلى أنّ علاقته بالفاطميّين موضع كذب ودعاية، تُضارع أكاذيب الرّوم ومزاعمهم. "وما الّذي كُنّا نقول لو استحسنّا ذلك؟ كُنّا نزعم أنّ السّيّد عزيز الدّولة – أعزّ اللّه نصره – قد راسل أمير المُؤمنين، الظّاهر لإعزاز دين اللّه، أن يأمر الحفدة والأعوان والعُلماء والمهندسة

---

[١] الخِلْعَةُ من الثّياب: ما خَلَعْتَهُ فطرحْتَهُ على آخر أو لم تطرَحْهُ. وكُلّ ثوب تخلعُهُ عنك خِلْعَة، وخَلَعَ عليه خِلْعَة. لسان العرب: مادّة (خلع).

[٢] ابن العديم، زُبدة الحَلَب من تاريخ حلب، وضع حواشيه خليل المنصور، ص١٢٤.

[٣] انظر: أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاحج، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، مدخل الرّسالة التّاريخيّ، ص ص٢٦- ٢٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومجاري المياه أن يصرفوا البحر عن مدينتهم قُسْطَنْطينيّة[١] إلى جهة أُخرى حتّى ينضب ما بينها وبين بلاد المُسلمين من ماء البحر، فيصير أرضاً مسلوكة تُسافر فيه النّاقة والبعير، ويُمكن الجُيوش المقهورة أن تسلكه لفتح مدينتهم الّتي بها دار المملكة، فما حجزهم عن ذلك بصدر الإسلام إلاّ البحر"[٢].

في ذلك الزّمن الّذي تلا ما كان من جبروت عزيز الدّولة، وعصيانه على أولياء نعمته الفاطميّين.. في ذلك الزّمن الّذي تلا تقدُّم الرّوم إلى حلب، وتراجعهم عنها، وجَفْلة كثير من أهلها، وخُروجهم منها، وعودتهم إليها، وهم في حيرة من أمرهم، لا يجدون تفسيراً لكُلّ ما يجري حولهم، يشعرون أنّ خطراً يترصّد بهم، تُقوّيه ريبتهم وشُكوكهم بتصرُّفات عزيز الدّولة، وعلاقته بملك الرّوم، وما يُمكن أن يترتّب على ذلك من أُمور ومُستجدّات في علاقته مع الفاطميّين، تنتابهم الشُّكوك والوساوس، وتعتريهم الفوضى والتّخبُّط.. في زمن التّعتيم السّياسيّ ذاك، والانشطارات المذهبيّة، والصّراع الدّامي على السُّلطة.. في زمن الولايات الإسلاميّة الّتي آلت إلى الغِلمان والموالي، والويلات الّتي رُزئت بها الأُمّة الإسلاميّة نتيجة مواقف هؤلاء، وانتماءاتهم المذهبيّة والعرقيّة، أملى أبو العلاء هذه الرّسالة، مُنطلقاً من قضيّة أبناء أخيه، ليصل إلى هُموم العامّة كُلّهم، ومظالمهم، وشكاواهم، ويُشرع نوافذ على تلك المرحلة الّتي عرفها التّاريخ بـ "جَفْلة عزيز الدّولة"، مُضيئاً ملامحها، مُفسّراً أحداثها، مُؤكّداً قُدرته على قراءتها وبُلوغ أعماقها، على الرّغم من قيده وعجزه، مُضيفاً إليها بُعدها الاجتماعيّ، والاقتصاديّ،

---

[١] قُسْطَنْطينيّة/ إستنبول، ويُقال: قُسْطَنْطينة، بإسقاط ياء النّسبة: كانت روميّة دار ملك الرّوم، عمّرها ملك من مُلوك الرّوم، يُقال له قُسْطَنْطين؛ فسُمّيت باسمه. وهي اليوم: مدينة في تُركيا على ضفّتي البوسفور. انظر: ياقوت الحَمَويّ، مُعجم البُلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجُنديّ، ج٤، ص ص٣٩٥- ٣٩٦؛ مجموعة من المؤلّفين، المُنجد في اللُّغة والأعلام، ص٤٠.

[٢] أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاحج، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص٥٥٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والثقافيّ، مُستعيراً لتمثُّلها، ومُواراة مقاصده ومواقفه منها من جهة، وإبهار مُعاصريه من أهل العِلْم والأدب من جهة ثانية، كثيراً من ثقافاته، ومعارفه الواسعة، واجتهاداته، وعبقريّته اللُغويّة.

في ذلك الزّمن، تجيء "رسالة الصّاهل والشّاجّ"، كما أراد لها أبو العلاء أن تكون، قناعاً أدبيّاً لمُشكلات عصره وأحداثه وقضاياه، لهُموم أهله ومظالمهم، لمواقفه وآرائه ممّا يجري حوله. تجيء واحدة من حيل المُفكّرين في مُواجهة السُلطة، وأُسلوباً في كشف مواقفها وحقيقتها، وطريقة في تعرية الواقع وتجريده من أقنعته، ومُراوغة واحتيالاً تُحاكي مُراوغة أفراده واحتيالهم. تجيء وثيقة أدبيّة وتاريخيّة هامّة، لمرحلة حرجة من تاريخ حلب بداية القرن الخامس للهجرة، لم يكتف فيها صاحبها بإدلاء ما يعرفه ممّا شهده، حتّى شفعه بتحليله وقراءته وتأويله. تجيء هذه الرّسالة مصدراً يُضيف كثيراً إلى ما أورده ابن العديم في تاريخ حلب، وينفرد عنه بكثير من أخبار عزيز الدّولة، وملك الرّوم، ورجال السّياسة، وأحوال المُجتمع في ذلك الوقت.

حكاية الحيوان في "رسالة الصّاهل والشّاجّ"

يفتتح أبو العلاء "رسالة الصّاهل والشّاجّ" بإلقاء التّحيّة على الحضرة العالية بحلب، مُقِرّاً بتقصيره تجاهها، مُلتمساً في عجزه، وذهاب بصره، وعدم إقامته في حلب، أعذاراً له في ذلك.

ثُمّ يخلُص من الاعتذار، إلى التّعظيم والإكبار، ومنها إلى ذكر طلبه الّذي لم يكن ليسأله، كما يقول، لولا إلحاح بني أخيه، وحاجتهم، ومنزلتهم لديه، وما لهم عليه من فضل المُراعاة والخدمة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهؤلاء لهم أرض في مدينة حَماة[١]، وجب عليها حقّ لخزانة الدّولة، لم يكن عليها من قبل، وهم يأملون أن يُعفيهم السّيّد عزيز الدّولة من دفعه، بما عُرف عن كرمه، وازدهار الأيّام في أوانه، فإن صدق أملهم؛ فالشُّكر للّه ولعزيز الدّولة من بعده، وإن خاب فالمسألة حقيقة بالخيبة.

وإذ تبدو المسألة مُنتهية عند هذا الحدّ، يشرع أبو العلاء في وصف تلك الأرض، فهي أرض مريضة، قليلة الغِراس والثّمر، شحيحة المياه، عسيرة السّقي، والشّاجِ (البغل) فيها معصوب العينين، مربوط إلى بئرها، ينتزع ماءها النّاكز[٢]، ويلقى من المشقّة وقسوة سائسه المُستأجر له، ما يجعله يتمنّى أن يُراح من عمله، ولو كان في حشد ذي القرنين[٣]، يحمل أوتاد الخيام وغيرها من أثقال اللئام من المشرق إلى المغرب.

وهنا تبدأ حكاية الحيوان بالتّشكُّل، ويُمهّد أبو العلاء لها، فيفترض أنّ الشّاجِ، كالنّملة لـمّا طلبت من النّمل اللُجوء إلى مساكنهم؛ خشية أن يدوسهم سُليمان وجُنوده وهم غافلون عنهم، أو كالهُدهد، لـمّا طلب حقيقة أمر بلقيس، وعاد لسُليمان به، يفترض أنّ الشّاجِ قد أوتي منطق الإنسان، فأفضى بما يختلج في نفسه من تظلُّم وشكوى.

---

[١] حَماة: مدينة كبيرة، عظيمة، قديمة، كثيرة الخيرات، في سورية الغربيّة على العاصي، في طرفها قنعة عجيبة في حصانتها، وإتقان عمارتها. انظر: ياقوت الحمويّ، مُعجم البُلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجُنديّ، ج٢، ص ص٣٤٤- ٣٤٥؛ مجموعة من المُؤلّفين، السُنجد في اللُغة والأعلام، ص٢٥٨.

[٢] النّاكز: الذّاهب في الأرض. لسان العرب: مادّة (نكز).

[٣] الإسكندر ذو القرنين اليونانيّ: من بلدة يُقال لها مقدونية، ملك بعد والده فيلقوس، واستولى على بلاد الرّوم أجمع، ودانت له عامّة الأرضين في المشرق والمغرب والشّمال، وكفّ شرّ يأجوج ومأجوج عن النّاس بأن بنى سدّاً. وكان مُلكه أربع عشرة سنة، وبنى اثنتي عشرة مدينة، منها: أصبهان، وهراة، ومَرو، وسمرقند. انظر في أخباره: ابن الأثير، الكامل في التّاريخ، تحقيق الشّيخ خليل مأمون شيحا، ج١، ص ص٢٣٦- ٢٤٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عندئذ تُولد حكاية الحيوان، فيما يتوارى أبو العلاء خلف أقنعتها الحيوانيّة، ويتحدّث بألسنتها، فيظهر الشّاجِ معصوب العينيْن، موثوق الخُطوة، وإلى جواره صاهل (حصان) أصيل، وقد ربطه سيّده إلى البئر، ريثما يستريح ويرتوي قبل أن يُكمل رحلة مُنطلقها من مصر.

ويبتدىء الحوار بين الصّاهل والشّاجِ بمشيئة اللّه، كما يقول أبو العلاء، وما إن يعلم الشّاجِ أنّ الصّاهل مُتوجّه إلى حلب، حتّى يأخذ في مدح عزيز الدّولة، مُتحدّثاً عن عدله، وكرمه، وتواضعه، وعلمه، وعنايته بالأدب، ومحبّة النّاس له. ويرجو بما له على الصّاهل من حقّ القرابة/ ابن الأُخت، أن يحمل مظلمته إلى عزيز الدّولة، شاكياً إليه ما يلقاه على يد الإنسان من بُؤس وشَظَف[1] مُتجدّديْن، مُقرّراً أنّه سينظم مظلمته شعراً، لما عُرف من عناية عزيز الدّولة بالعروض، ومعرفته بالشّعر.

ويأنف الصّاهل من هذه الخُؤولة، ويسخر من ادّعاء الشّاجِ وجود قرابة بينهما، ويُوسعه إهانة وتحقيراً، ويُنكر عليه تظلُّمه من بني الإنسان، وفي الحيوان ما يلقى عذاباً أشدّ من بني البشر، مُستعرضاً ما تلقاه الحيوانات – وهو أوّلها - على اختلاف أصنافها من ألوان العذاب والقتل والقنص على يد الإنسان، بما يُذكّرنا بما جاء في "رسالة تداعي الحيوانات على الإنسان" لإخوان الصّفاء. ويُنكر عليه ادّعاءه نظم الشّعر، فلو كان اللّه قد خصّ بهذه المزية أحداً بعد الإنسان، كما يقول، لكانت الخيل أحقّ بها، وتجيء من بعدها الإبل السّائمة والمُستعملة.

---

[1] الشَّظَف: شدّة العيش وضيقه. لسان العرب: مادّة (شظف).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويتوسّع مجال النّقاش بين الشّاجِ والصّاهل، ويتفرّع، ويتجدّد في اليوم التّالي، ويزيد الاختلاف فيه، فيقترح الصّاهل أن يُحكّما بينهما فاختة[١] قدمت لتشرب، فيرفض الشّاجِ ذلك استناداً إلى ما عُرف عن الفاختة من كذب في الموروث العربيّ، مُقترحاً أنْ يكون الحَكَمُ جملاً في إبل وردت الماء، ويقود ذلك إلى اختلاف جديد بين الصّاهل والشّاجِ، ينتصر فيه الأوّل للفاختة، والثّاني للجمل. وما إن تسمع الفاختة طعن الشّاجِ في رأيها وصدقها، حتّى تسعى إلى الإيقاع بينه وبين الجمل، بالتّواطؤ مع الصّاهل، فتجعل كلام الشّاجِ عنها كلاماً له عن الجمل، وتجعل القول الّذي نطق به الصّاهل، بنعت الجمل بالجهل، محكيّاً عن الشّاجِ، وهي تُومِئ إلى الصّاهل بعينها، مُستغلّة الغشاوة الّتي على عيني الشّاجِ، وما إن يسمع الجمل ما تُبديه الفاختة من كذب، حتّى يستشيط غضباً، وينقضّ على الشّاجِ يكاد يُهلكه.

وسرعان ما يكشف الشّاجِ حيلة الفاختة وكذبها، مُوسعاً الجمل لوماً وتقريعاً؛ على حُمقه، وقلّة تبصُّره، وسُهولة خداعه، فيُقبل الجمل عليه مُعتذِراً، فيسأله الشّاجِ تكفيراً عن ذنبه، ما سأل به الصّاهل من قبل، وقد عدل عن المظلمة الشّعريّة، وقرّر أن يُحمِّل الجمل بدلاً منها، مقالة فيها أخبار لطيفة، مُستطرفة، لها في السَّمْع ظاهر، ولها في المعنى باطن، ينحو فيها ما نحاه ابن دُريد[٢] (٢٢٣- ٣٢١هـ= ٨٣٨- ٩٣٣م) في كتاب

---

[١] الفاختة: واحدة الفواخت، وهي ضرب من الحمام المُطوّق. لسان العرب: مادّة (فخت).

[٢] مُحمّد بن الحسن بن دُريد بن عتاهية الأزديّ، أبو بكر اللُّغويّ البصريّ: إمام عصره في اللُّغة، والآداب، والشّعر الفائق. من تصانيفه المشهورة: كتاب "الجَمْهَرة"، وهو من الكُتب المُعتبرة في اللُّغة، وكتاب "الاشتقاق"، وكتاب "المُقتبس"، وكتاب "الملاحن". انظر في أخباره: ابن خَلّكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، حقّقه إحسان عبّاس، المجلّد الرّابع، ص ص٣٢٣- ٣٢٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"الملاحن"[١]، وابن فارس الرّازي[٢] (٣٢٩- ٣٩٥هـ= ٩٤١- ١٠٠٤م) في "فُتيا فقيه العرب"[٣].

غير أنّ الجمل يعجز عن فَهْم مقالة الشّاجر، على الرّغم من تنبيه الأخير له أنّ فيها إلغازاً وتورية، فيظُنّ أنّ به مسّاً من جُنون أو خبل دفعه إلى قول ما قاله، فيستحمقه الشّاجر، شارحاً ما جاء في مقالته من تورية وإلغاز، ثُمّ يدعو عليه مُستخدماً حيله اللُغويّة الّتي سرعان ما ينقضها ويشرحها.

---

(١) يقول ابن دُريد في مُقدّمة كتابه "الملاحن": "هذا كتاب ألّفناه؛ ليفزع إليه المُجْبَر المُضْطَهد على اليمين، المُكره عليها، فيعارض بما رسمناه، ويُضمِر خلاف ما يُظهر، ليسلَم من عادية الظّالم، ويتخلّص من جنف الغاشم... وسمّيناه كتاب "الملاحن"؛ وذلك أنّ أصل اللحن عند العرب، أن تريد الشّيء؛ فتُورّي عنه". وقد ذكر القديم كتاب "الملاحن" في "الفهرست"، وتحدّث عنه كُلّ من الكلاعيّ في كتاب "إحكام صنعة الكلام" في باب المُورّى، والجلال السّيوطي (٨٤٩- ٩١١هـ= ١٤٤٥- ١٥٠٥م) في "المُزهر". ابن دُريد، كتاب الملاحن، تحقيق عبد الإله نبهان، ط١، منشورات وزارة الثّقافة في الجُمهوريّة العربيّة السّوريّة، دمشق- سورية، ١٩٩٢م، ص ص٦٣- ٦٥. وانظر: القديم، الفهرست، اعتنى بطبعته وعلّق عليها إبراهيم رمضان، ص٨٦؛ الكلاعيّ، إحكام صنعة الكلام، تحقيق مُحمّد رضوان الدّاية، ص٢٨٩؛ الجلال السُيوطي، المُزهر في عُلوم اللُغة وأنواعها، شرحه وضبطه وصحّحه وعنون موضوعاته وعلّق حواشيه مُحمّد أحمد جاد المولى، وعلي مُحمّد البجّاوي، ومُحمّد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار إحياء الكُتب العربيّة، عيسى البابي الحلبيّ وشُركاه، القاهرة- مصر، [-١٩٥م]، ج١، ص ص٥٦٧- ٥٧٧.

(٢) أحمد بن فارس بن زكريّاء بن مُحمّد بن حبيب، أبو الحُسين اللُغويّ القزوينيّ، سكن الرّيّ، فنُسِبَ إليها، جمع إتقان العُلماء الظُرفاء، والكُتّاب الشُعراء، وكان كريماً، جواداً. من تصانيفه: كتاب "المُجمل"، وكتاب "مُتخيّر الألفاظ"، وكتاب "فقه اللُغة"، وكتاب "مقاييس اللُغة"، وكتاب "غريب إعراب القُرآن". انظر في أخباره: صلاح الدّين الصّفديّ، الوافي بالوفيات، ج٥، ص ص١١٣- ١١٥.

(٣) تحدّث عنه الجلال السُيوطي في "المُزهر"، فقال "كتاب فُتيا فقيه العرب": ضرب من الإلغاز، وقد ألّف فيه ابن فارس تأليفاً لطيفاً في كُرّاسة، سمّاه بهذا الاسم، رأيته قديماً، وليس هو الآن عندي، فنذكر ما وقع من ذلك في مقامات الحريريّ، ثُمّ إن ظَفِرتُ بكتاب ابن فارس ألحقتُ ما فيه". وذكره الكلاعيّ في كتابه "إحكام صنعة الكلام" في باب المُورّى. الجلال السُيوطي، المُزهر في عُلوم اللُغة وأنواعها، شرحه وضبطه وصحّحه وعنون موضوعاته وعلّق حواشيه مُحمّد أحمد جاد المولى، وعلي مُحمّد البجّاوي، ومُحمّد أبو الفضل إبراهيم، ج١، ص٦٢٢. وانظر: الكلاعيّ، إحكام صنعة الكلام، تحقيق مُحمّد رضوان الدّاية، ص١٨٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وترد الضّبع الماء لتشرب، وتسأل الشّاجح ما إذا كانت هي المقصودة في الأشعار الّتي جاءت في كُنيتِها (أمّ عُوَيمِر، وأمّ عَمْرو)، فيُؤكّد الشّاحج لها ذلك ساخِراً، ولكنّها – لحُمقها – لا تُدرك أنّه يسخر منها، فتتعاطف معه، وتعرض عليه إيصال ما يريد قوله إلى عزيز الدّولة، بالاستعانة بأصدقاء لها، فيشكرها الشّاجح مُعتذِراً، ساخِراً.

ويرد الثّعلب الماء، حاملاً معه بُشرى للشّاجح في تضمين المزرعة الّتي يعمل فيها، فتدور بينه وبين هذا الأخير حوارات لا يقطعها إلاّ مُضيّ الثّعلب بتتبُّع أخبار البلاد، وتزويد الشّاجح بها بناء على طلبه، انطلاقاً ممّا يروج من شائعات حول نُهود الرّوم إلى حلب، وما ينجم عنه في صُفوف النّاس من خوف وجَفْلة واضطراب تُجلي الكثيرين منهم عن ديارهم، انتهاء بسُكون الأجواء وعودة الجالين، مع الإشارة إلى أنّ خطر الرّوم بعدُ قائم. مُروراً بتصوّر أحوال الجالين في غدوتهم وأوبتهم، وما سيطرأ على تصرُّفاتهم وعلاقاتهم وشراكاتهم وديارهم ومحالّهم، في جفلتهم وحرصهم على حياتهم، والتقاط ما يُتناقل في مثل هذه الظُّروف بين النّاس من أخبار وإشاعات وآراء، وتتبُّع ما يجري في بلاط عزيز الدّولة، وإماطة اللثام عن علاقته بملك الرّوم، وتحرّي أخبار هذا الأخير، وما يُتناقل عنه. وهما إلى ذلك يتبادلان النُّصح والمشورة، آخذين بالدُّعاء على العدوّ باستخدام مُصطلحات النّحو، ومُصطلحات العروض، وبحوره، وما يطرأ على تفاعيله من علل وزحافات، مُتوقّعيْن هزيمته بحمل أسماء بُلدان الشّام، ومناطقها، وثمارها، ورياحينها، وأسماء أصحاب ملك الرّوم، على الفأل[١] والطّيَرة[٢].

---

[١] الفأل: ضدّ الطّيَرة، والجمع فُؤول وأفْؤُل. والفَأل: أن يكون الرّجل مريضاً، فيسمع آخر يقول: يا سالم. أو يكون طالبَ ضالّة، فيسمع آخر يقول: يا واجدُ. فيقول: تفاءلْتُ بكذا، ويتوجّه له في ظنّه، كما سمع، أنّه يبرأ من مرضه، أو يجد ضالّته. والفأل الصّالح: الكلمة الحسنة. لسان العرب: مادّة (فأل).

[٢] الطّيَرة: مُضادّة للفأل، وكان مذهب العرب في الفأل والطّيَرة واحداً، فأثبت النّبيّ، صلّى اللّه عليه وسلّم، الفأل، واستحسنه، وأبطل الطّيَرة، ونهى عنها. والطّيَرةُ من اطّيّرتُ وتطيّرتُ منه، أي تشاءمتُ به. لسان العرب: مادّة (طير).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حتّى إذا ما انتهى الشّاجح من معرفة أخبار البلاد، والجالين، والبلاط، والمُجتمع، ووعاها، وتمثّلها، وقدّم قراءته لها، مُستعيناً بالعروض، واللُغة، والنّحو، وبثقافته الواسعة، خلع أبو العلاء أقنعته الحيوانيّة، مُزجياً تحيّة الختام لعزيز الدّولة.

رمزيّة الرّسالة ورسائلها الفكريّة والنّقديّة

-١-

لولا أنّ أبا العلاء قد أرسل "رسالة الصّاهل والشّاحج" لعزيز الدّولة في ذلك الوقت، ممّا ينفي أن تكون مسألة أبناء أخيه غير موجودة فعلاً، لقلنا: إنّه ابتدع هذه المسألة من لدنه، كيما يُواجه عزيز الدّولة بمُشكلات عصره وأحداثه المأزومة وقضايا أفراده، بداية القرن الخامس للهجرة، ويُدلي بشهادته وقراءته وتحليلاته ومواقفه الخاصّة بشأنها، ويُعبّر، مُحتالاً، عن سخطه، وانتقاداته، وسُخريته من كُلّ ما يجري حوله.

أمّا وقد كان لتلك المسألة وجود فعلاً، فلعلّ أبا العلاء قد نهض بها من تلقاء نفسه، لمّا رأى فيها وسيلة مُناسبة لسرد حكاية واقع حلب، بداية القرن الخامس للهجرة، على السُلطة المُتسبِّبة فيه، وقراءته لها، وكشف خوافيه أمامها، ممّا تظُنّ أنّه يخفى على العامّة، وإيصال مظالم هؤلاء وقضاياهم إليها، ومن ورائها مُباشرة رُؤى أبي العلاء، ونقده، ومواقفه، وآراؤه.

فإن لم يكن أبو العلاء قد نهض بها من تلقاء نفسه، ولم يُحمّل أصحابها موقفه، ويُجر على ألسنتهم كلامه، فإنّ ذلك لا يمنع من أنّه استثمر هذه المسألة لتُصبح الرّحم الّذي خرجت منه حكاية الحيوان، وأنّه طوّعها لتختزل مذهبه وأُسلوبه فيها، ذلكما اللذين انطوت عليهما عبارة جاءت في نهاية حديثه عمّا يتوقّعه لمسألة أبناء أخيه من النُّجح أو الخَيْبة. يقول: "فإن

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جاءت بالنُّجح، فللّه الحمد، ثُمّ للسّيّد عزيز الدّولة وتاج الملّة أمير الأُمراء... وإن خابت، فهي حقيقة بالخيبة... لأنّ المسألة في التّافه[١]، دلّت على العقل التّافه[٢]، وإنّما جعلت هذا المقدار تافهاً لشرف المسؤول، فأمّا أنا؛ فمذهبي أنّ الدّرهم يقع عليه اسم المال الكثير، ولو كان في الوَجْذ[٣] فَراشة[٤]، وفي المحلّ الممحول[٥] غَذيمة[٦]، لكُفيت الغافلة من رماها، والجازئة[٧] من استهاها[٨]"[٩].

إنّ مذهب أبي العلاء هذا، يعني أنّه لا يرى مسألة أبناء أخيه تافهة إلاّ لشرف المسؤول عنها فحسب، مُبالغة في إطرائه، فلو كُفي أصحابها دونها، لأُغنوا عن الخوض فيها، إنّ أبا العلاء، كما يُفهم من كلامه، يرى أنّ هذه المسألة تستحقّ أن ينهض من أجلها، وهو من غير جناح، وأن يركب الصّعبة[١٠] بلا أحلاس[١١]، كما يقول[١٢]، من غير أن يملك أن يتنصّل منها، أو يُسقطها عن

---

[١] التّافه: الحقير واليسير. لسان العرب: مادّة (تفه).

[٢] التّافه: الكالّ الضّعيف. لسان العرب: مادّة (نفه).

[٣] الوَجْذ: النّقرة في الجبل تُمسك الماء ويستنقع فيها. وقيل: هي البِرْكة، والجمع وِجذان ووِجاذ. لسان العرب: مادّة (وجذ).

[٤] الفَراشة: منقع الماء في الصّفاة، والبقيّة تبقى في الحوض من الماء القليل الّذي ترى أرض الحوض من ورائه؛ من صفائه. لسان العرب: مادّة (فرش).

[٥] الممحول: المُجْدِب. لسان العرب: مادّة (محل).

[٦] الغَذيمة: الأرض تُنبت الغَذَم. والغَذَم: الاكل، وكُلّ كلأ، وكُلّ شيء يركب بعضه بعضاً. لسان العرب: مادّة (غذم).

[٧] ظبية جازئة: تكتفي بالرُّطب عن الماء. والرُّطب والرُّطْب: كُلّ عود رَطْب. وقيل: الرّعي الأخضر من بُقول الرّبيع. لسان العرب: مادّة كُلّ من (جزأ) و (رطب).

[٨] استهاها: تصيّدها. واستمى الوحش: طلبها. لسان العرب: مادّة (سما).

[٩] أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاحج، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص ص٨٨- ٨٩.

[١٠] الصّعب من الدّوابّ: نقيض الذّلول. لسان العرب: مادّة (صعب).

[١١] الحِلْس والحَلَس: كُلّ شيء وَلِي ظَهر البعير والدّابّة تحت الرّحل والقَتَب والسّرْج، وهي بمنزلة المِرشحة تكون تحت النّمد. وقيل: هو كساء رقيق يكون تحت البرذعة، والجمع أحلاس، وحُلوس. لسان العرب: مادّة (حلس).

[١٢] انظر: أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاحج، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص٨٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كاهله، ولكن ليس قبل أن نعي تماماً أن قضيّة الدّرهم والمال الكثير الّذي يقع تحت لفظه، تعني أنّ أبا العلاء قد اعتمد على الرّمز والإسقاط في كلامه، فكما أنّه يرى أنّ الدّرهم رمز للمال الكثير، رغم أنّه جُزء منه، فهو يرى أرض أبناء أخيه رمزاً لأمر أكثر خُطورة وأهمّيّة وإلحاحاً مع اتّصالها به، يراها أُنموذجاً مُصغّراً لواقع أكبر منها بكثير، ما هو إلاّ واقع حلب وأحوال أهلها، كون تلك الضّرائب الّتي كانت تُفرض على النّاس دون رحمة، وتمتدّ لتطال ما نجا منها من قبل، واحدة من قضايا العامّة ومظالمهم في عصر أبي العلاء. إنّ ذلك الواقع يستحقّ أن يُغامر أبو العلاء من أجله، ويُخاطر، ويستعير له أجنحة من ثقافاته ومعارفه ومحفوظه وعبقريّته اللُغويّة، تُعوّضه عن ذهاب بصره وقيد حركته، من غير أن يستبعد إمكانيّة أن تذهب مساعيه سُدىً، ويخيب أمله.

ويأتي استرسال أبي العلاء - من حيث بدت مسألة أبناء أخيه مُنتهية- في وصف أرض هؤلاء، وشقاء الشّاجح فيها، وما يلقاه من عذاب ونصب مُتجدّدين على يد سائسه المُستأجر له، مزيد إيضاح عن القضيّة الّتي ستنهض بها حكاية الحيوان بعدئذ، وإيذاناً بالشّروع بها، وتعييناً لزمانها ومكانها مُنذ البدء.

يقول أبو العلاء: "ولهؤلاء القــوم أُرَيْضة[١] ليست بالأَريضة[٢]، هي من قلّة العمـل كالمريضـــة، غراسُهـا ليس بعميم[٣]، وثمرهـا بـــين التّمـــر؛ كبني يربـــوع[٤] في

---

[١] أُرَيْضة: تصغير أرض.

[٢] أرض أريضة: بيّنة الأراضة؛ أيْ ليّنة، طيّبة، كريمة، جيّدة النّبات. لسان العرب: مادّة (أرض).

[٣] العميم: الطّويل من النّبات والرّجال. وكُلّ ما اجتمع وكَثُر: عميم. لسان العرب: مادّة (عمم).

[٤] يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة، من تميم، من عدنان، بنوه عدّة بُطون. وقد حارب بنو يربوع الإسلام عند ظُهوره، ثُمّ أسلموا، وكانوا في طليعة أهل الرّدّة. وقد اتّخذ منهم الخوارج أنصاراً لهم. انظر: الشّويليّ، سبائك الذّهب في معرفة قبائل العرب، ص١٠٤؛ مجموعة من المؤلّفين، المنجد في اللّغة والأعلام، ص٧٤٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بني تميم[١]، إلاّ أنّ أولئك حُمدوا في الغارة[٢]، وذُمّ ذاك حين يغير، وحين يُختبز لا يطيب منه الخُبز. وما سُقي منها بالأَبَق[٣] والأديم[٤]، فهو العناء المُنصِب[٥]، في الحادث[٦] وفي القديم، يشتكيه المالك ومن يعمل فيه، ويجعل حليماً[٧] مثل سفيه[٨]. كأنّ ماءه المُنتزع، كافر[٩] مُحتقر، غُفِر له بعد ما مسّته سَقَر[١٠]، فقد عولي به[١١] من أسفل سافلين إلى أعلى

---

[١] تميم بن مُرّ بن أدّ بن إلياس بن مُضر: جدّ جاهليّ، بنوه بُطون كثيرة، كانت منازلهم بأرض نجد، دائرة من هُناك على البصرة واليمامة، وامتدّت إلى العذيب من أرض الكوفة، ثُمّ تفرّقوا بعد ذلك في الحواضر، وورث مساكنهم غُزية من طيّىء، ونقّاجة من بني عقيل بن كعب. وتميم إحدى القبائل الثّلاث العظام من عدنان، وقد أنجبت أعظم شُعراء الجاهليّة، ولُغتها العربيّة حُجّة بين لُغات القبائل، وقد ارتدّت عن الإسلام بعد موت النّبيّ، فأعادها إليه خالد بن الوليد، فاشتركت في فتح الكوفة، والبصرة، وخُراسان. انظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، تحقيق وتعليق عبد السّلام مُحمّد هارون، ط١، دار المعارف، القاهرة- مصر، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م، ص٤٨٨؛ السُّويديّ، سبائك الذّهب في معرفة قبائل العرب، ص٧٠، ٧٧، ٨٦، ص ص١٠٩- ١١٠، ١١٤- ١١٥؛ مجموعة من المُؤلّفين، المُنجد في اللُّغة والأعلام، ص١٩٣.

[٢] أغارَ على القومِ إغارةً وغارَةً: دفع عليهم الخيل. لسان العرب: مادّة (غور).

[٣] الأَبَق: القِنّب، وقيل: قِشره، وقيل: الحبل منه. لسان العرب: مادّة (أبق).

[٤] الأديم: الجلد ما كان، وقيل: الأحمر، وقيل: هو المدبوغ بعد الأفيق، وذلك إذا تمّ واحمرّ. لسان العرب: مادّة (أدم).

[٥] ناصِب ومُنصِب: ذو نَصَب، وهو فاعل بمعنى مفعول؛ لأنّه يُنصَبُ فيه ويُتعَب. لسان العرب: مادّة (نصب).

[٦] الحادث: بمعنى الحديث.

[٧] الحليم: الصّبور. لسان العرب: مادّة (حلم).

[٨] السّفيه: الجاهل والضّعيف والأحمق. لسان العرب: مادّة (سفه).

[٩] كافر: مُختبىء، مُستتر. لسان العرب: مادّة (كفر).

[١٠] سقر: اسم معرفة للنّار، وقيل: سُمّيت نار جهنّم (سقر)؛ لأنّها تُذيب الأجسام والأرواح، مِنْ سَقَرته الشّمس: أي أذابته. لسان العرب: مادّة (سقر).

[١١] عَلا به وأعلاهُ وعَلاّهُ وعالاهُ وعالى به: رَفَعَهُ. لسان العرب: مادّة (علا).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عِلّيّين[١]. ورُبمّا غار[٢] ونكز[٣]، فلم يُفَلّ[٤] المِلْطَسُ[٥] في إخراجه، حتّى يرجع إلى قَرَواه[٦]. تودّ بهيمة أصعدته، لو كانت في سَواد[٧]؛ ذي القرنيْن، تحمل أوتاد خيام، أو غيرها من أثقال اللئام، وتسافر من المشرق إلى المغرب، وتُراح من هذا البُؤس الدَّرِب[٨]؛ إذ كان سفرها لا ينفد، وعذابها يُجَدّد. ولا يقنع لها القدر بالأيْن[٩]، حتّى يأمر بتخمير العَيْن[١٠]، فالخُطْوة من العبء قصيرة، والعين عمياء بصيرة. وهي في أوقات النَّجْر[١١] يُكَفّ بصرها عند الفجر، فتنظر إلى القَمَر دون الشَّمس، ويومها في الشّقوة نظير الأمس. وربما تكون ليست بالزَّعِلة[١٢]، فيُستأجر لها غلام عارم[١٣]، لا كريم ولا مُكارم[١٤]، فيسوقها بالعَجْراء[١٥]

---

[١] العلّيون: اسم لأعلى الجنّة. لسان العرب: مادّة (علا).

[٢] غارَ غَوْراً أو غُؤوراً وغَوَّرَ: ذهبَ في الأرض. لسان العرب: مادّة (غور).

[٣] نكز: ذهب في الأرض، وسفل فيها. لسان العرب: مادّة (نكز).

[٤] الفَلُّ: الثَّلْمُ في السّيف، والثَّلْمُ في أيّ شيء كان، فَلَّهُ يَفُلُّهُ فَلاً وفَلَّلَهُ فتفلَّلَ وانفَلَّ وافتَلَّ، والفَلُّ: الكَسر والضَّرْب. وسيفٌ فليلٌ: مَفْلولٌ، وسيفٌ أَفَلُّ: مُنْفَلٌّ. لسان العرب: مادّة (فلل).

[٥] المِلْطس: البِعْول الغليظ يُكسر به الصّخر. لسان العرب: مادّة (لطس).

[٦] قَرَواه: أصل موضعه في أسفل البئر. لسان العرب: مادّة (قرا).

[٧] سَواد: جماعة. لسان العرب: مادّة (سود).

[٨] الدَّرِب: المُستمرّ والمُعتاد. لسان العرب: مادّة (درب).

[٩] الأيْن: الإعياء والتّعب والكَلال. لسان العرب: مادّة (أين).

[١٠] تخمير العين: تغطيتها. لسان العرب: مادّة (خمر).

[١١] النَّجْر: الحرّ الشّديد. لسان العرب: مادّة (نجر).

[١٢] الزَّعِلة: النّشيطة. لسان العرب: مادّة (زعل).

[١٣] العارم: الشّديد، الشّرس. لسان العرب: مادّة (عرم).

[١٤] المُكارمة: أن تُهدي الإنسان شيئاً؛ ليُكافئك عليه، وهي مُفاعلة من الكرم. لسان العرب: مادّة (كرم).

[١٥] العَجْراء: العصا الّتي فيها أُتَن، أي عُقَد. لسان العرب: مادّة (عجر).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سياقة عنيف، ويُمزّق جلدها تمزيق الخَنيف[١]، فهي تروي التّاضر[٢]، ولا تلقاه، وتسمع قسيب[٣] الأزرق[٤]، ولا تُسقاه"[٥].

فلو رأينا تلك الأرض المريضة، شحيحة الموارد، عسيرة السّقي، موضوع التّفصيل والإفاضة، من منظور أبي العلاء؛ منظور الدّرهم والمال الكثير الّذي يقع تحت لفظه، لبدت لنا فعلاً أنّها حلب وأعمالها، ولظهر لنا حديثه عن سقمها، وشُحّ مواردها، وعُسر بَثْيِها، وشقاء الشّاجر فيها، وعُنف سياقته، دلالة على تردّي أحوالها السّياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة. أمّا الشّاجر هذا الّذي ألقاه صاحبنا فيها، ثابتاً في محلّه، معصوب العينيْن، عاجزاً مقهوراً، مُستغَلاً أبشع استغلال، مُنطوياً على تظلُّمه، راغباً في إيصاله إلى السُّلطة، مسكوناً برغبته في معرفة ما يجري حوله من أحداث، قادراً على قراءتها بعُمق فكره ودقّة فهمه، وتصوُّرها بسَعَة خياله ومعرفته، فما هو إلاّ أبو العلاء نفسه في نطاق ضيّق، وهو الشّعب العاجز المقهور القلق في نطاق أوسع، وإذا أردنا التّوفيق بينهما، قلنا: إنّه أبو العلاء، وقد انتدب نفسه مُمثّلاً للشّعب، مُتحدّثاً بلسانه، مُستعيراً صوته، مسؤولاً عن رفع هُمومه ومظالمه وقضاياه، تلك الّتي لا يملك أبو العلاء أن يُنسقِطها عن كاهله، أو يتنصّل منها، مع ما يراد من تردّي الأحوال في حلب، ومُكابدة النّاس ومُقاساتهم فيها، واضطرابهم في ذلك الوقت، وحيرتهم، وشُكوكهم، واستغلال السُّلطة لهم، وما تحوكه حولهم من مُؤامرات ودسائس، ومع ما يخشُّه

---

[١] الخَنيف: أردأ الكِتّان، وثوب كِتّان أبيض غليظ منه. لسان العرب: مادّة (خنف).

[٢] التّاضر: الشّجر الشّديد الخُضرة. لسان العرب: مادّة (نضر).

[٣] القسيب: صوت الماء. لسان العرب: مادّة (قسب).

[٤] ماء أزرق: شديد الصّفاء. لسان العرب: مادّة (زرق).

[٥] أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاحج، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص ص٨٩- ٩٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عليه انتماؤه لهم ولأرضهم، وما يفرضه عليه واجبه ومسؤوليّته تجاههما؛ كونه صاحب فكر وقلم ورسالة.

أمّا الغُلام العارِم المُستأجر، لا الكريم ولا المُكارم، على حدّ قول أبي العلاء، ذاك الّذي يسوق الشّاجِ بالعصا والقسوة والجهل سياقة عنيفة، تُدمي جلده وتُمزّقه، فما هو إلاّ عزيز الدّولة نفسه، غلام منجوتكين العزيزيّ، ووالي حلب للفاطميّين، أيّام الحاكم وبعض أيّام الظّاهر.

إنّ حال أبي العلاء، وتظلُّمه، ونقده، ومواقفه، تتعانق مُلتحمة بأحوال العامّة ومظالمهم، فأبو العلاء يستلّ من همّه الخاصّ وقضيّة أبناء أخيه الشّخصيّة هُموم العامّة وقضاياهم، كما يتّحد معهم بالرّمز، مُنتهزاً مسألة أبناء أخيه، مُطوّعاً لها، ولربّما مُتطوّعاً للنّهوض بها من تلقاء نفسه؛ كيما يضطلع بمسؤوليّته في نقل هُموم الشّعب وقضاياه ومظالمه إلى السُّلطة/ عزيز الدّولة، مُحتمياً بحكاية حيوان طويلة، مُتوارياً خلف أقنعتها، والأقنعة (التّورية والألغاز) الّتي ارتدتها أقنعتها أيضاً.

-٢-

تولد حكاية الحيوان في اللحظة الّتي يمتلك فيها الشّاجِ/ الشّعب، صوته/ قُدرته على التّعبير، إذ يشعر أنّه ليس دون السُّلطة/ الإنسان أهمّيّة ومكانة وقيمة، حاملاً أمره على قوله تعالى: ﴿وما مِنْ دابّةٍ في الأرضِ ولا طائرٍ يطيرُ بجناحيْهِ إلاّ أُمَمٌ أمثالُكُمْ﴾[١]، وإذ يُحسّ

---

[١] من الآية الثّامنة والثّلاثين من سورة الأنعام، والآية: ﴿وما مِنْ دابّةٍ في الأرضِ ولا طائرٍ يطيرُ بجناحيْهِ إلاّ أُمَمٌ أمثالُكُمْ ما فَرّطْنا في الكتابِ من شيءٍ ثُمّ إلى رَبِّهِمْ يُحشرونَ﴾. أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاحج، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص٩١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بمسؤوليته في مُواجهة السُّلطة، وإيقافها عند حدّها؛ لئلاّ تدوس ورجالها بغفلتهما وجبروتهما الشّعب؛ لضآلته وتفاهة قيمته لديهما، واجداً له مثلاً في قول النّملة لقومها، ومن قبلهم لسُليمان وجُنوده/ إحدى حكايات الحيوان في القُرآن الكريم: ﴿يا أيُّها النّملُ ادخلوا مساكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُليمانُ وجُنودُهُ وهُمْ لا يشعرونَ﴾[١].

تولد حكاية الحيوان في لحظة الإدلاء بالمعرفة، وليدة الكشف، تلك الّتي تُستفاد من الآية الكريمة على لسان الهُدهد/ إحدى حكايات الحيوان في القُرآن الكريم أيضاً: ﴿إنّي وجدتُ امرأةً تملكهُمْ وأوتيتْ منْ كُلّ شيءٍ ولها عرشٌ عظيمٌ﴾[٢].

وتُقابل هذه اللحظة، لحظة اعتزام أبي العلاء على التّحدُّث بقضايا الشّعب وهُمومه وأحواله وتظلُّمه، وعرض رُؤاه ومواقفه وانتقاداته.

وكما جاءت مسألة أبناء أخي أبي العلاء وسيلة لبثّ هذه الهُموم والانتقادات والرُّؤى والمواقف، ورفعها إلى السُّلطة، يجيء قُدوم الصّاهل إلى الشّاحج.

ويُواري أبو العلاء في مظلمة الشّاحج هُموم النّاس في حلب، وسوء أحوالهم، وتظلُّمهم؛ "فيكون منك الطّوْل[٣] بأن تصل تظلُّمي إلى الحضرة، فلعلّي أُنصف مع المظلومين.

---

[١] من الآية الثّامنة عشرة من سورة النّمل، والآية: ﴿حتّى إذا أتوا على وادِ النّملِ قالتْ نملةٌ يا أيُّها النّملُ ادخلوا مساكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُليمانُ وجنودُهُ وهُمْ لا يشعرونَ﴾. أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاحج، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص٩١.

[٢] الآية الثّالثة والعشرون من سورة النّمل. أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاحج، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص٩١.

[٣] الطّوْل: الفَضْل. لسان العرب: مادّة (طول).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قد ترى ما أنا فيه، لا يُطلب بعد عَيْن[١] أثر[٢]، ويُريك بَشَر[٣] ما أحار مِشْفر[٤]، والسّناسن[٥] العارية دلّت على البأساء[٦] المُتوارية، وما ظنُّك بدَريس[٧] الأهدام[٨]؟ «وكفى برُغائها[٩] منادياً»[١٠]»[١١].

---

[١] العَيْن والمُعاينة: النّظر. لسان العرب: مادّة (عين).

[٢] لفظ المثل عند المُفضّل الضّبّيّ: "لا أطلبُ أثراً بعد عَيْن"، وعند الميدانيّ: "تطلب أثراً بعد عَيْن"، والعَيْن: المُعاينة. يُضرب لمن ترك شيئاً يراه ثُمّ تبع أثره بعد فَوْت عينه. انظر: المُفضّل الضّبّيّ، أمثال العرب، تقديم وتعليق إحسان عبّاس، ص٥٩؛ الميدانيّ، مجمع الأمثال، حقّقه وفصله وضبط غرائبه وعلّق حواشيه مُحمّد مُحيي الدّين عبد الحميد، ج١، ص ص١٢٧- ١٢٨.

[٣] البَشَر: جمع بَشَرة، وهي ظاهر الجلد. لسان العرب: مادّة (بشر).

[٤] المِشْفر للبعير كالشّفة للإنسان. وقولهم في المثل: "أراك بشر ما أحار مِشْفر": أي أغناك الظّاهر عن سُؤال الباطن؛ لأنّك إذا رأيت بَشَره، سميناً أو هزيلاً، استدللت على كينيّة أكله. لسان العرب: مادّة (شفر). وأبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاحج، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، شرح المُحقّقة، الهامش الثّالث، ص٩٧.

[٥] السّنْسِن: حرف فَقار الظّهر، أو طرف الضّلع الّتي في الصّدر، وجمعه سَناسن. لسان العرب: مادّة (سنن).

[٦] البأساء: البُؤس. لسان العرب: مادّة (بأس).

[٧] الدّريس: الثّوب الخَلَق، وجمعه أدراس، ودِرسان. لسان العرب: مادّة (درس).

[٨] الأهدام: الأخلاق من الثّياب، واحدها هِدْم. لسان العرب: مادّة (هدم).

[٩] الرُّغاء: صوت ذوات الخُفّ. رغا البعيرُ والنّاقةُ ترغو رُغاءً: صوّتت فضجّت. لسان العرب: مادّة (رغا).

[١٠] "كفى برُغائها مُنادياً": المثل بلفظه في كلّ من أمثال المُفضّل الضّبّيّ، ومجمع أمثال الميدانيّ: وهو مثل يُضرب في قضاء الحاجة قبل سُؤالها، ويُضرب أيضاً للرّحل تحتاج إلى نُصرته أو معونته فلا يحضُرك. انظر: المُفضّل الضّبّيّ، أمثال العرب، تقديم وتعليق إحسان عبّاس، ص١٧٠؛ الميدانيّ، مجمع الأمثال، حقّقه وفصله وضبط غرائبه وعلّق حواشيه مُحمّد مُحيي الدّين عبد الحميد، ج٢، ص١٤٢.

[١١] أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاحج، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص٩٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويُحدّث عمّا يلقاه الشّعب من مُقاساة ومُكابدة على يد سائسه الأجير/ عزيز الدّولة، ويُشير إلى سوء أحوال أفراده الاجتماعيّة والاقتصاديّة، ويُومىء إلى سوء إدارة عزيز الدّولة، وخداعه المُلاّك/ أولياء نعمته الفاطميّين: "وإنّي مع الّذي أُلاقيه من قلّة الدّعَة[١] وعُنف السّياق، يسوقني أجير كسلان، إذا سأله المُلاّك: أأرويته من سُويد[٢]؟ قال: نعم. أحششته[٣] بعد ذلك؟ أأوسعت[٤] له من الحسيك[٥]؟ أتفقّدته من آثار الأبرار[٦]؟ قال: أجل. نعم، حَوْب![٧] ويحلف لهم الحَذّاء[٨] لقد فعل، وهو بشهادة اللّه أكذب من الشّيخ الغريب، والأخيذ[٩] الصّبحان[١٠]، وتوهُّم المُخْفِق، وتخيُّل الوالدة، والبرق في عام سنة[١١]، واللّه المُستعان على ما بطن من أمر وما ظهر"[١٢].

---

(١) الدّعة: الخفض في العيش والرّاحة، من وَدَعَ يَوْدُعُ دَعَةً ووَداعةً: سَكَنَ. لسان العرب: مادّة (ودع).

(٢) السُّويد: الماء. لسان العرب. مادّة (سود).

(٣) حشّ الدّابّة: علفها بالحشيش. لسان العرب: مادّة (حشش).

(٤) أوْسَعَ: وَسَّعَ وزادهُ منه. لسان العرب: مادّة (وسع).

(٥) شرحت المُحقّقة الحسيك: بأنّه نبات ورقه كورق الرّجلة وأدقّ. وأحسك الدّابّة: أقضمها إيّاه. بينما لم أجد الحسيك في "لسان العرب"، وإنّما وجدت الحَسَك: وهو نبات له ثمرة خشنة تَعْلَق بأصواف الغنم. وكلّ ثمرة القُطب والسّعْدان والهَراس وما أشبهه حَسَك، واحدته حَسَكة. وقيل: هو عُشبة تضرب إلى الصُّفرة ولها شوك يُستى الحَسَك. لسان العرب: مادّة (حسك). وانظر: أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاحج، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، شرح المُحقّقة، الهامش الثّاني، ص٩٨.

(٦) الأبرار: جمع برّ، ومن معانيه الفأرة والجُرذ. لسان العرب: مادّة (برر).

(٧) الحَوْب: زَجْر لذكور الإبل. لسان العرب: مادّة (حوب).

(٨) الحَذّاء: اليمين المُنكرة الشّديدة الّتي يُقتطع بها الحقّ، وقيل: هي اليمين الّتي يحلف بها صاحبها بسُرعة. لسان العرب: مادّة (حذذ).

(٩) الأخيذ: المأخوذ. لسان العرب: مادّة (أخذ).

(١٠) الصّبحان: الّذي شرب الصّبوح، وهي الخمر. لسان العرب: مادّة (صبح).

(١١) السّنة مُطلقة: السّنة المُجْدِبة، وجمعها سَنَهات وسِنون. والسّنة السّنواء: الشّديدة. لسان العرب: مادّة كلّ من (سنه) و (سنا).

(١٢) أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاحج، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص٩٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويستنكر الشّاجح أن يُطلب منه بعد ذلك أن يأتيَ كإتيان الخيل الجامّة[١] والشّواجح المودَعة[٢]/ الشُّعوب المُترفة، مُندِّداً بما في ذلك له من استغلال واستغفال وهوان. "جعل يحثُّني بالضّرب لأحضُر[٣] كإحضار الخيل الجامّة والشّواجح المودَعة، وهو على ظهري مُثوِّب[٤]، وَيْبَكَ[٥] أما تَخُبّ[٦]؟ وَيْبَكَ أما تُقَرِّب[٧]؟ هيهات هيهات! ما باللُمعة[٨] حِبّة[٩]، ولا في الأرض المُجْدِبة ربّة[١٠]، ولا بالشّاجنة[١١] ريّة[١٢]، ولا عند الرّاعية مَفْرِيّة[١٣]، وهل ترك سَغَب[١٤] من مَناص[١٥]"[١٦].

---

[١] جمَّ الفرسُ يَجِمُّ ويَجُمُّ جَمّاً وجِماماً وأَجَمَّ: ترك الضِّراب فتجتمع ماؤه. لسان العرب: مادّة (جمم).

[٢] المُودَعة: من الدَّعة الّتي هي السُّكون، لا من التّرك؛ أي أنّه جرى ولمْ يُجْهد. لسان العرب: مادّة (ودع).

[٣] الحُضْر والإحضار: ارتفاع الفَرس في عَدْوه. لسان العرب: مادّة (حضر).

[٤] مُثوِّب: صارخ. لسان العرب: مادّة (ثوب).

[٥] وَيْبَكَ: وَيْلَكَ. لسان العرب: مادّة (ويب).

[٦] تَخُبّ: تُسرع. والخَبَب: ضرب من العدو سريع. لسان العرب: مادّة (خبب).

[٧] تُقَرِّب: تُعجِّل العدو. والتّقريب: ضرب من العدو. وقَرَّبَ الفرسُ: إذا رفع يديْه معاً ووضعهما معاً في العدو، وهو دون الحُضْر. وقَرَبَ الفرس: إذا عدا عدواً دون الإسراع. لسان العرب: مادّة (قرب).

[٨] اللُمعة بالضّمّ: قطعة من النّبات إذا أخذت في اليبس. لسان العرب: مادّة (لمع).

[٩] الحِبّة: بالكسر والتّضعيف: بُذور الصّحراء ممّا ليس يقوت. وقيل: نبت ينبُت في الحشيش، والجمع حُبوب. وقيل: جميع بُزور النّبات، واحدتها حَبّة. لسان العرب: مادّة (حبب).

[١٠] الرّبّة بالكسر: نبتة صيفيّة. وقيل: هي كُلّ ما اخضرَّ من الشّجر أو النّبت فلم يُحَدّ، والجمع: الرّبَب. وقيل: إنّها شجرة الخَرنوب. وقيل الرّبّة: اسم لعدّةٍ من النّبات، لا تهيج في الصّيف، تبقى خُضرتها شتاءً وصيفاً. لسان العرب: مادّة (ربب).

[١١] الشّاجنة: ضرب من الأدوية ينبت نباتاً حسناً. لسان العرب: مادّة (شجن).

[١٢] الرّيّة: الماء. لسان العرب: مادّة (روي).

[١٣] المَفْرِيّة: المزادة. لسان العرب: مادّة (فرا).

[١٤] السَّغَب: الجوع. وربّما سُمّي العطش سَغَباً. لسان العرب: مادّة (سغب).

[١٥] المَناص: المَلجأ والمَفرّ. لسان العرب: مادّة (نوص).

[١٦] أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاحج، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص ص٩٩- ١٠٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويستلّ أبو العلاء رُدود الصّاهل على الشّاجِ من توقُّعاته لما سيكون جواب السُّلطة عن مظالم الشّعب وقضاياه: ستتنصّل السُّلطة من حملها وإيصالها، ستتنصّل من الشّعب وقضاياه، ستستعرض مظالم الحيوانات الأُخرى/ الشُّعوب الأُخرى؛ لتُؤكّد أنّها تتعرّض لأحوال أشدّ قسوة وإيلاماً، فيها المُؤامرات والدّسائس والاغتيالات، وكُلّ همّها أن تُهوّن من مسألة الشّاجِ وتُسقطها عنها. "وأيّ صنف من أصناف الحيوان لا يُنصَب[١] ويُقصَب[٢]"[٣]. سترفض السُّلطة أن تتعاون مع الشّاجِ، حتّى لو صاغ مظلمته في قالب يلقى احتفاء لديها واعتناء خاصّاً، وأعني الشّعر، وهو يرمز للأدب عُموماً، ذلك الّذي اختاره أبو العلاء قالباً لرسالته الّتي بين أيدينا، قالباً لهُموم عصره ومُشكلاته وقضاياه. "وحملني على ذلك ما قد ظهر على ألسن النّاس، من أنّ السّيّد عزيز الدّولة وتاج الملّة أمير الأُمراء -أعزّ اللّه نصره- قد رفع من قدر الشُّعراء، يُعلي مُجيدهم ويُكرمه، ويُعطي المُقصّر ولا يحرمه، وينقد المنظوم[٤] السّائر نقد الصّيرفيّ[٥] ماله، ويعرف مُشكله[٦] معرفة السّعديّ[٧] ماله[٨]"[٩].

---

(١) يُنْصَب: يُتعب ويُكلّ. والنَّصَب: التّعب. لسان العرب: مادّة (نصب).

(٢) قَصَبَ الجَزّار الشّاةَ يقصِبها قَصْباً: فصلَ قَصَبَها، وقطعها عُضواً عُضواً. والقَصَب: كُلّ عظم ذي مُخّ على التّشبيه بالقَصبة. لسان العرب: مادّة (قصب).

(٣) أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاجِ، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص١١٥.

(٤) النّظم والمَنظوم: التّأليف (الشّعر). لسان العرب: مادّة (نظم).

(٥) الصّيرفيّ: النّقّاد. لسان العرب: مادّة (صرف).

(٦) أشْكَلَ الأمرُ: الْتَبَسَ. والمَشكول في العروض: ما سقط ثانيه وسابعه السّاكنان. لسان العرب: مادّة (شكل). والخطيب التّبريزيّ، كتاب الكافي في العروض والقوافي، تحقيق الحسّاني حسن عبد اللّه، ط١، مجلّة معهد المخطوطات العربيّة، مصر، ربيع الأوّل ١٣٨٦هـ/ مايو ١٩٦٦م، ص١٤٣.

(٧) السّعديّ: دليل طريق من بني سعد. وبنو سعد: قبائل شتّى في تميم وقيس وغيرها. لسان العرب: مادّة (سعد).

(٨) المال: الإبل هنا؛ وأكثر ما يُطلق المال عند العرب على الإبل؛ لأنّها كانت أكثر أموالهم. لسان العرب: مادّة (مول).

(٩) أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاجِ، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص١٠٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إنّ القالب الشّكليّ/ الشّعر، الّذي تمسّك به الشّاجع لإيصال مظلمته الهامّة والمصيريّة، لم يمنحها جواز المُرور إلى عزيز الدّولة، ذاك الغُلام الأرمنيّ أو الرّوميّ، الّذي نصّب نفسه عالماً بالشُّعراء، مُتحكّماً بهم وبمصائرهم وأقدارهم، بل لقد فتح هذا القالب باباً خلافيّاً مع السُّلطة، وجد فيه الشّاجع نفسه، وقد ألقى مظلمته، ليدافع عن حقّه وقُدرته على نظم الشّعر، ذلكما اللذيْن يراهما أهل السُّلطة حكراً عليهم، وعلى من إلى جوارهم من الشُّعراء والرّجال والأعوان. سيثور الشّاجع ويُعلن تمرُّده وتحدّيه، لا للشُّعراء والأُدباء في مجلس عزيز الدّولة، بل لمن ضمّهم المجلس أيضاً من أهل الفقه، والعلم، والكلام. "وقد بلغني أنّ للسّيّد عزيز الدّولة وتاج الملّة أمير الأُمراء مجلساً يجتمع فيه الفُقهاء، وأهل الكلام، والأدب، والشُّعراء. ولو تحرّى فيّ التّطوُّع مُتحوِّب[١]، فقادني بِرَسَني[٢]؛ حتّى أقف من ذلك المجلس بمرأى ومسمع، لألقيت مسألة، ثُمّ فرّعتها، فخاض فيها الفُقهاء والمُتكلِّمون والشُّعراء سحابة ليلتهم[٣] تلك"[٤].

سيستعين الصّاهل بالمُدّعين والوُشاة الكاذبين الّذين تُمثّلهم الفاختة، وسينتصر لهم، فيما سينتصر الشّاجع للجمل، حتّى إذا ما أكّد الواقع كذب الفاختة ودسائسها ومُؤامراتها، صار الجمل خصم الشّاجع ومُحاوره التّالي، ولا عجب، فقد خصّه الصّاهل، من قبل، بمكرُمة الشّعر بعده، وصارت مقالة الشّاجع للجمل، الصّورة الّتي اتّخذها تحدّي الشّاجع للسُّلطة، ومن إلى جوارها من أهل العلم، والأدب، والفقه، والشّعر، والكلام؛ لذلك تأتي المقالة وقد ضمّت بعضاً من أخبار عليّ، وأهل بيته، وآرائه الفقهيّة- مع مُلاحظة أنّ أبا العلاء يقصد إلى ذلك، بما أنّ

---

[١] تقول: فُلانٌ يتحوّب من كذا؛ أي يتغيّظ منه. وتحوَّبَ: اجتنَبَ الإثم. وحابَ حَوْباً وحوباً: أثِم وأذنَب. والتّحوُّب: التّوجُّع والشّكوى والتّحزُّن والتّضرُّع. والحَوْب والحَوْبة: آيّة قرابة من قِبل الأُمّ. لسان العرب: مادّة (حوب).

[٢] الرَّسَن: الحبل يُوضع في رأس الدّابّة. لسان العرب: مادّة (رسن).

[٣] سحابة ليلتهم: طُولها. لسان العرب: مادّة (سحب).

[٤] أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاجع، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص١٨٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عزيز الدّولة علويّ المذهب- وبعض أخبار المُجتمع ورجال السّياسة في بلاد الشّام. وبينما يبدو أنّ الإلغاز في هذه المقالة، هو في استعمال الألفاظ ذات المعاني والدّلالات المعروفة، بمعان جديدة، قليلة الاستعمال، تدخل في باب المُشترك اللفظيّ، يظهر لنا أنّ الإلغاز الّذي راهن عليه أبو العلاء، هو في فهم الإيماءات السّاخرة المُغيّبة في ظاهر مقالة الشّاجع، وفي استنكار الجمل لما جاء فيها؛ فالمقالة وما كان من فهم الجمل لها، مليئان بالنّقد السّياسيّ والاجتماعيّ والعقائديّ السّاخر المُتواري خلف الألغاز اللُغويّة. وهناك الكثير من أوجه التّلاقي بين ما أورده أبو العلاء من ألغاز في مقالة الشّاجع، وبين ما جاء في كتاب "الملاحن"[(١)] لابن دُريد، وما وقع من "فُتيا فقيه العرب" في مقامات الحريريّ [(٢)][(٣)] (٤٤٦- ٥١٦هـ= ١٠٥٤- ١١٢٢م). يقول أبو العلاء على لسان الشّاجع: "والدّجّال قد ظهر مُنذ سنوات في عمل السّيّد عزيز الدّولة وتاج الملّة أمير الأُمراء - أدام اللّه سُلطانه - وهو يكون عند بعض الجُنود بمدينة حلب حرسها اللّه[(٤)]"[(٥)] "والقاضي بحلب عادل مُنصف، على أنّه يُجيز أن

---

(١) انظر: ابن دُريد، كتاب الملاحن، تحقيق عبد الإله نبهان، ص ص٧١- ٧٢، ٨٤- ٨٥، ٨٧- ٨٩، ص٩٢، ٩٥، ١٠٠، ١٠٢، ١١٦، ١١٨، ص ص ١٤٣- ١٤٥.

(٢) انظر: الجلال السّيوطي، المُزهر في عُلوم اللُغة وأنواعها، شرحه وضبطه وصحّحه وعنون موضوعاته وعلّق حواشيه مُحمّد أحمد جاد المولى، وعلي مُحمّد البجّاوي، ومُحمّد أبو الفضل إبراهيم، ج١، ص ص٦٢٥- ٦٢٦، ص٦٣٥.

(٣) القاسم بن عليّ بن مُحمّد بن عُثمان، أبو مُحمّد الحريريّ البصريّ الحَرَاميّ: صاحب المقامات الحريريّة، كان أحد أئمّة عصره في الأدب والنّظم والنّثر، ورُزق الحظوة التّامّة في عمل المقامات، ولم يلحقه أحد بعده. من تصانيفه: كتاب "دُرّة الغوّاص في أوهام الخواصّ"، وكتاب "مُلحة الأعراب وسُبحة الآداب"، وله ديوان رسائل، وديوان شعر. انظر في أخباره: ابن خَلّكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، حقّقه إحسان عبّاس، المُجلّد الرّابع، ص ص٦٣- ٦٨؛ صلاح الدّين الصّفديّ، الوافي بالوفيات، ج١٥، ص ص١٨٣- ١٨٧.

(٤) الدّجّال: كلّ كذّاب، سُمّي بذلك؛ لأنّه يستر الحقّ بكذبه. وأبو العلاء إذ يشرح مقصده على لسان الشّاجع، من ثَمّ، يُشير إلى أنّ الدّجّال هو فِرند السّيف، ويقول: هو الذّهب أو ماؤه. لسان العرب: مادّة (دجل). وانظر: أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاجع، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص٣٦٧.

(٥) أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاجع، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص٢٣١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يُطبخ المظلوم بقُدَير[١] أو مِرْجَل[٢]، ويُبيح أن يُضرب خدّ المظلومة بالفُؤوس[٣]"[٤] "والقاضي بمدينة السّلام[٥] لا يدخل عليه عَدْل[٦] من عُدوله، إلاّ ومعه دَفّان كُلّ واحد منهما أحبّ إليه من مائة دينار، والسّاج[٧] من بعد على كتفيْه[٨]"[٩] "وأهل مَنْبِج[١٠] لا يُرى

---

[١] القُدَير: تصغير القِدْر. لسان العرب: مادّة (قدر).

[٢] المِرْجَل: القِدْر من الحجارة والنُّحاس. لسان العرب: مادّة (رجل).

[٣] يُومِيء أبو العلاء هنا إلى الظُّلم المُتفشّي. ولكنّه إذ يشرح معانيه، يُشير إلى أنّ المظلوم من قولك: ظلمتُ اللبن، إذا شربته أو سقيته وهو لم يَرُب. والمظلومة: هي الأرض الصّلبة الّتي لم تُحفر. وخدّها الحفر الّذي فيها، وهو مثل الأُخدود، والظّالم الّذي يحفر القبر. وقد وردت كلمة المظلوم بهذا المعنى في كتاب "الملاحن". انظر: أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاحج، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص٣٦٨؛ ابن دُريد، كتاب الملاحن، تحقيق عبد الإله نبهان، ص٨٥.

[٤] أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاحج، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص٢٣١.

[٥] دار السّلام ومدينة السّلام: بغداد. ياقوت الحَمَويّ، مُعجم البُلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجُنديّ، ج٢، ص٤٨٠.

[٦] العَدْل من النّاس: المرضيّ قولُه وحُكْمُه. ورجل عَدْل: جائز الشّهادة. لسان العرب: مادّة (عدل).

[٧] السّاج: الطَّيْلَسان الضّخم الغليظ، وقيل: الطَّيْلَسان المُتوّر يُنسج كذلك، وقيل: هو طيلسان أخضر. والطَّيْلَسان: نوع من الأكسية. لسان العرب: مادّة كُلّ من (سوج)، و (طلس).

[٨] يومِيء أبو العلاء هنا إلى فساد المسؤولين، وإذ يبدو لنا أنّ الدَّفّ والدُّفّ: آلة الطّرب المعروفة، والجمع دُفوف، يشرح أبو العلاء الدّفّيْن، من ثَمّ، بأنّهما الجنبان. انظر: لسان العرب: مادّة (دفف)؛ أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاحج، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص٣٧٠.

[٩] أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاحج، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص٢٣٣.

[١٠] مَنْبِج: مدينة كبيرة في سورية، ذات ميزات كثيرة، وأرزاق واسعة، بينها وبين الفُرات ثلاثة فراسخ. وبينها وبين حلب عشرة فراسخ. انظر: ياقوت الحَمَويّ، مُعجم البُلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجُنديّ، ج٥، ص٣٢٨؛ مجموعة من المؤلّفين، المُنجد في اللُّغة والأعلام، ص٦٨٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العَدْل عند أميرهم أو قاضيهم"[١] "وأهل بعلّ بك[٢]، يفرح الرّجل منهم أن تكون له الأمة، وكُلّهم يُبغضون الحرائر، وبلادهم كثيرة الكُروم، ولا يُرى الرّجل منهم في كرم طول عمره"[٣][٤].

ويتصوّر أبو العلاء في عجز الجمل عن فهم مقاصد الشّاحج، وبُعده عن التقاط غاياته ومآربه، حال مُدّعي العلم، والأدب، والمُتزلّفين المُتملّقين في مجلس عزيز الدّولة، بل حال عزيز الدّولة نفسه أيضاً، مُشرعاً نافذة النّقد والسُخرية والطّعن أمام المشهد الثّقافيّ.

غير أنّه يعود فيستلّ لهؤلاء رُدوداً من توقُّعاته ومعرفته بهم، سيدّعي هؤلاء أنّه/ أنّ الشّاحج غير قادر على الإفهام: "غير أنّي لا أزعم أنّه -عزيز الدّولة- يفهم أصوات الحيوان"[٥]. سيُنكرون عليه تظلُّمه إلى عزيز الدّولة، فمن قال له إنّه سيستمع إليه أو حتّى سيلتفت إليه، وأبو العلاء هنا يسخر من عزيز الدّولة، ويطعن به. "ومن الّذي أوهمك أنّ مثلك يُسمع له

---

[١] يُشير أبو العلاء إلى الظُّلم المُتفشّي، ويتجاهل لاحقاً شرح كلمة "العَدْل". أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاحج، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص٢٣٣.

[٢] بعلّ بك، وقد تُوصل في الرّسم: بَعْلَبَكّ: مدينة قديمة في لبنان، فيها آثار قديمة، بديعة. انظر: ياقوت الحَمَويّ، مُعجم البُلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجُنديّ، ج١، ص٥٣٧؛ مجموعة من المُؤلّفين، المُنجد في اللُّغة والأعلام، ص١٣٦.

[٣] يُشير أبو العلاء إلى فساد الأحوال، ويشرح لاحقاً أنّ المقصود بالحرائر النّساء، وبالكرم القلادة. أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاحج، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص٣٧٢.

[٤] أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاحج، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص٢٣٣.

[٥] المصدر نفسه، ص٣٧٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قول، أو يُعرف منه إيماء[١]، إن كان بلغك ذلك من أهل حلب - حرسها اللّه - فإنّ حُبّ السّيّد عزيز الدّولة أمير الأُمراء - أعزّ اللّه نصره - قد غمر قُلوبهم، وغطّى عُيونهم، ومن الكلام القديم: «حُبّك الشّيء يُعمي ويُصِمّ»[٢]"[٣]. لا بل سيُنكر عليه هؤلاء، رغم جهلهم وعيّهم عن فهم مقاصده، سيُنكرون عليه علمه وفهمه، وسيسلبونه قُدراته الفذّة، وإلاّ فما معنى أنّه مُغيّب عن مجلس عزيز الدّولة، ولو كان مُفكّراً، عالماً، حقيقاً بالاحترام، لأنزله عزيز الدّولة منزلته المُناسبة إلى جواره. إنّ هؤلاء يقيسون قيمة الأُدباء بجوارهم ومنزلتهم من السُّلطة، ولعلّ أبا العلاء هنا يستنكر على عزيز الدّولة عدم تقريبه منه، وإنزاله منزلته الّتي يستحقُّها إلى جواره. "والعجب كُلّ العجب لهذا الضّرير، له جُزء من مُلكك، وهو يسمع خبط حوافرك، والنّبأة[٤] في شحيجك ليل نهار، كيف لا يزجرك عن هذه المقالة، إن كان قد علمها منك؟ وكيف يصل إلى علم تلك! هيهات هيهات، لو علم كان ضعيفاً، ركيكاً[٥]، خليقاً أن يتحمّل كُلّ ضيم[٦]، وأن يصبر على كُلّ أذاة، وبعض من لا يعرفه من العامّة يظنّ أنّه من أهل العلم، كذبت الظُّنون، ولو كان كذلك، لَوَلَب[٧] من حضرة السّيّد عزيز الدّولة

---

[١] الإيماء: الإشارة بالأعضاء، كالرّأس، واليد، والعين، والحاجب. يُقال: أَومَأتُ إليه أومِيء إيماءً. لسان العرب: مادّة كُلّ من (ومأ) و (ومي).

[٢] المثل بلفظه في مجمع أمثال الميدانيّ: أي يُخفي عليك مساويه، ويُصِمُّك عن سماع العذل فيه. الميدانيّ، مجمع الأمثال، حقّقه وفصله وضبط غرائبه وعلّق حواشيه مُحمّد مُحيي الدّين عبد الحميد، ج١، ص١٩٦.

[٣] أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاحج، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص٣٧٦.

[٤] النّبأة: النّشز. لسان العرب: مادّة (نبأ).

[٥] الرّكيك والرّكاكة والأزلّ من الرّجال: الفَشل، الضّعيف في عقله ورأيه. لسان العرب: مادّة (ركك).

[٦] الضّيم: الظُّلم. وضامَهُ حقّه ضَيْماً: نَقَصَهُ إيّاه. لسان العرب: مادّة (ضيم).

[٧] وَلَبَ إليه: وصل إليه، ودنا منه. لسان العرب: مادّة (ولب).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتاج الملّة أمير الأُمراء - أعزّ اللّه نصـره - لأنّه كما قيل: «لا مخبأ لِعِطْر بعـد عروس»"[١][٢].

ويُمكننا أن نقرأ لُجوء الشّاجح إلى المقالة النّثريّة المُلغزة، على أنّه تغيُّر في أُسلوب التّواصل مع السُّلطة، وإصرار على هذا التّواصل في الوقت نفسه. إنّ الجُنوح إلى الإلغاز والتّورية في إيصال النّقد، مُعادل مُساوٍ لِلُجوء أبي العلاء إلى الأقنعة الحيوانيّة؛ لاتّقاء السُّلطة ودرء أذاها من جهة، كما كان مقصد ابن دُريد في كتاب "الملاحن"، ولتحدّي السُّلطة وإبهارها من جهة ثانية، وهو من جهة ثالثة تجنُّب لما قد يُفهم من المظلمة الشّعريّة على أنّه تزلُّف لها، كتزلُّف هؤلاء الشُّعراء المُتكسّبين إلى جوارها، تُقوّيه رغبة أبي العلاء في التّفرُّد والاختلاف، ودفع دفّة الحوار إلى جوانب أُخرى من مواهبه وقُدراته الفذّة. "ولست أسألك ما سألت الصّاهل من حمل الشّعر؛ لأنّي لم أر بركة في ذكره؛ أدّاني[٣] إلى طول مُناقضة[٤]، وأوقع بيني وبين الفاختة، حتّى وشت[٥] بي إليك، فصنعت بي ما تراه. ومع هذا كرهت أن أُتصوّر بِصُوَر أهل النّظم المُتكسّبين، الّذين لم يترك سُؤال النّاس في وُجوههم قطرة من الحياء، ولا طول الطّمع في نُفوسهم أنفة من قبيح الأفعال"[٦].

---

[١] المثل بلفظه في مجمع أمثال الميدانيّ، ويُروى: "لا عِطْر بعد عروس"، يُضرب لمن لا يُدَّخَرُ عنه نفيس. انظر: الميدانيّ، مجمع الأمثال، حقّقه وفصله وضبط غرائبه وعلّق حواشيه مُحمّد مُحيي الدّين عبد الحميد، ج٢، ص ص٢١١- ٢١٢.

[٢] أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاجح، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص ص٢٤٠- ٢٤١.

[٣] أدّى الشّيء: أوْصَلَهُ. لسان العرب: مادّة (أدا).

[٤] ناقَضَهُ مُناقَضةً ونِقاضاً: خالَفَهُ. لسان العرب: مادّة (نقض).

[٥] وَشى به وَشْياً ووِشايةً: نَمَّ عليه، وسعى به. لسان العرب: مادّة (وشي).

[٦] أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاجح، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص٢١٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما يُمكننا أن نقرأ عُزوف الشّاجح عن تحميل الضّبع رسالته إلى عزيز الدّولة، على أنّه تجنُّب لإيصال هذه الرّسالة عن طريق يرتبط بالسّفه، والحُمق، والعَهار.

-٣-

وكما كان في حوار الصّاهل والشّاجح تمهيد لمقالة التّحدّي الّتي وجّهها أبو العلاء لعزيز الدّولة وأهل العلم والأدب في مجلسه، كان في فهم الجمل لها تمهيد للقضايا الّتي ستنفرد بها حوارات هذا الأخير والثّعلب، تلك الّتي وضعت على مائدة الحديث والبحث والتّعليق أخبار تلك المرحلة الحرجة من تاريخ حلب، مطلع القرن الخامس للهجرة، قُبيل نُهود الرّوم إلى حلب زمن عزيز الدّولة، إلى ما بعد جلائهم عنها بقليل، إذ نقع فيه على إشارة إلى ما يتهدّد حلب من خطر غزو قادم، دون ذكر أصحابه، مُقترنة بسُخرية أبي العلاء ونفيه معاً اتّخاذ أيّة تدابير لصدّه أو الوقوف في وجهه. "وزعمت أنّ السّنانير[١] إذا كانت في البادية تقلّدت السّيوف[٢]، ولعبت بالرّماح، ولا يلعب بالرُّمح إلاّ من يقدر أن يطعن به، فلو صحّ هذا من دعواك، لاجتمعت سنانير هذا الإقليم، فصدّت الجيش الّذي يعمد لأهله بالأذاة"[٣].

لقد جعل صاحبُنا الثّعلبَ، بحُكم حُرّيّته وعدم تدجينه، وسيلة الحُصول على أخبار السّياسة والمُجتمع، تلك الّتي لا يستطيع الشّاجح الوصول إليها بحُكم عجزه وقيده، وترك للشّاجح مهمّة التّعليق عليها، وتبادُل الرّأي فيها مع الثّعلب، وتصوُّر ما سينجم عنها من رُدود فعل النّاس، بحُكم نفاذ بصيرته، ودقّة فهمه، وإصابة توقُّعاته.

---

[١] يُشير أبو العلاء فيما بعد إلى أنّ السّنّور: السّيّد. انظر: أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاجح، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص٣٦٤.

[٢] تَقَلَّدَ الأمرَ: احتَمَلَه. وتقلّد السّيفَ: حَمَلَه. ومُقَلَّد الرّجل: موضع نِجاد السّيف على مَنكِبَيه. لسان العرب: مادّة (قلد).

[٣] أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاجح، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص٣٣٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وجاءت بداية العلاقة بين الشّاجر والثّعلب – كما أراها – مُنطوية على إشارة سياسيّة هامّة، تستشرف تغيُّراً في مُستقبل حلب ونظامها الحاكم، ولعلّها تُومىء إلى سُخط الفاطميّين على عزيز الدّولة، وعدم رضاهم عن سياسته، ورغبتهم في استرداد حلب من يديْه، وتضمينها[١] لمن يُؤتمن على مصالحهم ونُفوذهم فيها من رجالهم. "ويجيء الثّعلب وارداً، فيقول وقد كان بلغه ما في نفس الشّاجر: السّلام عليك، إنّ لك معي بشارة، وذلك أنّي صحبت في بعض الطُّرق رجلاً من الشُّركاء في هذا القَراح[٢]، فسمعته يُحدّث رفاقه أنّه قد عزم على تضمينه؛ لأنّ الفائدة عُدمت فيه إلاّ للمُباشر عمله بنفسه"[٣].

يرى الشّاجر هذه البشارة خلاصاً ممّا هو فيه، فيُقابلها بالحُبور والاحتفاء بالثّعلب والدُّعاء له، غير أنّ حُبور الشّاجر لا يدوم؛ ذلك أنّ خبر تضمين المزرعة يلحقه خبر نُهود الرّوم إلى حلب. "والعامّة يُخبرون أنّ زعيم الرّوم قد نهد[٤] إلى أرض المُسلمين"[٥]. فيما يتوقّع الشّاجر أنّ هذا الخبر ليس صحيحاً، مُشيراً إلى ما بين عزيز الدّولة وملك الرّوم من وِفاق وعلاقة طيّبة، تُدلّل على أنّ هذا المجيء لا يمكن أن يكون قد حدث دون اتّفاق بينهما، مُستبقاً ما سينجم عنه من جَفْلة واضطراب وخوف تُجلي كثيراً من النّاس عن ديارهم. "وإنّي لأحسب هذا الخبر كذباً إن شاء اللّه، لأنّ مثل السّيّد عزيز الدّولة وتاج الملّة أمير الأُمراء – أعزّ اللّه نصره – ومثل زعيم الرّوم مثل بازيَيْن، لكُلّ واحد منهما فِرق من الطّير تحمل إليه

---

(١) ضَمَّنَهُ إيّاه: كَفَّلَهُ. والضّمين: الكفيل. لسان العرب: مادّة (ضمن).

(٢) القَراح من الأرض: المُخلّصة لزرع أو لغرس. وقيل: المزرعة الّتي ليس عليها بناء ولا فيها شجر. لسان العرب: مادّة (قرح).

(٣) أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاجر، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص٤١٢.

(٤) نَهَدَ إلى العدوّ يَنْهَدُ: نهض. لسان العرب: مادّة (نهد).

(٥) أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاجر، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص٤١٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإتاوة، وقد تعاقد[١] البازيان ألاّ يعرض واحد منهما لما في حيّز الآخر من الخِشاش[٢]، فالطّير لما هي عليه من الخِفّة[٣] والجهل بغوامض الأمور، إذا رأت البازي الّذي ليست هي في مُلكه قد نظر إلى شَطْرها[٤] من غير تعمُّد، أدركها من الفَرَق[٥] بالطّبع ما يحملها على ترك الوُكُنات[٦]، وطيرانها في الآفاق، وهي لا تعلم بما في نُفوس البازيين، لأنّ كُلّ واحد منهما لو عرض لطير الآخر بسوء، لم يأمن أن يعرض لطيره بمثله، أو شرّ منه"[٧].

ويُلحق أبو العلاء هذه الإشارة، بإشارات أُخرى إلى رسائل ومُفاوضات وهدايا تجري بين ملك الرّوم وعزيز الدّولة، تُؤكّد ما سبق، وتُومىء إلى تراجع عن اتّفاق مُسبق بينهما، أفرزه واقع الحال، ولكنّه ما يزال موضع تفاوض ونقاش، ما هذا الاتّفاق إلاّ تسليم حلب، مُستعيناً بالنّحو في ذلك. "وزعمت العامّة أنّ رسالته إلى زعيم الرّوم أمسك عن جوابها لأمر لا يُعلم...، فهل شعروا أنّ مَثَل رسالته مَثَل "واو القسم"، يجيء جوابها بعد المُهلة المُتراخية، وإن ظنّ السّامع أنّ الكلام قد انفصل بعضه من بعض؟ ألا ترى أنّ "الواو" في قوله تعالى: ﴿والفجر﴾[٨]، جاء جوابها مُتراخياً، بينه وبينها ألفاظ كثيرة وجُمل مُعترضة، وهو قوله تعالى: ﴿إنّ ربّكَ لبالمرصادِ﴾[٩]؟"[١] "وقد حمل السّيّد عزيز الدّولة – خلّد اللّه مُلكه – ما فيه

---

[١] عاقَدَهُ: عاهَدَهُ. والمُعاقدة: المُعاهدة. لسان العرب: مادّة (عقد).

[٢] الخِشاش: الحشرات. والخِشاش من دوابّ الأرض والطّير: ما لا دماغ له. لسان العرب: مادّة (خشش).

[٣] الخِفّة: الطّيش. لسان العرب: مادّة (خفف).

[٤] شَطْر الشّيء: ناحيته. لسان العرب: مادّة (شطر).

[٥] الفَرَق: الخوف. لسان العرب: مادّة (فرق).

[٦] الوَكْنة: وهي اسم لكُلّ وكر وعُشّ، وجمعها وُكُنات. لسان العرب: مادّة (وكن).

[٧] أبو العلاء المَعرّي، رسالة الصّاهل والشّاحج، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص ص٤١٥- ٤١٦.

[٨] الآية الأولى من سورة الفجر.

[٩] الآية الرّابعة عشرة من سورة الفجر.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من الكرم والرّغبة في حَقْن[٢] الدّماء، أن بعث هديّة سنيّة، أشبهت شرف قدره، وعُزوف[٣] نفسه، والهديّة مثلها مثل "ما" الّتي تَكُفّ[٤] العامل عن العمل"[٥].

ويستعين أبو العلاء بالصّرف في تمثّل ما تُلحقه الحُروب من أذىً بالنّاس على اختلاف أحوالهم؛ فيقول على لسان الشّاحج: "وإنّما قُلت ذلك لك، لأنّ المُلوك إذا وقع بينها الخُلف، لقيت الرّعيّة مشقّة من الحياة، حتّى تُحمد الوحدة، ويُثنى على العُقم، وحتّى يصحّ قول النّبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم: «ويأتي على النّاس زمان، يكون أروح[٦] النّاس فيه الخفيف الحاذِ. قيل يا رسول اللّه: وما الخفيف الحاذِ[٧]؟ قال: الّذي لا أهل له ولا مال». فمثله مثل الحرف الفارد[٨] إن لحقه تغيير فيسير، والغالب عليه أن يثبُت على أمر لا يتغيّر، مثال ذلك "الباء" الزّائدة و"الكاف" الزّائدة، ألا ترى أنّ "الباء" تثبُت على الكسر، و"الكاف" تثبُت على الفتح؟... فإذا كان الرّجل له صاحب أو صاحبة فمثله مثل ما كان على حرفيْن، مثل دم و يد يتغيّران بالقَلْب، وتلك الحادثة قد أمِنها الوحيد؛ لأنّ القلب إنّما يُمكن في الاثنيْن، فتقول: دم

---

[١] أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاحج، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص٤١٩.

[٢] الحَقْن: الحَبْس. لسان العرب: مادّة (حقن).

[٣] عَزَفَتْ نفسي عن الشّيء تَعْزِفُ وتَعْزُفُ عَزْفاً وعُزوفاً: تَرَكَتْهُ بَعد إعجابها، وزَهِدَت فيه، وانصرفَتْ عنه. لسان العرب: مادّة (عزف).

[٤] الكَفّ: المَنْع. لسان العرب: مادّة (كفف).

[٥] أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاحج، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص٤٢٠.

[٦] أروح النّاس: أكثرهم راحة وخِفّة.

[٧] الحاذ: الخالي، ورجل خفيف الحاذ: قليل المال، ويكون أيضاً القليل العيال. وفي الحديث الشّريف: "ليأتيَنّ على النّاس زمان يُغبط الرّجل فيه لِخِفّة الحاذ، كما يُغبط اليوم أبو العَشَرة". ضربه مثلاً لقلّة المال والعيال. لسان العرب: مادّة (حوذ). ولم أجد الحديث في الصّحيحيْن.

[٨] الفارِد: الواحد، والمُنفرد. لسان العرب: مادّة (فرد).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عَمْراً[١] الصَّمْصامة[٢]، ويُلقون السّهم الأقذّ[٣] إلى الرّائش[٤] بِطَبَّتِه[٥]، ويتّكلون، بعد اللّه العظيم، على سياسة السّيّد عزيز الدّولة أمير الأُمراء – أعزّ اللّه نصره –؟ فإنّه شرّاب بإنقاع[٦]"[٧].

ويأخذ أبو العلاء على لسان الشّاجح في تصوُّر ما سيحلّ بالنّاس على اختلاف أحوالهم وأعمالهم وانتماءاتهم الدّينيّة، وقد سقطت عنهم أقنعتهم في جَفْلَتهم وحرصهم على حياتهم، فأخرجت تلك الدّاهية ما في نُفوسهم من نقائص وصغائر، أو حملتهم على فضائل وفِعال، لم يكونوا ليأتوها لولا تلك الضّرورة الحادثة، مُستعيناً بالعروض والنّحو واللُّغة في تمثُّل

---

(١) عمرو بن معد يكرب بن ربيعة، أبو ثور الزُّبيديّ (...- ٢١هـ= ...- ٦٤٢م): كان فارس العرب مشهوراً بالشّجاعة؛ وكان شاعراً مُحسناً. قدم على رسول اللّه، صلّى اللّه عليه وسلّم، في وفد زُبيد، فأسلم سنة تسع، أو سنة عشر للهجرة. انظر في أخباره: صلاح الدّين الصّفديّ، الوافي بالوفيات، ج١٥، ص ص٥١- ٥٢.

(٢) الصّمْصامة: اسم سيف عمرو بن معد يكرب الزُّبيديّ. وهي كذلك اسم للسّيف القاطع والصّارم الّذي لا ينثني. لسان العرب: مادّة (صمم).

(٣) الأقذّ: السّهم عليه القُذذ، وهي ريش السّهم، واحدتها قُذّة. لسان العرب: مادّة (قذذ).

(٤) راشَ السّهمَ ريشاً وارتاشَهُ: رَكّبَ عليه الرّيش. لسان العرب: مادّة (ريش).

(٥) الطَّبّ: الماهر الحاذق بالضّراب. لسان العرب: مادّة (طبب).

(٦) من أمثال العرب: "إنّه لشرّاب بأنْقُع". وورد أيضاً في حديث الحَجّاج: إنّكم يا أهل العِراق شرّابون عليّ بأنْقُع. يُضرب للرّجل الّذي جرّب الأُمور ومارسها، حتّى عرفها وخَبِرها. وجاء في مجمع أمثال الميدانيّ: "شرّابٌ بأنْقُع": أي مُعاودٌ للأمر مرّة بعد مرّة، وأصله الحَذِرُ من الطّير، الّذي لا يَرِدُ المَشارِعَ، لكنّه يأتي السّنقع يشرب منه. فكذلك الرّجل الكيّس الحَذِر لا يتقحّم الأُمور. والأنْقُع: جمع نَقْع، وهو الأرض الخُرّة الطّين، يستنقع فيه الماء. والجمع نِقاع، وأنْقُع. لسان العرب: مادّة (نقع). والميدانيّ، مجمع الأمثال، حقّقه وفصّله وضبط غرائبه وعلّق حواشيه مُحمّد مُحيي الدّين عبد الحميد، ج١، ص٣٦٠.

(٧) أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاحج، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص٤٣٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذلك وتبيانه ، مُقدّماً تحت وطأة الخوف صورة مُتكاملة للمُجتمع بأفراده وجماعاته وطوائفه، وعرضاً لأحواله، وما كان فيه من حِرَف وصناعات، وصورة للأمكنة وقد ارتحل عنها أهلها، وما لحقها من دمار وفوضى وتخريب: "فإنّ هذه الآونة تحمل القاطع على أن يصل، والمُهاجر صاحبه أن يعطف ويعتذر، ولم يفعلا ذلك رغبة في صلة الرّحم، ولا تحوُّباً[١] من سوء القطيعة، وإنّما ذلك للضّرورة الحادثة، فأشبها فيما فعلاه حال الشّاعر إذا وصل همزة القطع، كما قال أبو زُبيد[٢] (...- نحو ٦٢هـ=... - نحو ٦٨٢م) ، وذكر كلباً له يُسمّى أكدر:

فأيقنَ أكدرُ إذْ صاروا ثمانيــةً أنْ قدْ تفرّدَ أهلُ البيتِ بالثُّمُنِ[٣]"[٤]

---

[١] التّحوُّب: التّأثُّم من شيء. لسان العرب: مادّة (حوب).

[٢] خَرْملة بن المُنذر بن معد يكرب بن حنظلة الطّائيّ: شاعر جاهليّ، أدرك الإسلام، إلاّ أنّه لم يُسلم، ومات نصرانيّاً، وكان من المُعمّرين، يُقال إنّه عاش مائة وخمسين سنة، وقد عدّه ابن سلاّم من المُخضرمين، وألحقه بالطّبقة الخامسة من الإسلاميّين. انظر: الجُمحيّ، طبقات فُحول الشُّعراء، قرأه وشرحه محمود مُحمّد شاكر، السّفر الثّاني، ص ص٥٩٣- ٦١٥؛ ابن قُتيبة، الشّعر والشُّعراء، تحقيق أحمد مُحمّد شاكر، ج١، ص ص٢٩٢- ٢٩٥؛ أبو الفرج الأصبهانيّ، الأغاني، أشرفت على ضبطه وتصحيحه لجنة من الأُدباء والمُستشرقين، المُجلّد الحادي عشر، ص ص٤١- ٥٤.

[٣] كتب أبو زُبيد هذه القصيدة في كلب له اسمه أكدر، كان يُساور الأسد، ويمنعه من الفساد حين حطمه الأسد. ومطلعها:

"فجالَ أكــدرُ مُختــالاً كعادتــهِ حتّى إذا كانَ بينَ الحَوْضِ والغَطَنِ"

ونُسبت في ديوان أبي زُبيد الطّائيّ:

"وظنَّ أكدرُ أنْ تمتوا ثمانيةً أنْ قدْ تجلّلَ أهلُ البيتِ بالثّمُنِ"

انظر: أبو زُبيد الطّائيّ، ديوان أبي زُبيد الطّائيّ، جمعه وحقّقه نوري حمّودي القيسي، ط١، ساعد المجمع العلميّ العراقيّ على نشره، مطبعة المعارف، بغداد- العراق، ١٩٦٧م، ص ص١٣٨- ١٣٩.

[٤] أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاحج، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص٤٣٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" وإذا فجِئَت[١] هـذه المُلِمّة[٢] وغيرها من المُلِمّات، حسّنت[٣] للنّساء ذوات الخَفَر[٤] أن يتبرّجن[٥]، ويجرين في المشي والعمل مجرى الرّجال، فيكون مثلهنّ مثل المُؤنّث إذا ذُكّر عند الحاجة، كما قال عامر بن جُوين الطّائيّ[٦]:

فلا ديمةٌ[٧] وَدَقَـــتْ وَدْقَهـا[٨] ولا أرضَ أَبْقَلَ[٩] إبقالَها[١٠]" [١١]

---

[١] فَجِئَهُ الأمرُ وفَجَأَهُ، بالكسر والنّصب، يَفْجَؤُهُ فَجْأً وفُجاءة، بالضّمّ والمدّ: هجم عليه من غير أن يشعر به. لسان العرب: مادّة (فجأ).

[٢] المُلِمّة: النّازلة الشّديدة من شدائد الدّهر ونوازل الدّنيا. لسان العرب: مادّة (لمم).

[٣] حسّنتْ: زيّنتْ. لسان العرب: مادّة (حسن).

[٤] الخَفَر: شِدّة الحَياء. لسان العرب: مادّة (خفر).

[٥] التّبرُّج: إظهار المرأة زينتها ومحاسنها للرّجال. وتبرّجتِ المرأةُ: أظهرتْ وجهها، أو أظهرتْ محاسن وجهها وجيدها. لسان العرب: مادّة (برج).

[٦] عامر بن جُوين بن عبد رُضاء بن قمران الطّائيّ (لم أعثر على تاريخ ولادته أو وفاته): أحد بني جرم بن عمرو بن الغوث بن طيّء، كان سيّداً، شاعراً، فارساً، شريفاً، وهو الّذي نزل به امرؤ القيس بن حُجْر. وقد عُدّ من المُعمّرين؛ فقيل: إنّه عاش مائتي سنة. انظر في أخباره: عبد القادر البغداديّ، خِزانة الأدب ولُبّ لُباب لسان العرب، تحقيق وشرح عبد السّلام مُحمّد هارون، ج١، ص ص٥٣- ٥٤.

[٧] الدّيمة: المطر الّذي ليس فيه رعد ولا برق، أقلّه ثُلث النّهار أو ثُلث اللّيل، وأكثره ما بلغ من العِدّة، والجمع دِيَم. لسان العرب: مادّة (ديم).

[٨] الوَدْق: المطر كلّه: شديده وهيّنه. وَدَقَ يَدِقُ وَدْقاً: مَطَرَ. لسان العرب: مادّة (ودق).

[٩] أبقلَتِ الأرضُ: أنبتتِ البَقْلَ. والبَقْلُ من النّبات: ما ليس بشجر دقّ ولا جلّ، وقيل: البقل كلّ نابتة أوّل ما تنبت، واحدته بقلة. لسان العرب: مادّة (بقل).

[١٠] البيت من شواهد سيبويه، والشّاهد فيه حذف التّاء من "أبقلت"؛ لضرورة الشّعر، ويُسوّغه أنّ الأرض بمعنى المكان، وأنّ تأنيثها ليس بتأنيث حقيقيّ. انظر: سيبويه، الكتاب، تحقيق ودراسة عبد السّلام مُحمّد هارون، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة- مصر، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ج٢، ص٤٦، وشرح المُحقّق النّمر، ص٤٦؛ لسان العرب: مادّة (بقل).

[١١] أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاحج، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص٤٣٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"وأمّا صاحب المعونة، فكان مثله مثل "ما" الحجازيّة بطُل عملها فكأنّها صارت التّميميّة؛ لأنّك إذا قُلت: ما زيدٌ قائماً، فـ "ما" قد عملت الرّفع والنّصب. وإذا قُلت: ما زيدٌ قائمٌ، فما لم تعمل شيئاً"[١].

" فأمّا الصّيدلانيّ فكان دُكّانه مُرتّباً على أحسن هيئة، كما نضد[٢] ذو الرُّمّة[٣] قصيدته البائيّة: «ما بالُ عينكَ منها الماءُ يَنْسكبُ»[٤].

والميميّة: «أَأَنْ ترسَّمْتَ[٥] مِنْ خَرْقاءَ منزلةً ماءُ الصّبابةِ[٦] منْ عينيْكَ مسجومُ[٧]»[٨].

---

(١) أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاحج، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص٤٤٧.

(٢) نَضَدْتُ المتاعَ أَنْضِدُهُ، نَضْداً ونَضَّدْتُهُ: جعلتُ بعضه على بعض. لسان العرب: مادّة (نضد).

(٣) غَيْلان بن عُقْبَة بن بُهَيْش بن مسعود العدويّ، أبو الحارث (٧٧- ١١٧هـ= ٦٩٦- ٧٣٥م): الشّاعر المشهور المعروف بذي الرُّمّة، في الطّبقة الثّانية من فُحول الشُّعراء الإسلاميّين، وهو أحد عُشّاق العرب المشهورين، وصاحبته ميّة بنت مُقاتل بن طَلَبة بن قيس بن عاصم بن سِنان المنقريّ، وكان ذو الرُّمّة كثير التّشبيب بها، وكان يُشبّب بخَرْقاء أيضاً، وهي من بني البكّاء بن عامر بن صَعْصعة. انظر في أخباره: الجُمحيّ، طبقات فُحول الشُّعراء، قرأه وشرحه محمود مُحمّد شاكر، السّفر الثّاني، ص ص٥٤٩- ٥٧٠؛ ابن قُتيبة، الشّعر والشُّعراء، تحقيق وشرح أحمد مُحمّد شاكر، ج١، ص ص٥١٥- ٥٢٧؛ ابن خَلّكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، حقّقه إحسان عبّاس، المُجلّد الرّابع، ص ص١- ١٧.

(٤) من مطلع القصيدة الأولى في الدّيوان، وتمّة البيت: "كأنّهُ منْ كُلى مفريّةٍ سَرِبُ"، وقيل "سَرَبٌ". انظر: ذو الرُّمّة، ديوان ذي الرُّمّة، حقّقه وقدّم له وعلّق عليه عبد القدّوس أبو صالح، ط١، مُؤسّسة الإيمان للتّوزيع والنّشر والطّباعة، بيروت- لبنان، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ج١، ص٩، وانظر القصيدة: ص ص٦- ١٣٦.

(٥) ترسَّمْتُ المنزلَ: تأمّلْتُ رَسْمَهُ وتَتَرَسَّمْتُهُ. لسان العرب: مادّة (رسم).

(٦) الصّبابة: الشّوق، وقيل: رقّته وحرارته، وقيل: رِقّة الهوى. لسان العرب: مادّة (صبب).

(٧) سَجَمَ الدّمعُ والماءُ سُجوماً وسِجاماً: سالَ وانْسَجَمَ؛ أي انْصَبَّ. لسان العرب: مادّة (سجم).

(٨) مطلع قصيدته الميميّة. انظر: ذو الرُّمّة، ديوان ذي الرُّمّة، حقّقه وقدّم له وعلّق عليه عبد القدّوس أبو صالح، ج١، ص٣٧١؛ وانظر القصيدة: ص ص٣٦٩- ٤٥٥؛ أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاحج، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص ص٤٥٠- ٤٥١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فانتقض ترتيب الدِّكّان؛ حتّى صار كأنّه كلمة "عديّ بن زيد" الّتي على الرّاء المُقيّدة[١]، أو أبيات "بَيْهَس"[٢] المعروف بـ "نعامة"، وإنّما سمّيتها أبياتاً، لأنّ الرُّواة يُوقِعون عليها هذا الاسم، ولا نظام لها في الحقيقة. والأبيات:

يـا لهـا نفسـاً يـــا لهـــا ... أنّى لهـا الطّعـمُ والسّلامـة
قـــدْ قتلَ القــومُ إخوتَهـا ... فبكُلِّ أرضٍ زُقاءُ هامـة[٣]
فلأطرقنّ[٤] قوماً وهمْ رُقود[٥] ... ولأبركنّ بــركَ النّعامـــة[٦]

---

(١) لعلّه يقصد قصيدته الّتي تبدأ بـ: "طالَ ذا الليلُ علينا فاعتكَرْ ... وكأنّي ناذرُ الصُّبحِ سَمَرْ". وهي مما قاله في السّجن. أو يقصد القصيدة الّتي هي إحدى شواهد "رسالة الغُفران"، ومطلعها:
"قدْ آنَ أنْ تصحُوَ أو تُقْصِرْ ... وَقَدْ أتى لما عَنِدْتَ عُصُرْ". انظر: عديّ بن زيد العِباديّ، ديوان عديّ بن زيد العِباديّ، حقّقه وجمعه مُحمّد جبّار المعيبد، ص ص٥٩- ٦٢، ص١٢٧؛ أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الغُفران ومعها نصّ مُحقّق من رسالة ابن القارح، تحقيق وشرح عائشة عبد الرّحمن، ص١٩٧.

(٢) كان من حديث بَيْهَس، أنّه كان رجلاً من بني غُراب بن فَزارة بن ذُبيان بن بَغيض، وكان سابع سبعة إخوة، فأغار عليهم ناسٌ من أشْجع، وبينهم حرب، وهم في إبلهم، فقتلوا ستّة، وبقي بَيْهَس. وكان يُحَسَّق، وكان أصغرهم، فلمّا أتى على ذلك ما شاء اللّه، جعل بيهس يتتبّع قتلة إخوته فيقتلهم، ويتقصّاهم، حتّى قتل منهم ناساً. وقد لُقّب بَيْهَس بنعامة لقوله: "فأبركنّ بركَ النّعامة". وقيل: لطوله. ولرُبّما لحُمقه. وقد ذهبت كثير من أقواله أمثالاً. انظر في أخباره: المُفضّل الضّبّيّ، أمثال العرب، تقديم وتعليق إحسان عبّاس، ص ص١١٠- ١١١؛ الميدانيّ، مجمع الأمثال، حقّقه وفصله وضبط غرائبه وعلّق حواشيه مُحمّد مُحيي الدّين عبد الحميد، ج١، ص ص١٥٢- ١٥٣؛ عبد القادر البغداديّ، خزانة الأدب ولُبّ لُباب لسان العرب، تحقيق وشرح عبد السّلام مُحمّد هارون، ج٧، ص ص٢٩٦- ٢٩٩.

(٣) زَقَا زَقْواً وزُقاءً وزِقِيّاً وزِقْياً وزُقْواً، وزَقَى الطّائر: صاحَ. وأزْقَيْتُ هامةَ فُلان: قتلتُه. لسان العرب: مادّة (زقى).

(٤) طَرَقَ القومَ يطرُقُهم طَرْقاً وطُروقاً: جاءهم ليلاً، فهو طارق. لسان العرب: مادّة (طرق).

(٥) قوم رُقود: رُقّد؛ أي نيام. لسان العرب: مادّة (رقد).

(٦) بَرَكَتِ النّعامةُ: جثمتْ على صدرها. لسان العرب: مادّة (برك).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قابضَ رِجْلٍ وباسطَ أُخرى والسّيفُ أقرمُهُ أُسامـــة

فترى الدّكّان وقد اختلط إهليجه[١] بالعُنّاب[٢] والصُّبار[٣]،[٤]... "وإنّك لتُشاهد هذا الرّجل من يهود، وقد أحسّ بالخُوَيْخِيّة[٥]؛ فصار وجهه مثل الفِرْسِكة[٦]، وعمد إلى الخَوْخة[٧]؛ فاستخرج منها مِشْمِشِيّات الألوان[٨]، كان يدّخرها لأُمّ خَشّاف[٩] والعَنْقَفير[١٠]، وجعل هِبْرِزِيّاً[١١] في فيه، وأزمّ[١٢] عليه إلاّ مقدار الحَذْرفوت[١٣]، فكأنّما غيّب فيه الفوقانيّة إلاّ مثل الفسيط. وبادر إلى المُكارين[١٤] يكشر[١٥] لهم عن ذلك الخَبيء. ويكون كراؤهم قد وقع بالدّراهم، فتحملهم الرّغبة، فيما ظهر لهم، على الغدر، فكُلّما أجابوه إلى ما

---

[١] الإهليج: عِقّير من الأدوية معروف، وهو مُعرّب. لسان العرب: مادّة (هلج).

[٢] العُنّاب: نوع من التّمر معروف، واحدته عُنّابة. لسان العرب: مادّة (عنب).

[٣] الصُّبار: جَمْل شجرة شديدة الحُموضة، أشدّ حُموضة من المَصل، له عَجَمٌ أحمر عريض يُجلب من الهند. وقيل: هو التّمر الهنديّ الحامض الّذي يُتداوى به. لسان العرب: مادّة (صبر).

[٤] أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاحج، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص ص٤٥١- ٤٥٢.

[٥] الخُوَيْخِيّة: الدّاهية. لسان العرب: مادّة (خوخ).

[٦] الفِرْسِك: الخوخ. لسان العرب: مادّة (فرسك).

[٧] الخَوْخة: كُوّة في البيت تُؤدّي إليه الضّوء. لسان العرب: مادّة (خوخ).

[٨] مشمشيّات الألوان: الدّنانير الذّهبيّة في لون المشمش. أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاحج، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، شرح المُحقّقة، الهامش الثّالث، ص٤٥٩.

[٩] أمّ خَشّاف: الدّاهية. لسان العرب: مادّة (خشف).

[١٠] العَنْقَفير: الدّاهية من دواهي الزّمان؛ يُقال: غُول عَنْقَفير، وعَقْقَرتها: دهاؤها ونُكرها. لسان العرب: مادّة (عقر).

[١١] الهِبْرِزِيّ: الدّينار الجديد. لسان العرب: مادّة (هبرز).

[١٢] الأَزْم: شدّة العضّ بالفم كلّه. أَزِمَ يَأْزِمُ أَزْماً وأُزوماً: قبض عليه بفيه. لسان العرب: مادّة (أزم).

[١٣] الحَذْرفوت: قُلامة الظّفر، وهو الفسيط أيضاً. لسان العرب: مادّة (حذرف).

[١٤] المكاري: الّذي يُكريك دابّته، أي يُؤجّرك إيّاها، والجمع أكْرِياء. لسان العرب: مادّة (كرا).

[١٥] كَشَرَ يَكْشِرُ كَشْراً: كَشَفَ. لسان العرب: مادّة (كشر).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يسأل، أبرز لهم شيئاً من الدّينار، حتّى إذا تمّت المُوافقة، بصق نقيشاً يتلهّب[١]"[٢] "ويدعو ما يلقاه التّافرون من ضيق الأنفُس وحرج الصّدور إلى تشاجُر الشُّركاء، واختلافهم في الجهات المقصودة، ويحملهم ذلك على الفُرقة، إمّا قبل الرّحلة من المصر[٣]، وإمّا بعد الظّعن[٤] عنه... فَرُبّما كان الرّجلان شريكيْن، ولكُلّ واحد من رأس المال ما يُمكن أن يستبضع[٥]، فلا تضرُّه الفُرقة، فيكون مثلها مثل "قناديل" و"سمادير"؛ إذا قُسمت هاتان الكلمتان، وما كان مثلها من الكلام، فإنّ الشّطريْن يُمكن بكُلّ واحد منهما نُطقُ النّاطقيْن، وإن اختلفت المعاني قبل القسمة وبعدها، فإنّك إذا نقلت الشّطر الأوّل أو الثّاني إلى غير معناه الأوّل صلح. ألا ترى أنّ "سمادير"، والمُراد بها الغِشاوة الّتي تُدرك العين، والإظلام يكون في البصر، إذا قسمتها شطريْن، فشطرها الأول سما، من قولك سما يسمو. وشطرها الثّاني دير، من قولك: دير به، يُدارُ به، فهو مدور به؟"[٦] "وَرُبّما اتّفق أن يكون الشّريكان مُختلفي الملّة، فتكون البغضاء أشدّ والشّحناء أكثر. فأمّا اليهوديّ والنّصرانيّ إذا اجتمعا بتلّ مَنّس[٧]، وأخذا في المُذاكرة بحديث الأنبياء، وكان اليهوديّ في بيت النّصرانيّ، فتلك هي الفاقرة[٨]:

---

[١] نقيش يتلهّب: دينار ذهبيّ. يعني: تحملهم الرّغبة في الدّينار الّذي أظهره اليهوديّ على الغدر بمن سبق الاتّفاق معهم على الكراء بالدّراهم، لا بالدّنانير. أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاحج، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، شرح المُحقّقة، الهامش الرّابع، ص٤٥٩.

[٢] أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاحج، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص٤٥٩.

[٣] البصْر: الحدّ في الأرض خاصّة، وجمعه أمصار. لسان العرب: مادّة (مصر).

[٤] الظّعْن: تحوُّلٌ من بلد إلى بلد، أو من مدينة إلى أُخرى. لسان العرب: مادّة (ظعن).

[٥] بَضَعَ الشّيء: شقّه. لسان العرب: مادّة (بضع).

[٦] أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاحج، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص٥٠٢.

[٧] تلّ مَنّس: حصن قُرب مَعَرّة النّعمان بالشّام. وقيل: قرية من قُرى حمص. انظر: ياقوت الحنويّ، معجم البلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجُنديّ، ج٢، ص٥٢.

[٨] الفاقِرة: الدّاهية الشّديدة؛ فكأنّها تكسر فِقَر الظّهر. لسان العرب: مادّة (فقر).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أُكاشـــرهُ[١] وأعلـــمُ أنّ كلانـــا على ما ساءَ صاحبَهُ حريصُ[٢]"[٣]

وينقل أبو العلاء على لسان الثّعلب ما كـان من أخبـــار النّاس في جلائهم، ومواقفهم ممّا يجري حولهم: "وخرجت أقفو آثار الجالية، فانتهى بي الأثـــر إلى تلّ منّس وقـد نزل بها مُعظم النّاس، فسمعت الجالية يشتورون في المساجد والكنائس، ويُديرون الرّأي، فلا تنصـــرم[٤] لهم عزيمة، ولا تبرم[٥] بأيديهم مِرّة[٦]. بل يختلفون اختلاف العرب في الوقف، فبعضهم يقف على السُكـــون، فمثله مثل من رأى أن يُقيم بحيـث هو مـــن هذه القرية، وبعض العرب يُشمّ ويـــروم عند الوقف، فذلك مثـل من يروم النُهوض إلى مظانّ[٧] الأمن، ولا يجد سبيـلاً إلى ذلك. وبعضهـم يُشدّد الحـــرف الموقوف عليـه ليُدلّ

---

(١) كاشَرَهُ مُكاشَرَةً: ضَحِكَ في وجهه، وباسَطَهُ. لسان العرب: مادّة (كشر).

(٢) البيت لعديّ بن زيد العِبـاديّ، ولم أجده في ديـــوان عديّ بن زيد العِباديّ، وإنّما وجدته بالاهتداء بإشـــارة المُحقّقة، عائشة عبد الرّحمن، في شواهد سيبويـه، والشّاهـد فيه حذف الضّمير من أن المُخفّفـــة، وابتداء ما بعدها مع نيّة إثبات الضّمير. انظر سيبويه، الكتاب، تحقيق وشرح عبد السّلام مُحمّد هارون، [د.ط]، مكتبة الخانجي، القاهرة- مصر، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ج٣، ص٧٤، والهامش الأوّل، ص٧٤.

(٣) أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاحج، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص٥٠٤.

(٤) صَرَمَهُ يَصْرِمُهُ صَرْماً وصُرْماً فانْصَرَمَ: قَطَعَهُ. لسان العرب: مادّة (صرم).

(٥) أبرَمَ الأمرَ وبَرَمَهُ: أحكَمَهُ، والحبلَ: أجادَ فتلَهُ. لسان العرب: مادّة (برم).

(٦) مِرّة الحبل: طاقته. لسان العرب: مادّة (مرر).

(٧) المَظِنّـــة: موضع الشّـــيء ومألَفـــه الّذي يُظـــنّ كونه فيـــه، وجمعها مَظانّ. لسان العرب: مادّة (ظنن).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على حركته في الإدراج[١]، فذلك مثل من يَعزم [على][٢] النُهوض، ويُمثّله[٣] بين عينيه"[٤].

ويلتفت أبو العلاء على لسان الشّاجح إلى التّاريخ، مُستعيناً به في تمثّل تلك المرحلة الحرجة من تاريخ حلب، وإضاءة ما غُمض على النّاس فهمه من أحداثها، ومُواجهة السُلطة به، مُستعيناً بالنّحو في تمثيل ذلك، فيقف غير مرّة عند سنة ٣٨٥هـ[٥]، مُشيراً إلى أنّ لنُهود ملك الرّوم إلى بلاد الشّام أوقاتاً؛ منها وقت الخريف، فإذا ما خالفها يوماً كان ذلك لضرورة، وما الضّرورة يومها إلاّ استعانة من بحلب به على مُحاصريهم: "ولزعيم الرّوم أوقات تكون مظنّة لنُهوده إلى هذه النّاحية، منها وقت الخريف إذا استقبل الشّتاء، وبعُدت البادية

---

(١) الإدراج: لفّ الشّيء في الشّيء. وجاء في كتاب سيبويه: "فأمّا المرفوع والمضموم فإنّه يُوقف عنده على أربعة أوجُه: بالإشمام، وبغير الإشمام، كما تقف عند المجزوم والسّاكن، وبأن تروم التّحريك، وبالتّضعيف. فأمّا الّذين أشمّوا؛ فأرادوا أن يفرّقوا بين ما يلزمه التّحريك في الوصل وبين ما يلزمه الإسكان على كُلّ حال. وأمّا الّذين لم يُشمّوا، فقد علموا أنّهم لا يقفون أبداً إلاّ عند حرف ساكن، فلمّا سكن في الوقف جعلوه بمنزلة ما يسكن على كُلّ حال؛ لأنّه وافقه في هذا الموضع. وأمّا الّذين راموا الحركة؛ فإنّهم دعاهم إلى ذلك الحِرص على أن يُخرجوها من حال ما لزمه إسكانٌ على كُلّ حال، وأن يُعلِموا أنّ حالها عندهم ليس كحال ما سكَنَ على كُلّ حال. وذلك أراد الّذين أشمّوا؛ إلاّ أنّ هؤلاء أشدّ توكيداً.
وأمّا الّذين ضاعفوا منهم فهم أشدّ توكيداً؛ أرادوا أن يجيئوا بحرف لا يكون الّذي بعده إلاّ مُتحرّكاً؛ لأنّه لا يلتقي ساكنان. فهؤلاء أشدّ مُبالغة وأجمع؛ لأنّك لو لم تُشمّ؛ كُنت قد أعلمت أنّها مُتحرّكة في غير الوقف. سيبويه، الكتاب، تحقيق وشرح عبد السّلام مُحمّد هارون، ط٢، مكتبة الخانجي/ القاهرة، دار الرّفاعي/ الرّياض، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م. ج٤، ص١٦٨. ولسان العرب: مادّة (درج).

(٢) في الرّسالة المُحقّقة: على. وعَزَمَ على الأمر واعتزَمَ عليه: أرادَ فعلَهُ. لسان العرب: مادّة (عزم).

(٣) يُمثّله: يُصوّره. لسان العرب: مادّة (مثل).

(٤) أبو العلاء المعرّي، رسالة الصّاهل والشّاحج، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص٥٠٦.

(٥) انظر: المصدر نفسه، ص ص٤٨٧- ٤٨٨، ص٥٤٤، ٥٥٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عن هذه الأرض، فمثله مثل التّرخيم يُوجد في النّداء دون غيره، فإن وُجد في غير النّداء، فإنّ تلك ضرورة[١]... وقد خرج زعيم الرّوم سنة خمس وثمانين، في إبّان الرّبيع، وإنّما حملته على ذلك ضرورة دعت إليه؛ لأنّ من كان بحلب حرسها اللّه- استدعاه لينصره على مُحاصريه"[٢].

وتُضيف كُتب التّاريخ أنّ سعيد الدّولة[٣] (...- ٣٩٢هـ= ...- ١٠٠٢م) ومولاه لُؤلُؤاً[٤] (...-٣٩٩ أو ٤٠٠هـ= ...= ١٠٠٩ أو ١٠١٠م)، كانا المُستعينيْن يومها بالرّوم،

---

[١] جاء في كتاب سيبويه: "التّرخيم: حذفُ أواخر الأسماء المُفردة تخفيفاً... واعلم أنّ التّرخيم لا يكون إلاّ في النّداء؛ إلاّ أن يُضطرّ شاعر، وإنّما كان ذلك في النّداء؛ لكثرته في كلامهم، فحذفوا ذلك كما حذفوا التّنوين، وكما حذفوا الياء من قومي [ونحوه] في النّداء"، سيبويه، الكتاب، تحقيق وشرح عبد السّلام مُحمّد هارون، ج٢، ص٢٣٩.

[٢] أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاحج، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص ص٤٨٧- ٤٨٨.

[٣] سعيد بن شريف بن عليّ الحمدانيّ، أبو الفضائل: ولي حلب بعد وفاة أبيه سعد الدّولة، ولُقّب سعيد الدّولة. وقد استصغره العزيز صاحب مصر، وطمع في حلب إبّان ولايته، فسيّر إليه منجوتكين، أمير جُيوشه، ووالياً على دمشق، وأمره بفتح حلب، فنزل على حلب، وفتح حمص، وحماة، وحاصر حلب، وضيّق على أهلها الحصار ثلاثة وثلاثين يوماً، فاستظهر سعيد الدّولة عليه والي أنطاكية البرجيّ، فهزمه منجوتكين، وعاد إلى مُحاصرة حلب، فاستنجد سعيد الدّولة بالرّوم.

وقد مات سعيد الدّولة وزوجه - ابنة لُؤلُؤ - بعد أن سقتها إحدى الجواري سُمّاً، وقيل: إنّ لُؤلُؤاً دسّ عليهما ذلك. انظر في أخباره: ابن العديم، زُبدة الحَلَب من تاريخ حلب، وضع حواشيه خليل المنصور، ص ص١٠٥-١٠٩.

[٤] لُؤلُؤ الكبير السّيفيّ، أبو مُحمّد: كان يُعرف بلُؤلُؤ الحجراجيّ؛ لأنّه كان مولى حجراج، أحد غلمان سيف الدّولة، فأخذه منه، وسمّاه لُؤلُؤاً الكبير، وكان عاقلاً، محبّاً للعدل، شهماً، ظهرت منه في بعض غزوات سيف الدّولة شهامة، فتقدّم على جماعة رفقته من السّيفيّة والسّعديّة. وقد غدا لمّا تولّى سعيد الدّولة أمر حلب مُستبِدّاً بأموره، وصاحب جيشه، فاستولى على الأمور، وزوّج ابنته سعيد الدّولة، وقيل: إنّه هو من دسّ السّمّ لهما، فتفرّد بالمُلك بعد وفاة سعيد الدّولة. انظر في أخباره: ابن العديم، زُبدة الحَلَب من تاريخ حلب، وضع حواشيه خليل المنصور، ص ص١٠٥- ١١٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأنّ الاستعانة كانت لصدّ خطر الفاطميّين، وفكّ حصارهم الّذي أداره منجوتكين مولى العزيز صاحب مصر[١]، وفي هذه الإشارة ما يُومىء إلى خُروج عزيز الدّولة على أولياء نعمته الفاطميّين، فما هو إلاّ مولى منجوتكين الّذي استعان عليه سعيد الدّولة ومولاه لُؤلؤ بالرّوم، وفيها ما يُوحي بسعي الفاطميّين إلى مُحاربته، واستعانته عليهم بالرّوم، وفيها إيحاء إلى ما تهدّد ويتهدّد بلاد الشّام جرّاء ذلك من خطر حملات الرّوم، حصد النّاس وما زالوا يحصدون ثماره خراباً وقلقاً.

وتخلف هذه الإشارة إشارة تاريخيّة أُخرى ترد غير مرّة[٢]، استمدّها أبو العلاء من ماضي حلب القريب سنة ٤٠٨هـ، عندما طلب عزيز الدّولة من أسد الدّولة[٣] (...- ٤٢٠هـ= ...- ١٠٢٩م) حَمْل أُمّه الرّباب إلى حلب. "وقد حمل السّيّد عزيز الدّولة - أعزّ اللّه نصره - رغبته في إيناس الرّعيّة، ورأفته بمن ولي من العامّة، أن كلّف أسد الدّولة - أدام اللّه تمكينه - أن يحمل إلى حلب - حرسها اللّه - والدته

---

[١] انظر: ابن العديم، زُبدة الحَلَب من تاريخ حلب، وضع حواشيه خليل المنصور، ص ص١٠٧- ١٠٨.

[٢] انظر: أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاحج، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص٥٢٠، ٥٢٣، ٦٩٧.

[٣] صالح بن مرداس بن إدريس بن نصر بن حُميد بن مُدرك بن شدّاد، ينتهي إلى معدّ بن عدنان، أسد الدّولة، أبو عليّ الكلابيّ: كان من عرب البادية، ذا بأس، وعزيمة، وأهل، وعشيرة، وشوكة، ، قصد حلب وبها مُرتضى الدّولة ابن الحجراجيّ، غُلام أبي الفضائل بن نصر بن يوسف بن سيف الدّولة، نيابة عن الظّاهر بن الحاكم العُبيديّ، فاستولى عليها، ونزعها منه؛ وملكها سنة سبع عشرة وأربعمائة، ورتّب أُمورها، فجهّز الظّاهر إليه أمير الجُيوش أنوشتكين الدّزبَريّ في عسكر كثيف، وكان بدمشق نائباً عن الظّاهر، فخرج لمتوجّهاً إليه. وجرت بينهما حرب انجلت عن قتل أسد الدّولة صالح، وهو أوّل مُلوك بني مرداس. انظر في أخباره: صلاح الدّين الصّفديّ، الوافي بالوفيات، ج١١، ص١٨٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرّباب"[١]. وإذ يشترك أبو العلاء وابن العديم في إيراد ما تهيّأ للعامّة، أو هُيّيء لهم، من أنّ ذلك كان "إيثاراً لسُكون الأنفُس، وإعلاماً للسّواد الأعظم بالتئام الكلمة، والتّضافر على صدّ الأعداء/ الرّوم"[٢]، يُلحق أبو العلاء هذا السّبب الظّاهريّ بتأويله، قبل أن يُضيّعه في زحمة ما يستعرضه من اختلافات بين دعة عيش أهل المدينة وقسوة عيش أهل البادية؛ إذ يقول: "ولا امتراء[٣] في أنّ أسد الدّولة – أدام اللّه تمكينه – أشفق على والدته من أبي عُبادة (البُحتريّ)[٤] على كلمته السّينيّة:

«صُنتُ نفسي عمّا يُدنّس[٥] نفسي وترفّعتُ عن[٦] جدا[٧] كُلّ جِبْس[٨]»[٩].

---

[١] أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاحج، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص٥٢٠.

[٢] المصدر نفسه، ص٥٢٠. وانظر: ابن العديم، زُبدة الحلب من تاريخ حلب، وضع حواشيه خليل المنصور، ص١٢٤.

[٣] لا امتراء: لا شكّ. لسان العرب: مادّة (مرا).

[٤] الوليد بن عُبيد بن يحيى الطّائيّ، أبو عُبادة البُحتريّ (٢٠٦- ٢٨٤هـ= ٨٢١- ٨٩٨م): الشّاعر المشهور، ولد بمنبج، وقيل: بزَرْدَفنة، وهي قرية من قُراها، ونشأ وتخرّج فيها، ثُمّ خرج إلى العراق، ومدح جماعة من الخُلفاء، أوّلهم المُتوكّل على اللّه، وخلقاً كثيراً من الأكابر والرّؤساء، وأقام ببغداد دهراً طويلاً، ثُمّ عاد إلى الشّام، وله أشعار كثيرة ذكر فيها حلب وضواحيها، وكان يتغزّل بها. انظر في أخباره: ابن خَلّكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، حقّقه إحسان عبّاس، المُجلّد السّادس، ص ص٢١- ٣١.

[٥] دَنَّس الرّجلُ عِرْضَهُ: فَعَلَ ما يُشينُهُ. لسان العرب: مادّة (دنس).

[٦] ترفّعتُ عنه: عَلَوْتُ وارتفعْتُ عنه. لسان العرب: مادّة (رفع).

[٧] الجَدا والجَدوى: العطيّة. لسان العرب: مادّة (جدا).

[٨] الجِبْس: الجبان الذّدْم. وقيل: الضّعيف اللئيم. وقيل: الثّقيل، الّذي لا يُجيب إلى خير، والجمع أجْبَاس وجُبوس. لسان العرب: مادّة (جبس).

[٩] مطلع قصيدة البُحتريّ في وصف إيوان كسرى في المدائن، والتّعزّي به. البُحتريّ، ديوان البُحتريّ، عُني بتحقيقه وشرحه والتّعليق عليه حسن كامل الصّيرفيّ، ط١، دار المعارف، القاهرة- مصر، ١٩٦٣م. المُجلّد الثّاني، ص ص١١٥٢- ١١٦٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فإنّ أبا عُبادة صان وتديْها[١] عن التّشعيث[٢]، فما ظنُّك بعربيّ يسكن العماد، يُشفق على بيت عربيّة من تشعيث[٣] الوتد؟"[٤].

إنّ أبا العلاء يُومىء إلى أنّ وراء طلب عزيز الدّولة ذاك خوفه على والدته من خطر غزو قادم مُتوقّع، ولعلّه أراد أن يُوحي لنا أنّ عزيز الدّولة هو من أراد لعلاقته مع الفاطميّين أن تصل إلى ذلك الحدّ بالتّواطؤ مع الرّوم، لولا أنّ مقتل الحاكم بأمر اللّه أجبره على إعادة النّظر، ورُبّما إرجاء هذه الخُطوة، ساخراً من ادّعاء عزيز الدّولة حرصه على صدّ الرّوم، بينما هو يُخطّط لتسليم حلب لهم، مُشيراً إلى الدّور الّذي قام به أسد الدّولة، صالح بن مرداس، الّذي آلت إليه حلب سنة ٤١٧هـ.

ولا يني أبو العلاء يُشكّك في مصداقيّة مواقف عزيز الدّولة، ويفضح الفرق بين الظّاهر والباطن فيما يجري حوله من أحداث؛ فإذ يُورد ما يتناقله الرّوم من مزاعم

---

(١) الوتد: مقطع عروضيّ يتألّف من ثلاثة أحرف، وله نوعان: وتد مجموع، ووتد مفروق. والوتد المجموع: حرفان مُتحرّكان، بعدهما ساكن: نحو "إلى" و "نَعَم". والوتد المفروق: حرفان مُتحرّكان، بينهما ساكن، نحو "أينَ" و "حَيثُ". انظر: أبو العلاء المعرّيّ، الفُصول والغايات، تحقيق محمود حسن زناتي، ص١٧٦؛ عبد العزيز عتيق، علم العروض والقافية، ط١، دار النّهضة العربيّة للطّباعة والنّشر، بيروت- لبنان، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص١٨.

(٢) التّشعيث: نوع من العلل الّتي تطرأ على الأوتاد. وقد أجراها العَروضيّون – كونها غير لازمة – مجرى الزّحاف. والتّشعيث: هو حذف أوّل الوتد المجموع، وذلك يكون في:
أ- "فاعلاتن"، فتصير بالتّشعيث "فالاتن"، وتُنقل إلى "مفعولن"، فيما يخُصّ الخَبْتَ والخَفيف.
ب- "فاعلن"، فتصير بالتّشعيث "فالن"، وتُنقل إلى "فعْلن" بسكون العين، فيما يخُصّ المُتدارك.
انظر: عبد العزيز عتيق، علم العروض والقافية، ص١٨٥.

(٣) التّشعيث: التّفريق والتّمييز، والأشعث: الوَتِد صفة غالبة الاسم، وسُمّي به لِشَعَث رأسه. لسان العرب: مادّة (شعث).

(٤) أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاحج، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص ص٥٢٠- ٥٢١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واختلاقات: "وزعم المُرْجِفون[١] من أهل ملّة الطّاغية، أنّه قد أمر قوماً من أهل عمله، بحفر أماكن في بلده، ظنّ المُرْجِفون أنّ حفرها يكون قُوّة لزيادة الماء في السّعيد "قُويق"[٢] – جعله اللّه الغمر السّائح – وإنّما سمّيته السّعيد؛ لأنّ النّهر الصّغير يُقال له السّعيد"[٣]، يخرج علينا بأنّ المسلمين قادرون على مُجاراة الرّوم في حملة الأكاذيب تلك، بل إنّهم قادرون على برّهم فيها، فيأتي من لدنه بمثالين اثنين – سبق أن أشرنا إلى أحدهما[٤] – يُدلّلان على ذلك، يُسندهما إلى عزيز الدّولة، ويفترض أنّه سيطلب فيهما مُؤازرة الفاطميّين، وكأنّنا به يُومِيء إلى كذب عزيز الدّولة، الّذي يُضارع كذب الرّوم، لا بل يتفوّق عليه، وكأنّنا به قد جعل الكذب والزّعم لا في المثالين اللذين ساقهما مُدلّلاً، بل فيما يُمكن أن يلقاه هذا الأخير من مُؤازرة الفاطميّين؛ أي في حقيقة العلاقة بينهما. "أو كُنّا نقول لهؤلاء السُّفهاء: إنّ السّيّد عزيز الدّولة -أعزّ اللّه نصره- يُراسل أمير المُؤمنين في خَرْق[٥] بحر القُلْزم[٦] إلى بحر الرّوم؛ ليكثُر الماء في مدينتهم فيُغرقها"[٧].

---

(١) المُرْجِفون في المدينة: هم الّذين يُولّدون الأخبار الكاذبة الّتي يكون معها اضطراب في النّاس. وأرْجَفَ القومُ: خاضوا في الأخبار السّيّئة وذِكْر الفِتن. لسان العرب: مادّة (رجف).

(٢) قُويق: نهر مدينة حلب، وأحد أنهار سورية الموسميّة، ينبع قُرب عينتاب (تُركيا)، ويخترق حلب، ماؤه أعذب ماء، وأصحّه، وهو يجفّ في فصل الصّيف، فلا تبقى منه إلاّ نزور قليلة. انظر: ياقوت الحَمَويّ، مُعجم البُلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجُنديّ، ج٤، ص٤٧٣؛ مجموعة من المؤلّفين، المُنجد في اللّغة والأعلام، ص٥٥٩.

(٣) أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاحج، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص٥٥.

(٤) انظر: هذه الرّسالة، ص ص١٣٩- ١٤٠.

(٥) الخَرْق: الفُرجة والشّقّ، وجمعه خُروق. لسان العرب: مادّة (خرق).

(٦) القُلْزم: اسم أطلقه العرب سابقاً على البحر الأحمر، نسبة إلى مدينة "قُليزمة" بالقُرب من السّويس. وقيل: سُمّي بحر القُلزم قُلزماً؛ لانتهامه من ركبه، وهو المكان الّذي غرق فيه فرعون وآله. انظر: ياقوت الحَمَويّ. مُعجم البُلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجُنديّ، ج١، ص٤٠٩، ج٤، ص٤٣٩؛ مجموعة من المؤلّفين. المُنجد في اللّغة والأعلام، ص٥٥٥.

(٧) أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاحج، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص٥٥٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويورد أبو العلاء على لسان الثّعلب أخبار الرّوم، بما يُشبه ما تتناقله وكالات الأنباء في عهدنا هذا من أخبار المعارك وأطرافها المُتحاربة، ويُوظّفها في النّيل من عزيز الدّولة، والطّعن بأخلاقه ونسبه. "وحدّث بعض الواردين من حضرة هذا الرّجل بأشياء يُكنى[١] عنها، ولكنّا نجعل البدل من ذكرها، إنشاد أبيات لـ "امرىء القيس"[٢] وأبيات "للفرزدق"[٣]؛ لأنّهما كانا يتظاهران بطلب المُنكرات"[٤] "وحدّث رجل يُعرف بـ "مشرق بن عبد اللّه"، وأصله روميّ، وهو من أهل القُرآن، ومقامه الآن بحلب - حرسها اللّه - ... أنّ هذا الرّجل له

---

[١] كَنى عن الأمر بغيره يَكني كِناية: إذا تكلّم بغيره ممّا يُستدلّ عليه، والكناية أن تتكلّم بشيء وتُريد غيره. لسان العرب: مادّة (كني).

[٢] امرؤ القيس بن حُجر بن عمرو الكنديّ من بني آكل المُرار (نحو ١٣٠- ٨٠ق.هـ= ٤٩٧- ٥٤٥م): من أهل نجد، في الطّبقة الأولى من فُحول الشُّعراء الجاهليّين. عُرف بأنّه أحسن الشُّعراء تشبيهاً، وقد سبق إلى أشياء ابتدعها، واستحسنها العرب، واتّبعه عليها الشُّعراء. قال ابن قُتيبة: يُعاب على امرىء القيس تصريحه بالزّنا، والتّبيب إلى حُرَم النّاس. انظر في أخباره: الجُمحيّ، طبقات فُحول الشُّعراء، قرأه وشرحه محمود مُحمّد شاكر، السّفر الأوّل، ص ص٥١- ٥٢، ص٥٥، ص ص٨١- ٨٩، ٩٤- ٩٦؛ ابن قُتيبة، الشّعر والشُّعراء، تحقيق وشرح أحمد مُحمّد شاكر، ج١، ص ص١٠٧- ١٣٦.

[٣] همّام بن غالب بن صعصعة التّميميّ الدّارميّ، أبو فراس، الشّهير بالفرزدق (...- ١١٠هـ= ...- ٧٢٨م). الشّاعر المشهور، صاحب جرير. في الطّبقة الأولى من فُحول الشُّعراء الإسلاميّين، ومُقدَّم على أهل طبقته في جزالة الشّعر، وفخامته، وشدّة أسره. وصفه ابن قُتيبة بأنّه كان فاسقاً في بعض شعره. انظر في أخباره: الجُمحيّ، طبقات فُحول الشُّعراء، قرأه وشرحه محمود مُحمّد شاكر، السّفر الأوّل، ص ص٢٩٨- ٣٠٤؛ ابن قُتيبة، الشّعر والشُّعراء، تحقيق وشرح أحمد مُحمّد شاكر، ج١، ص٤٥٨، ص ص٤٦٢- ٤٧٢؛ أبو الفرج الأصبهانيّ، الأغاني، أشرفت على ضبطه وتصحيحه لجنة من الأدباء والمُدرّسين، النّجلّد التّاسع عشر، ص ص٣- ٩٥.

[٤] أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاحج، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص٥٦٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولد من امرأة ليست تحلّ لمثله على رأي أصحاب الشّرائع، وأنّه قد جعل له رُتبة، ورأيه إن مات أخوه قبله، أن يُقرّ بنسبه، ويجعل المُلك إليه، فمثله في هذا مثل مُعاوية[١] وزياد بن أبيه[٢]"[٣]... "ولذلك يجب أن يُحكم على هذا الولد بأنّه من العامّة لا من المُلوك، لأنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم قال: «الولد للفِراش، وللعاهر الحَجَرُ»[٤]"[٥]..."وللأخ

---

[١] مُعاوية بن أبي سُفيان، صخر بن حرب بن أُميّة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قُصيّ بن كلاب، أبو عبد الرّحمن (٢٠ق.هـ- ٦٠هـ= ٦٠٣- ٦٨٠م): مُؤسّس الدّولة الأُمويّة في الشّام، كان أحد الكُتّاب لرسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم، وروى عنه، وقد خرج عن الحسن، رضي اللّه عنه، فنزل الحسن له عن الخلافة، وكان مُعاوية داهية من دُهاة العرب. انظر في أخباره: ابن الأثير، الكامل في التّاريخ، تحقيق الشّيخ خليل مأمون شيحا، ج٣، ص ص ٤٦١- ٤٦٨؛ السُّويديّ، سبائك الذّهب في معرفة قبائل العرب، ص٣٥٩.

[٢] زياد بن أبيه الأمير (١- ٥٣هـ= ٦٢٢- ٦٧٣م): اسم أبيه عُبيد، وادّعاه مُعاوية أنّه أخوه، والتحق به، واستَشْهَدَ بجماعة، فشهدوا على إقرار أبي سُفيان بذلك، فعُرف بزياد بن أبي سُفيان، وكانت أُمّه سُميّة جارية الحارث بن كلدة الثّقفيّ، فزوّجها الحارث غُلاماً له روميّاً اسمه عُبيد، وجاء أبو سُفيان إلى الطّائف في الجاهليّة، فوقع على سُميّة، فولدت زياداً على فِراش عُبيد، وأقرّ أبو سُفيان أنّه من نُطفته. ويُقال له: زياد بن أبيه؛ لما وقع في أبيه من الشّكّ، ويُقال له أيضاً: زياد بن سُميّة، ويُكنّى أبا المُغيرة. استكتبه أبو موسى الأشعريّ في إمرته على البصرة، وكتب لعبد اللّه بن عامر، ولابن عبّاس، وللمُغيرة بن شُعبة، وولاّه مُعاوية المصرين، وهو أوّل من وليهما جميعاً. وقدم دمشق، وروى عنه ابن سيرين، والشّعبيّ، وأبو عُثمان النّهديّ. وكان من شيعة عليّ بن أبي طالب، وكان عامله على فارس، ثُمّ إنّه بعد موت عليّ صالح مُعاوية، وادّعاه، فصار من شيعته، واشتدّ على شيعة عليّ، وكان قتّالاً، سفّاكاً للدّماء من جنس أبيه والحجّاج، ولكنّه كان خطيباً، فصيحاً، معدوداً في دُهاة العرب. انظر في أخباره: صلاح الدّين الصّفديّ، الوافي بالوفيات، ج١٠، ص ص١٥٥- ١٥٧.

[٣] أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاحج، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص٥٧٢.

[٤] الحَجَرُ: الخيبة والحِرمان. لسان العرب: مادّة (حجر).

[٥] انظر: الإمام البُخاريّ، صحيح البُخاريّ، ضبط النّصّ محمود مُحمّد محمود حسن نصّار، كتاب الفرائض، ص١٢٢٦؛ الإمام مُسلم، صحيح مُسلم بشرح النّوويّ، راجعته وضبطته وقابلته مجموعة من ضبّة العلماء بإشراف حسن عبّاس قُطب، ج١٠، كتاب الرّضاع، ص ص٣٩- ٤٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأصغر من الأخوين أولاد إناث، فمثلهنّ مثل الضُّروب الثّلاثة الأخيرة من "البسيط"، فيهنّ انكسار وضعف وركاكة"[١]... "فقد يجوز أن تُحسَّن عُقول الرّوم لها... إذا فُقد هذان الأخوان، أن تُملّك بعض بنات الأصغر، فيكون مثلها مثل ما استقام من هذا الوزن في السّمْع، وهي مع ذلك ضعيفة، ركيكة. والرّوم رُبّما ملّكت النّساء، وبعض النّاس يقول: الزّبّاء[٢] الرّوميّة – يعني صاحبة جَذيمة[٣] – ينسبها إلى الرّوم. وتمليك امرأة صحيحة النّسب في بيت المُلك، أحسنُ من تمليك رجل لم يثبُت نسبه"[٤].

وينقل أبو العلاء على لسان الشّاجِ ما يتصوّره من أحوال الجالين في عودتهم إلى ديارهم، وما كان من أمرهم في جفلتهم وجلائهم عنها: "وأمّا أرضي فعادت جاليتها من

---

(١) أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاجِ، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص٥٧٨.

(٢) الزّبّاء بنت عمرو بن الظّرب بن حسّان بن أُذينة بن السّميدع (...- ٣٥٨ق.هـ= ... ٢٨٥م): اسمها نائلة، وقد ملكت بعد أن قُتل أبوها، عمرو بن الظّرب بن حسّان بن أُذينة العمليقيّ، ملك العرب بأرض الجزيرة ومشارف الشّام، على يد جذيمة الأبرش، ملك العراق، فلمّا استجمع لها أمرها، واستحكم مُلكها، كادت لجذيمة، وقتلته، فسعى ابن أُخت جذيمة، عمرو بن عديّ، لقتلها، واحتال حتّى دخل قصرها، فمصّت سمّاً كان في خاتمها، وقالت: "بيدي لا بيد عمرو"، فذهبت مثلاً، وتلقّاها عمرو بالسّيف، فقتلها، وأصاب ما أصاب من المدينة، ثمّ عاد إلى العراق، وملك مكان خاله جذيمة. انظر: ابن الأثير، الكامل في التّاريخ، تحقيق الشّيخ خليل مأمون شيحا، ج١، ص ص٢٩٤- ٢٩٩.

(٣) جَذيمة الأبرش (... نحو ٣٦٦ ق.هـ = ...- نحو ٢٦٨م): من أفضل مُلوك العرب رأياً، وأبعدهم مغاراً، وأشدّهم نكاية. أوّل من استُجمع له المُلك بأرض العراق، وضمّ إليه العرب، وغزا بالجُيوش، وكان به برص، فكنّت العرب عنه؛ فقيل: الوضّاح، والأبرش، إعظاماً له. أقدم على قتل ملك العرب بأرض الجزيرة ومشارف الشّام، عمرو بن الظّرب بن حسّان بن أُذينة العمليقيّ، فكادت له ابنته الزّبّاء، وثأرت لأبيها. انظر: ابن الأثير، الكامل في التّاريخ، تحقيق الشّيخ خليل مأمون شيحا، ج١، ص ص٢٩٤- ٢٩٩.

(٤) أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاجِ، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص ص٥٧٩- ٥٨٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كُلّ الأقطار، فرجع الجالــون من الشّرق، وكأنّهم أنضاء[١] سفر، أو رذايا[٢] ركب، فزعموا أنّهم كانوا في العَلاة[٣]، قد ضاقت بهم المنازل، فكانوا بالنّهار ينتقلون في الظّلال والأفياء، كأنّهم سِخال[٤] الرَّبَرب[٥] حمي عليها القيظ[٦]، وكانوا، فيما يذكرون، يمتحون[٧] رحالهم[٨] إلى أعلى البِرجة[٩]، كما تُمتح دلاءٌ بالحوْءَب[١٠]، وهُنّ حوءبات[١١]، وحَرِج[١٢] بالجالية محلّ القوم

---

[١] النّضوّ: المهزول، وجمعه أنضاء. لسان العرب: مادّة (نضا).

[٢] الرَّذِيّ: الضّعيف من كُلّ شيء، وجمعه رذايا. لسان العرب: مادّة (رذي).

[٣] العَلاة: كــورة كبــيرة مــن عمـل معــرّة النُّعمان، من جهة البَرّ، تشتمل على قُرىً كثيرة، ويطؤها القاصد من حلب إلى حماة. انظر: ياقوت الحَمَــويّ، مُعجم البُلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجُنديّ، ج٤، ص١٦٣.

[٤] السَّخلَة: ولد الشّاة من المَعز والضّأن، ذكراً كان أم أُنثى، وجمعها سِخال. لسان العرب: مادّة (سخل).

[٥] الرَّبرب: القطيع من بقر الوحش. وقيل: القطيع من الظّباء، لا واحد له. لسان العرب: مادّة (ربب).

[٦] القَيْظ: صميم الصّيف، وهو حاقُّ الصّيف، وهو من طُلوع النّجم الثّريّا إلى طُلوع سُهيل، والجمع أقياظ وقُيوظ. لسان العرب: مادّة (قيظ).

[٧] المَتْحُ: جَذْبُك رِشاء الدّلو تَمُدّ بيد وتأخذ بيد على رأس البئر؛ مَتَحَ الدّلوَ يَمتَحُها مَتْحاً، ومَتَحَ بها. لسان العرب: مادّة (متح).

[٨] الرّحل: مسكن الرّجل وما يصحبه من الأثاث، وجمعه رِحال. لسان العرب: مادّة (رحل).

[٩] البِرجة: جمع بُرج. أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاحج، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، شرح المُحقّقة، الهامش الثّالث، ص٦١٠.

[١٠] الحوءب: واد في وهدة مــن الأرض واســع. والحوءب: منزل بــين البصرة ومكّة، وهو الّذي نزلته عائشة، رضي اللّه عنها، لمّا جاءت إلى البصرة في وقعة الجمل. والحــوءب: المنهل. لسان العرب: مادّة (حأب).

[١١] دلو حوْءب وحوءبة: ضخمة. لسان العرب: مادّة (حأب).

[١٢] حَرِج: ضاق. لسان العرب: مادّة (حرج).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القاطنين، فرأيت مضطجع[١] الإنسان في غير هذه النّاءرة[٢]، يضطجع فيه الثّلاثة أو الاثنان"[٣].

"وأمّا جالية سُرّيَة[٤]، فلقوا من العيش البُرَحين[٥]، وذكرت نساؤهم بُقول الأمصار، حيث يُزدرع[٦] قَثّد[٧] و[مَغْد][٨]، ولا يُطلب لعليل دُبّاء[٩]... أبعدوا النّقرة[١٠]، وأطالوا السّفرة، وصحبوا الوحش المُتأبّدة[١١]، ومرّوا بمنازل أُناس خاوية"[١٢].

"وقد آب الّذين عادتهم أن يُضمّنوا مُسقّف الجامع، فوجدوا المواضع الّتي كانت تُضمّن، وهي مُفوّهة بلا أبواب"[١٣] "وأمر الوالي – أدام اللّه عزّه – من ينظر في أمر الجامع بإقامة الأبواب، وأراد النّاظر أن يُجريَ الضّمان في هذه السّنة على حاله فيما سلف،

---

[١] اضطجع: نام. وقيل: استلقى ووضع جنبه بالأرض. والمضطجع: اسم مكان. لسان العرب: مادّة (ضجع).

[٢] النّاءرة: الهائجة. لسان العرب: مادّة (نأر).

[٣] أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاحج، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص٦١٠.

[٤] هكذا ضبطها أبو العلاء. وهي في "مُعجم البُلدان" سُرّيّة: قرية من أغوار الشّام. ياقوت الحَمَويّ، مُعجم البُلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجُنديّ، ج٣، ص٢٤٨.

[٥] البُرَحين: والبِرَحين والبَرَحين: الشّدائد والدّواهي. لسان العرب: مادّة (برح).

[٦] ازْدَرَعَ القومُ: اتّخذوا زرعاً لأنفسهم خُصوصاً، أو احترثوا. لسان العرب: مادّة (زرع).

[٧] القَثّد: الخِيار، وهو ضرب من القِثّاء، واحدته قَثّدة. وقيل: هو نبت يُشبه القِثّاء. لسان العرب: مادّة (قثد).

[٨] المَغْد والمَغْد: الباذنجان. وقيل: هو اللُّفّاح البَرّيّ. لسان العرب: مادّة (مغد). وقد أوردتها المُحقّقة في المتن: (قغد).

[٩] الدُّبّاء: القَرع، واحدته دُبّاءة. لسان العرب: مادّة (دبي).

[١٠] نَفَرَ يَنْفِرُ نُفوراً ونِفاراً: فرّ وذهب. لسان العرب: مادّة (نفر).

[١١] المُتأبّدة: المتوحّشة. لسان العرب: مادّة (أبد).

[١٢] أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاحج، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص ص٦١٥- ٦١٦.

[١٣] المصدر نفسه، ص٦٢٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فألفى ذلك مُتعذّراً، وليس ينبغي أن تجريَ الأشياء على أُصولها في كُلّ الأوقات"[١]... "وعمد النّاس إلى المواضع الّتي خبؤوا فيها رحالهم، فوجدوا بعضها قد اختلط ببعض؛ لأنّهم وضعوها في حال الدّهش[٢] والذُّهول[٣]"[٤].

ويظلّ خطر الرّوم قائماً على الرّغم من اقتراب الرّسالة من نهايتها، وعودة الجالين إلى ديارهم، ممّا يُدلّل على استمرار مُفاوضات عزيز الدّولة مع الرّوم، فيما أبو العلاء يُجنّد عبقريّته اللُغويّة، ومعرفته واجتهاداته وآراءه النّحويّة والعروضيّة، في مُواجهة هذا الخطر، وفي مُواجهة عزيز الدّولة نفسه، والإرهاص بهزيمة مساعيه، وتوقُّع الإخفاق للمُؤامرات الّتي يحوكها سرّاً والرّوم؛ فيلجأ على لسان الشّاحج والثّعلب إلى الدُّعاء على الرّوم باستخدام مُصطلحات النّحو والعروض، وما يطرأ على تفاعيل الشّعر من علل وآفات، والدُّعاء لحلب بالسّلامة من كُلّ أذىً، والإرهاص بهزيمة ملك الرّوم، بحمل أسماء أصحابه، والمناطق الّتي سيشقّ طريقه منها إلى حلب، وأسماء ثمار الشّام، ورياحينها، على الفأل والطّيَرة، ويتفنّن في ذلك: "ولو نزل جيش العدوّ - خذله اللّه - بظاهر حلب - حرسها اللّه - لصادفته القافية[٥] على الرّويّ[٦]،

---

[١] أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاحج، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص٦٢٩.

[٢] الدَّهَش: ذهاب العقل من الذُّهل والوله، وقيل: من الفزع ونحوه. لسان العرب: مادّة (دهش).

[٣] الذَّهل والذُّهول: تركُك الشّيء، تناساه عن عمد أو يشغلك عنه شُغل. لسان العرب: مادّة (ذهل).

[٤] أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاحج، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص٦٣٠.

[٥] القافية-كما يُظنّ أنّ أبا العلاء يقصد – بتعريف الخليل: من آخر البيت إلى أوّل ساكن يليه مع المتحرّك الّذي قبل السّاكن. وهي بتعريف الأخفش: آخر كلمة في البيت أجمع. وهي المقاطع الصّوتيّة الّتي تكون في آخر أبيات القصيدة؛ أي المقاطع الّتي يلزم تكرار نوعها في كُلّ بيت. انظر: الخطيب التّبريزيّ، كتاب الكافي في العروض والقوافي، تحقيق الحسّاني حسن عبد اللّه، ص١٤٩؛ عبد العزيز عتيق، علم العروض والقافية، ص١٣٤.

[٦] الرّويّ: -كما يُظنّ أنّ أبا العلاء يقصد - آخر حرف صحيح في البيت، وعليه تُبنى القصيدة، وإليه تُنسب؛ فيُقال: قصيدة ميميّة، أو نونيّة، أو عينيّة، إذا كان الرّويّ فيها ميماً، أو نوناً، أو عيناً. انظر: الخطيب التّبريزيّ،=

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

... وهذه الألفاظ الّتي تقدّمت مُلغزة عن حُروف القوافي وحركتها[١]، وعُيوب الشّعر[٢]: فأردت بالقافية جماعة يُبرزهم السُّلطان – أعزّ اللّه نصره – فيَقِفون العدوّ؛ أي يضربونهم على قِفِيِّهم. من قولك: قَفَوْتُهُ، إذا ضربتُ قفاه. فالواحد قافٍ، والجماعة قافية. كما تقول: رجل سائر، ورجال سائرة. وألغزتها عن قافية البيت"[٣] "ولو نزل خميسهم[٤]، بحيث يظنّ المُرجفون، وهو وافر كامل، لرأيت الطّويل العاتر[٥]، مديداً فيهم... وهذه الألفاظ ألغزتها عن أجناس الشّعر الّتي رتّبها الخليل: فأردت بالطّويل الرّمح، وبالمديد الرّمح إذا مُدّ إليهم، وهو فعيلٌ من مددتُ في معنى مفعول"[٦] "إنّ هذا الطّاغية إن أخذ طريق "مَرْعَش"[٧]، فقسّمناها شطرين، وحملناها... على قول بعض النّاس في عطر "مَنْشَم"[٨]، أنّه مَنْ شَمَّ، فإنّ شطرها الأوّل من قولك: مرّ فُلان وذهب؛ أي مات وهلك.

= كتاب الكافي في العروض والقوافي، تحقيق الحسّاني حسن عبد اللّه، ص١٤٩؛ عبد العزيز عتيق، علم العروض والقافية، ص١٣٦.

[١] حُروف القوافي – كما يُظنّ أنّ أبا العلاء يقصد – هي ستّة أحرف: الرّويّ، والرّدف، والتّأسيس، والدّخيل، والوصل، والخروج. وحركات القافية مُرتبطة ارتباطاً وثيقاً بهذه الحُروف، وهذه الحركات هي: المجرى، والنّفاذ، والحذو، والإشباع، والدّسّ، والتّوجيه. انظر: الخطيب التّبريزيّ، كتاب الكافي في العروض والقوافي، تحقيق الحسّاني حسن عبد اللّه، ص ص١٤٩- ١٥٦.

[٢] من عُيوب الشّعر – كما يُظنّ أنّ أبا العلاء يقصد – : الإقواء، والإكفاء، والسّناد، والإيطاء، والإجازة، والرّمل، والتّحريد. الخطيب التّبريزيّ، كتاب الكافي في العروض والقوافي، تحقيق الحسّاني حسن عبد اللّه، ص ص١٦٠- ١٦٩.

[٣] أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاحج، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص٥٣٤.

[٤] الخَميس: الجيش، وقيل: الجيش الجرّار. لسان العرب: مادّة (خمس).

[٥] الرّمح العاتر: المُضطرب. لسان العرب: مادّة (عتر).

[٦] أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاحج، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص ص٥٤٧- ٥٤٨.

[٧] مَرْعَش: مدينة في الثّغور بين الشّام وبلاد الرّوم، في جنوب تركيا على حُدود سورية. انظر: ياقوت الحمويّ، معجم البلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجُنديّ، ج٥، ص٢٦؛ مجموعة من المؤلّفين، المُنجد في اللّغة والأعلام، ص٦٥٣.

[٨] المَنْشَم والمَنْشِم: شيء يكون في سُنبل العِطر، يُستيه العطّارون رَوْقاً، وهو سَمٌّ ساعة. وقال بعضهم: هي ثمرة سوداء مُنتنة. لسان العرب: مادّة (نشم).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعَشَّ مُقاربةٌ لفظاً: عشَّ الشّجر؛ إذا يبس ورقه، وقصُرت أغصانه، يُقال: شجرةٌ عشّة، وشجرات عشّات: الكثيرة العِشاش، وكأنّه يصير: مَرَّ عشٍّ؛ أي هلك شيخٌ مثل الشّجرة العَشّة"[١] "وممّا يُحمَل على الفأل والطّيرة من أسماء أصحابه: الدّماسقة، جمع دُمُسْتُقٍ[٢]، تجعلها دماء سِقة. فالدّماء جمع دم، والسّقة المصدر من قولك: وَسقتُهُ وَسْقاً وَسِقةً، إذا طردتُه -كما تقول: وعدتُهُ وعداً وعِدة - أي يُطردون، وتُسفك دماؤهم"[٣] "وقد كان العدوّ فيما سلف، لقي من قصبِ السُّكّر بالسّاحل بلاء عظيماً؛ لأنّهم أكلوه فأعلّهم. فإذا حملناه على الفأل، فالقَصَب من قولك: قَصَبَ اللحمَ؛ أي قَطَعَهُ. فإن وحّدتَ بالقَصَبة جمعُ قاصب، والسُّكّر جمعُ ساكِرٍ، من قولك: سَكَرْتُ الماء، إذا حبسته. وزعم بعض أصحاب اللُغة أنّ قصب السُّكّر يُسمّى المُصاب. فذلك طيره عليه بأن يُصاب، من المُصيبة"[٤].

وإذ ينقل أبو العلاء ما سيكون مِن عُدول ملك الرّوم إلى منازجِرْد[٥] وأخذها من الخزر[٦]، ذلك الّذي حدّث عنه ابن العديم، فيقول على لسان الثّعلب: "وقد تحدّثت العوامّ بأنّ قوماً مُتطوّعين غزواً من ناحية الخزر. فإن كان هذا صحيحاً، فإنّه يلفت الطّاغية عن هذه

---

(١) أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاحج، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص ص٦٥٠- ٦٥١.

(٢) الدُّمُسْتُق: كلمة لاتينيّة، كانت لقباً لقائد جُيوش الرّوم. مجموعة من المُؤلّفين، المُنجد في اللُغة والأعلام: مادّة (دمس).

(٣) أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاحج، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص ص٦٧٩- ٦٨٠.

(٤) المصدر نفسه، ص٦٧٣.

(٥) مَنازجِرْد، وأهله يقولون: منازكِرْد، بالكاف: بلد مشهور بين خلاط وبلاد الرّوم، يُعدّ في أرمينية، وأهله أرمن وروم. ياقوت الحَمَويّ، مُعجم البُلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجُنديّ، ج٥، ص٢٣٤.

(٦) الخَزَر/ قزوين: بلاد التُّرك، خلف الأبواب المعروفة بالدّربند – مدينة في داغستان (الاتّحاد السّوفييتيّ) على ساحل بحر قزوين – قُرب سدّ ذي القرنين. وهي مدينة في شمال إيران، قريبة من شطّيء بحر قزوين. انظر: ياقوت الحَمَويّ، مُعجم البُلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجُنديّ، ج٢، ص٤٢٠؛ مجموعة من المُؤلّفين، المُنجد في اللُغة والأعلام، ص٥٥٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الجبهة، ويفكّ عزمه عن الخُروج، فيكون مثله مثل الضّرب الأوّل من الطّويل أو غيره من الأوزان، إذا أرادوا الفكّ منه صرفوا وجهه عمّا هو عليه. ألا ترى أنّك إذا أردت أن تفُكّ من قوله: «يا حارِ لا أُرْمَيَنْ منكم بداهية»[١] وزناً مديداً، أخذت من أوّله قوله: «يا حار لا»، فجعلته في آخره، فكأنّه التفت عن تلك الجبهة؟ فكذلك الطّاغية فُكّ؛ أي صُرف وجهه - إن شاء اللّه - وتوجّه إلى ما وراءه"[٢]. أقول: وإذ ينقل أبو العلاء ما سيكون من هذا العُدول في وجهة ملك الرّوم، وتراجعه عن حلب، فإنّه لا ينفي أنّ الخطر بعد قائم، تُقوّيه العلاقة الوطيدة بين ملك الرّوم وعزيز الدّولة، واستمرار التفاوض بينهما، كما يبدو، ممّا يُظنّ عزيز الدّولة أنّه يخفى على العامّة. "وتحدّثت العامّة أنّ سبب الفساد بين السّيّد عزيز الدّولة – أعزّ اللّه نصره – وبين الطّاغية، أنّه سامه[٣] أن يجتمع معه، والمثل السّائر: «وهل يجتمع السّيفان ويحكّ في غِمْد[٤]؟»[٥]... وكيف يطمع مثله في هذه المنزلة؟ وإنّما قيل: إنّه جعل للسّيّد عزيز

---

(١) البيت لزُهير بن أبي سُلمى (....- ١٣ق.هـ= ....- ٦٠٩م) وتتمّته: "لم يَلْقها سوقةٌ قبلي ولا مَلِكُ".
وهو من القصيدة الكافيّة، ومطلعها:
"بانَ الخليطُ ولم يأووا لمَنْ تركوا وزوّدوكَ اشتياقاً أيّةَ سلكوا"
انظر: زُهير بن أبي سُلمى، ديوان زُهير بن أبي سُلمى، تحقيق وشرح كرم البُستانيّ، ط١، دار بيروت للطّباعة والنّشر- دار صادر للطّباعة والنّشر، بيروت- لبنان، ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م، ص ص٤٧- ٥١.

(٢) أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاحج، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص ص٦٨٣- ٦٨٤.

(٣) سامَهُ: جَشّمَهُ مشقّةً، أو سوءاً، أو ظُلْماً. لسان العرب: مادّة (سوم).

(٤) الغِمْد: جفن السّيف، وجمعه أغماد وغُمود. لسان العرب: مادّة (غمد).

(٥) البيت لأبي ذُؤيب الهذليّ، ومطلعه: "تُريدين كيما تجمعيني وخالداً".
وهو مُوجّه إلى أُمّ عمرو، وقد أرسلت إليه ترضّاه، وهي امرأة كان يختلف أبو ذُؤيب الهذليّ إليها، وكان يُشبّب بها، ويبعث إليها ابن عمّ له، يُقال له: خالد بن زُهير، فأرادت الغلام على نفسه، فأبى ذلك حينئذ، وقال: "أكره أن يبلُغ أبا ذُؤيب". ثمّ طاوعته، فلمّا رجع إلى أبي ذُؤيب: "قال واللّه إنّي لأجد ريح أُمّ عمرو منك!" ثمّ جعل لا يأتيه إلاّ استراب به. انظر: أبو سعيد السّكّريّ، شرح أشعار الهذليّين، حقّقه عبد السّتّار أحمد فرّاج، راجعه محمود مُحمّد شاكر، ج١، ص٢٠٧، ٢١٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الدّولة – أعزّ اللّه نصره – العُشر في مملكته، ولا يغيض[١] من حاله"[٢] "ولو أنّ هذا الرّجل شطر مُلكه للسّيّد عزيز الدّولة – أعزّ اللّه نصره – لم يُجبه إلى ما سأل، إلاّ أن يرى في ذلك صلاحاً للمُسلمين"[٣]. "وتحدّث العامّة أنّ غلماناً وردوا من بلاد الرّوم إلى حضرته العالية، واختلف فيهم القول؛ فقال بعض النّاس: هُم هديّة من زعيم الرّوم. وقال آخرون: بل السّيّد عزيز الدّولة – أعزّ اللّه نصره – اشتراهم بماله"[٤]. ويُضيف أبو العلاء ساخراً على لسان الشّاحج: "فإن كانوا هديّة، فهو – خلّد اللّه مُلكه – يُجازي عنهم بأضعاف القيمة. وإن كانوا شراء ماله، فإنّ ذلك أجدر بالنّماء والبركة"[٥].

وتجيء نهاية الرّسالة، كما أراد لها أبو العلاء أن تكون، مليئة بالسُّخرية المريرة اللاذعة من عزيز الدّولة، فبينما تضجّ حلب وأعمالها قلقاً وخوفاً ممّا ستُسفر عنه الأُمور، ينقل أبو العلاء على لسان العامّة: "أنّ السُّلطان – أطال اللّه بقاءه – أمر بتطهير غلمانه، وكذلك يُوجب فضله ودينه؛ لأنّ مثلهم مثل أوزان من الشّعر لا يحسُن استعمالها حتّى يُحذف منها شيء"[٦].

ويروي الحُلُم الّذي حدّث به رجل من مُعاصريه، يُعرف بـ عليّ بن مُحمّد بن عبد اللّه العقيليّ[٧]، من أنّه رأى عزيز الدّولة "بحضرة ملأ عظيم من الأُمراء والفُرسان، يعمل بسيفيْن عن يمين وشمال، والفَرَس تجري به أشدّ الجري، وأنّ هذا الرّجل يأخذه الزَّمَعُ[٨] من هول ما يراه"[٩].

---

[١] غاضَ الماءُ يغيضُ غَيْضاً ومَغيضاً ومَغاضاً وانْغاضَ: نقَصَ أو غارَ، فذهبَ. لسان العرب: مادّة (غيض).

[٢] أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاحج، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص٦٨٥.

[٣] المصدر نفسه، ص٦٨٨.

[٤] المصدر نفسه، ص٦٩١.

[٥] المصدر نفسه، ص٦٩١.

[٦] المصدر نفسه، ص٦٩٢.

[٧] لم أعثر على تعريف به في كُتب التّراجم الّتي وقعت بين يديّ.

[٨] الزَّمَع: القَلَق. وزَمِع الرّجلُ زَمَعاً: خَرِقَ من خَوْف، وجَزِعَ. لسان العرب: مادّة (زمع).

[٩] أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاحج، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص٧٠٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وينقل الخبر الّذي أورده الرّجل نفسه من انشغال عزيز الدّولة بالعروض[١]، ولكن ليس دون أن يُتبع الحُلُم والخبر تعليقاً ساخراً؛ فهو يرى فُروسيّة عزيز الدّولة وشجاعته حلماً يُحدّث به النّاس، ويفزعون منه؛ إذ لا وُجود لهما على أرض الواقع. "وحُقّ له أن يزمع، ليس هذا من فعل الآدميّين، ولو قال قائل: إنّ ملكاً من الملائكة شهد يوم بدر على هذه الهيئة، لكان عجباً من الأنباء"[٢]. وهو يسخر من انشغال عزيز الدّولة بالعروض في وقت كان يجدر بالمُلوك، من هول ما يجري، أن ينشغلوا عن الفُروض. "وهذه قريبة من الأولى في العجب، المُلوك قد شُغلوا عن الفُروض، فما بال النّظر في العروض!"[٣]. ويؤكّد أبو العلاء صحّة ذلك الخبر: "فلو حلف من ينسج الحُصُر[٤] في جامع حلب - حرسها اللّه - أنّ بحلب حصيراً ينظر في العروض، لصدق، وإنْ ظنّته العامّة كاذباً، ... لأنّ الحصير الملك؛ لأنّه كالّذي يحصر نفسه باحتجابه عن النّاس"[٥]. لا بل يردّ أبو العلاء، ساخراً، لُجوءه إلى الخوض في مسائل العروض، بينما هو يعرض قضايا أُمّته المصيريّة والهامّة، إلى اهتمام عزيز الدّولة نفسه بالعروض. "ولهذه الحكاية أكثرت الأمثال المُتّصلة بما وضعه الخليل[٦]؛ لأنّ العامّة على دين السُّلطان"[٧].

---

[١] انظر: أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاحج، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص٧٠٦.

[٢] المصدر نفسه، ص ص٧٠٣- ٧٠٤.

[٣] المصدر نفسه، ص٧٠٦.

[٤] الحَصير: سفيفة تُصنع من بَرْديّ وأسلّ، ثُمّ تُفرش، والجمع حُصُر. لسان العرب: مادّة (حصر).

[٥] أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاحج، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص٧٠٧. وقد استخدم ابن دُريد في كتاب "الملاحن" – مُلغزاً - كلمة الحصير بمعنى الملك. انظر: ابن دُريد، كتاب الملاحن، تحقيق عبد الإله نبهان، ص٩٥.

[٦] الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيديّ الأزديّ اليحمديّ، أبو عبد الرّحمن (١٠٠- ١٧٠هـ= ٧١٨- ٧٨٦م): كان إماماً في علم النّحو، وهو الّذي استنبط علم العروض، وأخرجه إلى الوُجود، وحصر أقسامهُ في خمس دوائر، يُستخرج منها خمسة عشر بحراً، وكان رجلاً صالحاً، عاقلاً، حليماً، وقوراً. من تصانيفه: كتاب "العين" في اللّغة وهو مشهور، وكتاب "العروض"، وكتاب "الشّواهد"، وكتاب "النّقط والشّكل"، وكتاب "النّغم". انظر في أخباره: ابن خلّكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، حقّقه إحسان عبّاس، المجلّد الثّاني، ص ص٢٤٤- ٢٤٨.

[٧] أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاحج، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص٧٠٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وينقل أبو العلاء على لسان الشّاجّ ما يُتناقل عن غضب عزيز الدّولة على مُضيء[١] الدّولة؛ لكلام هذى به ابنه في مجلس شراب، اتّهم فيه والده بالخيانة، وينبري للدّفاع عنه، وكأنّنا به يتّهم عزيز الدّولة بالخيانة، ويسخر منه، ويدعو للشّعب بالسّلامة من أذاه ومكائده. "وقد تحدّثت العامّة أنّ مُضيء الدّولة، جرى لبعض أولاده حديث في بعض الأيّام، وذلك على شراب وانتشاء. فأقول، وباللّه التّوفيق، وأنا أُريد القسم في المقال: وذو[٢] خَبَّ ثُعالة بأمره، وقَرَّبَ، وسأله أن يكفيه شرّ النّابح[٣] إذا عُلِّم ودُرِّب، وفَتْك البازي إذا قَنَصَ وحَرَّبَ[٤]، وصولة الأجدل[٥] إذا انقضّ وتقرّبَ، ما همّ مُضيء الدّولة بالخيانة، ولا كَرَبَ[٦]"[٧].

مصير "رسالة الصّاهل والشّاجّ"

ذكر أبو العلاء المعرّيّ في خاتمة "رسالة الصّاهل والشّاجّ"، أنّه قد جهّز هذه الرّسالة، وأرسلها إلى عزيز الدّولة، فرُدّت إليه منها كُراستان، وقد غُمرتا بالسُّكر. "وكان مُحمّد بن

---

[١] نصر اللّه، مُضيء الدّولة، نصر بن نزّال: من كبار قادة الشّام في ذلك العصر. أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاجّ، تحقيق عائشة عبد الرّحمن، شرح المُحقّقة، هامش ص٦٩٩. (لم أعثر عليه في "بُغية الطّلب في تاريخ حلب" ولا في "زُبدة الحلب من تاريخ حلب"، ولا في كُتب التّراجم الّتي وقعت بين يديّ).

[٢] ذو: والّذي.

[٣] النّابح: الكلب، من النّبح والنُّباح الّذي هو صوت الكلب. لسان العرب: مادّة (نبح).

[٤] حَرَّبْتُ عليه غيري: أغضَبْتُهُ. والتّحريب: التّحريش. لسان العرب: مادّة (حرب).

[٥] الأجدل: الصّقر، وأصله من الجَدْل الّذي هو الشِّدّة. لسان العرب: مادّة (جدل).

[٦] كَرَبَ يَكْرُبُ كُروباً: دنا. لسان العرب: مادّة (كرب).

[٧] "الفقرة كلّها دُعائيّة على سبيل القسم". أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاجّ، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، شرح المُحقّقة، هامش ص٦٩٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عبد اللّه بن سُليمان[١]، قد ورد من الحضرة العالية مُوقّراً[٢] بالمَنّ[٣]، فأراد أن يشكُر، فغرق في الإحسان، فصمت صَمْت الغريق.

فذهبت لأُعينه، فأعداني بالغرق، فاستعنت أفواه الحيوان؛ ليدوم شُكرها في كُلّ أوان، وجهّزت هذه الرّسالة، فرُدّت إليّ كُراستان من الجُزء الثّاني، وقد غرقتا في الماء، فلعلّي أعديت الرّسالة بالغرق"[٤].

هذا كُلّ ما بلغنا عن هذه الرّسالة بعد أن أرسلها أبو العلاء إلى عزيز الدّولة.

وقد ذهبت مُحقّقة "رسالة الصّاهل والشّاحج"، عائشة عبد الرّحمن، إلى أنّ عزيز الدّولة قد عيّ[٥] بهذه الرّسالة، وبلسانها؛ فطلب إلى أبي العلاء المعرّيّ أن يُصنّف له كتاباً على معنى "كليلة ودمنة"، في يُسر المأخذ، ووضوح المرمى، فوضع له أبو العلاء المعرّيّ كتاب "القائف"، وأتمّ منه أجزاء أربعة، فلمّا قُتل عزيز الدّولة أمسك عن إتمامه[٦].

وقد اعتمدت المُحقّقة فيما ذهبت إليه من رأي، على حدّ قولها، على ما أورده ابن العديم في "الإنصاف والتّحرّي في دفع الظُّلم والتّجرّي عن أبي العلاء المعرّيّ"؛ إذ قالت: "وفي تاريخ أبي العلاء، أنّ عزيز الدّولة، والي حلب للفاطميّين، طلب إليه، بعد أن تلقّى كتاب "الصّاهل

---

[١] مُحمّد بن عبد اللّه بن سُليمان بن مُحمّد بن سُليمان، أبو المجد التّنوخيّ المعرّيّ (لم أعثر على تاريخ ولادته أو وفاته): أخو أبي العلاء الأكبر، كان فاضلاً، أديباً، شاعراً، له ديوان شعر مجموع، ولي ولداد قضاء معرّة النُّعمان. انظر في أخباره: ابن العديم، الإنصاف والتّحرّي في دفع الظُّلم والتّجرّي عن أبي العلاء المعرّيّ، كتاب تعريف القُدماء بأبي العلاء المعرّيّ، تحقيق مُصطفى السّقّا، وعبد الرّحيم محمود، وعبد السّلام مُحمّد هارون، وإبراهيم الإبياري، وحامد عبد المجيد، بإشراف طه حسين، ص ص٤٩٥- ٤٩٦.

[٢] مُوقّر: ذو وِقْر، والوِقْر: الحِمْل الثّقيل. لسان العرب: مادّة (وقر).

[٣] المِنّة: العطيّة. لسان العرب: مادّة (منن).

[٤] أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاحج، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص٧٠٨.

[٥] عَيَّ بالأمر عِيّاً وعَيِيَ وتعايا واستعيا: عجز عنه، ولم يطق إحكامه، ولم يهتد لوجه عمله. لسان العرب: مادّة (عيي).

[٦] انظر: أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاحج، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، مُقدّمة المُحقّقة، توثيق النّصّ، ص٧٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والشّاجح"، ثُمّ لسانه، أن يُصنّف له كتاباً على معنى "كليلة ودمنة"؛ فبدأ في تصنيفه، وأتمّ منه أربعة أجزاء، ثُمّ انصرف عنه، ولم يُكمله؛ لمقتل عزيز الدّولة الّذي طلبه"[١]. وأضافت: "وهذا الخبر المُوثّق برواية ابن العديم في «الإنصاف»، يُبيح لي أن أستنتج أنّ العزيز الرّوميّ، عيّ بالصّاهل والشّاجح ولسانه، فلماذا لا ينحو أبو العلاء، فيما يُرسل إليه على ألسنة البهائم، منحى حكايات "كليلة ودمنة"، في يُسر المأخذ، ووضوح المرمى؟"[٢].

وقد بحثت في كتاب "الإنصاف والتّحرّي في دفع الظُّلم والتّجرّي عن أبي العلاء المعرّيّ"، عن النّصّ الّذي اعتمدت عليه المُحقّقة في استنتاجها، فلم أجده، وإنّما وقفت على ما يلي، بينما ابن العديم يتحدّث عن تصانيف أبي العلاء: "والكتاب المعروف بـ «القائف»، يُذكَر فيه أمثالٌ على معنى "كليلة ودمنة". عمله لعزيز الدّولة أبي شُجاع المذكور أيضاً. ألّف منه أربعة أجزاء، ثُمّ قطع تأليفه لموت الّذي أمر بإنشائه، وهو أبو شُجاع فاتك"[٣].
ولعلّ كلمة أيضاً، هي الّتي صوّرت للمُحقّقة أنّ أبا العلاء قد وضع كتاب "القائف" بعد أن تلقّى عزيز الدّولة منه "رسالة الصّاهل والشّاجح"، ولسانها. وهذه الكلمة لا تقطع بذلك.

ثُمّ إنّني لا أتّفق معها فيما ذهبت إليه؛ فإذا كان كتاب "كليلة ودمنة" أيسر مأخذاً من "رسالة الصّاهل والشّاجح"؛ لأُسلوب أبي العلاء، وما كان من استعراضه لثقافاته ومعارفه واجتهاداته اللُغويّة؛ فإنّ كتاب "كليلة ودمنة" ليس واضح المرمى –كما ذكرت المُحقّقة – وقد حمّله ابن المُقفّع كثيراً من القضايا السّياسيّة والاجتماعيّة المُوجّهة إلى عصره، وذكر أنّه لا

---

[١] أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاجح، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، مُقدّمة المُحقّقة، توثيق النّصّ، ص٧٥.
[٢] المصدر نفسه، مُقدّمة المُحقّقة، توثيق النّصّ، ص٧٥.
[٣] ابن العديم، الإنصاف والتّحرّي في دفع الظُّلم والتّجرّي عن أبي العلاء المعرّيّ، كتاب تعريف القدماء بأبي العلاء المعرّيّ، جمع وتحقيق مصطفى السّقّا، وعبد الرّحيم محمود، وعبد السّلام مُحمّد هارون، وإبراهيم الإبياري، وحامد عبد المجيد، بإشراف طه حسين، ص٣٣٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يستطيع أن يقف عليها، ويعيها، إلاّ المُفكّرون والفلاسفة. "والغرض الرّابع، وهو الأقصى، وذلك مخصوص بالفيلسوف خاصّة"[١].

هذا من جهة.

ومن جهة أُخرى، فإنّي لا أظنّ أنّ ما حمّله أبو العلاء لرسالته من قضايا فكريّة ونقديّة، قد غاب عن عزيز الدّولة.. أوّلاً؛ لأنّ المُحقّقة قد حكمت على "رسالة الصّاهل والشّاحج" بأنّها صعبة التّناول من منظور هذا الزّمان. وثانياً؛ لأنّ عزيز الدّولة كان أديباً، مُهتمّاً بالعلم والأدب، وقد جمع إلى جـواره كثيراً من أهلها، حتّى لو كان فيهم مُدّعون وكاذبون. ولعلّ عزيز الدّولة – لو كان كتاب "القائف" قد كُتب بعد "رسالة الصّاهل والشّاحج" فعلاً - قد غضّ الطّرف عمّا جاء في رسالة أبي العلاء المعرّيّ، وتجاهل رسائلها الفكريّة والنّقديّة، وزاد من تجاهُله أن طلب من أبي العلاء أن يُصنّف له كتاباً على معنى "كليلة ودمنة". وثالثاً؛ لأنّ ما وصل إلينا من سيرة عزيز الدّولة؛ يدلّ على أنّه كان صاحب حيلة ودهاء.

البنية الفنّيّة في "رسالة الصّاهل والشّاحج"

-١-

إذا كان احتفاء أبي العلاء بحكايات الحيوان نابعاً من وعيه لما يُتيحه هذا اللون من مساحة واسعة للتّعبير، وأُفق رحب للنّقد، ينأيان بصاحبها، مُعظم الأحيان، عن الاتّهام والمُساءلة، ويكفلان لعمله قَبولاً واهتماماً، تُتيحهما له الحكاية وأقنعتها، وما تستثيره من خيال، وما تحمله من غرابة، فإنّ ما يُضاف إلى دوافع أبي العلاء إلى وضع "رسالة الصّاهل والشّاحج" على ألسنة الحيوانات، ما تضطلع الرّسالة بحمله من قضايا فكريّة، تتلمّس الفرق بين الظّاهر

---

[١] بيدبا، كتاب كليلة ودمنة، نقله من الفهلويّة إلى العربيّة عبد اللّه بن المُقفّع، باب عرض الكتاب، ص٥٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والباطن، بين ما يُعلن ويخفى من أحداث ذلك العصر، ومواقف رجالاته وأفراده. إنّ هذا الفرق كالفرق بين ما تُبديه الحكاية عبر أقنعتها، وما تُواريه خلف تلك الأقنعة، فالشّكل الفنّيّ قضيّة من قضايا الرُّؤية.

ولأنّه كذلك؛ فقد اقتضى عرض واقع حلب وأعمالها، بداية القرن الخامس للهجرة، على السُّلطة المُتسبّبة فيه، حكاية حيوان طويلة، تكفل لصاحبها إيصال الصّورة كاملة بتفاصيلها الصّغيرة، وتُتيح له مساحة مُرضية؛ كيما يُعبّر عن مواقفه وآرائه منها، مُتوارياً خلف الأقنعة الحيوانيّة، وما جاء على ألسنتها من تورية وإلغاز.

لقد صدّر أبو العلاء حكاية الحيوان في "رسالة الصّاهل والشّاحج" بفاتحة جاءت بصوته، كانت مدخلاً للحكاية انقسم إلى أقسام ثلاثة، اتّخذ أبو العلاء القسم الأوّل لتحيّة عزيز الدّولة، ومدحه، وانتقل في الثّاني إلى طرح مسألة أبناء أخيه، وتبيان الدّوافع الّتي جعلته ينهض بها، ومضى في الثّالث يصف أرض هؤلاء، وما يلقاه الشّاحج جرّاء جدبها وقسوة سائسه من نصب وشقاء.

وقد أفضى كُلّ قسم إلى الآخر، وهيّأ له، حتّى وجدنا أنفسنا وقد صرنا على عتبة الحكاية، الّتي لم تكن مسألة أبناء أخي أبي العلاء إلاّ وسيلة لها، وقناعاً وارى خلفه مذهبه فيها، وبواعثه الحقيقيّة على كتابتها.

ولم يكن العُبور إلى الحكاية مُشابهاً لأُسلوب الوُلوج إلى حكايات الحيوان؛ فقد تخلّى أبو العلاء عن أحد تقاليد الشُّروع بالحكي/ السّرد، ذلك الّذي تُعلنه عبارة: "زعموا أنّ"، أو ما يُضارعها من صيغ، وإن لم يتخلّ عن فكرة أنّ الحكي/ السّرد على ألسنة الحيوانات، هو نوع من الزّعم والافتراض والاختلاق؛ فافتتح حكايته بثلاثة شواهد قُرآنيّة، ساوت الأولى بين البشر وسائر المخلوقات من حيث كونها أُمماً، وأنطقت الأُخريان النّملة والهُدهد في

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حديث فهمه سُليمان عليه السّلام[١]، وفضلاً عمّا عزّزته هذه الشّواهد من إمكانيّة نُطق الحيوان بقُدرة اللّه، فإنّ انتخابها افتتاحيّة للحكاية قد انبثق من غايات الحكاية ورسائلها الفكريّة كما سبق أن وضّحت[٢].

ثمّ صار افتراض نُطق الحيوان بقُدرة اللّه اللازمة الّتي غلب بها افتتاح الحديث على ألسنة الحيوانات، مع تغيُّر صيغها: "فيجوز واللّه قدير أن يُنطق الصّاهل، وهو تعالى مُنطق كُلّ الحيوان، فيقول"[٣]. "ويقدر اللّه جلّ اسمه أن يُنطق الصّاهل، فيقول"[٤].

ولم يتوارَ أبو العلاء كُلّيّاً خلف الأقنعة الحيوانيّة؛ فقد ترك لنفسه افتتاح كُلّ حوار جديد، بتبيان المنظر الّذي سيدور فيه الحوار، أو المنحى الّذي سيتّخذه، أو المضمون الّذي سيجري فيه، مُنبّهاً إلى تحرُّك الزّمان: "ولا يمتنع في قُدرة اللّه أن يرد فارس كُمَيْت[٥] أو وَرْد[٦]، فإذا شَرَعَ[٧] في نمير[٨] ذي بَرْد[٩]، ربطه بالكَثَب[١٠] من المَثاب[١١]، فيقول

---

(١) انظر: أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاحج، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص٩١.

(٢) انظر: هذه الرّسالة، ص

(٣) أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاحج، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص١٠٨.

(٤) المصدر نفسه، ص١٩٣.

(٥) الكُمَيْت من الخيل: أقوى الخيل. وقيل: هو الّذي لونه فيه حُمْرة يَدْخُلُها قُنوء (شدّة الحُمرة). وقيل: هو الّذي لونه بين السّواد والحُمْرة. لسان العرب: مادّة (كمت).

(٦) الوَرْد من الخيل: هو بين الكُمَيْت والشُّقْرة. لسان العرب: مادّة (ورد).

(٧) شَرَعَ الواردُ يَشْرَعُ شَرْعاً وشُروعاً: تناول الماء بفيه. وشَرَعَ إبله وشَرَّعَها: أوْرَدَها شريعة الماء فشربت، ولم يستق لها. لسان العرب: مادّة (شرع).

(٨) النّمير: الزّاكي من الماء. لسان العرب: مادّة (نمر).

(٩) ذو بَرْد: بارد.

(١٠) الكَثَب: القُرب. لسان العرب: مادّة (كثب).

(١١) المَثاب: صخرة يقوم السّاقي عليها، يثوب إليها الماء. لسان العرب: مادّة (ثوب).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ما ضمّنه فيه من الألغاز، والاجتهادات اللُغويّة، والمعارف المُتنوّعة، بما تضمّ من أخبار، وأقاصيص، ونوادر، وحكايات. ففي مقالة الشّاجح للجمل، وفيما كان من فهم هذا الأخير لها، قامت حيويّة الحوار وإثارته على التّورية والأحاجي اللُغويّة؛ أي على الفرق ما بين الكلام، وظاهر شُروحه، وما انطوى عليه من إيحاءات ساخرة.

ثُمّ إنّ أبا العلاء قد حافظ على حيويّة الحوار وتشويقه عبر تغيُّر أُسلوبه، فهو جدليّ جادّ بين الشّاجح والصّاهل، وجدليّ ساخر بينه وبين الجمل، ومُنسجم مُتناغم مُتوافق بين الشّاجح والثّعلب، وهزليّ فكاهيّ ساخر بين الشّاجح والضّبع.

وقد منح أبو العلاء كُلّ شخصيّة من شخصيّات حكايته صوتاً مُميّزاً، ومنطقاً خاصّاً، أفاد في تكوينها - بما يُثبت أصالته - ممّا خرج به العربيّ الجاهليّ من مُلاحظات حول طباع الحيوانات وسماتها المُميّزة، وما حاك منها خياله وتصوُّراته من حكايات ترمز إلى مواقف البشر وتنقدها. فهو يقول على لسان الصّاهل قُبيل أن يصير الجمل مُحاور الشّاجح بعده: "وأمّا دُعاؤك إلى تحكيم بعض الإبل، فصنف من الجهل مُبين؛ أمّا النّاقة فحسبها من قلّة اللُبّ أنّ ولدها يُذبح، ويُحشى جلده من الثُّمام[١]، فتدرّ[٢] عليه، وعندها أنّه حُوارها[٣]، وأمّا الجمل فأخوها... وحسبك من جهالة الإبل، أنّها تترك ما لان من المرعى، وتختار عليه شوك السّعْدان[٤] وغيره من الشّجر والعِضاه[٥]، فربّما نشبت الشّوكة منها في بطن البعير فكانت سبب هلاكه"[٦]. ويقول مُبرّراً سبب امتناع الشّاجح عن قَبول الفاختة حكماً بينه وبين

---

(١) الثُّمام: شجر، واحدته ثُمامة، وثُمّة. وقيل: هو نبت ضعيف، قصير، لا يطول. لسان العرب: مادّة (ثمم).

(٢) دَرّتِ النّاقةُ تَدِرُّ وتَدُرُّ دُروراً ودَرّاً: سال لبنها. لسان العرب: مادّة (درر).

(٣) الحُوار: ولد النّاقة من حين يُوضع إلى حين يُفطم ويُفصل. لسان العرب: مادّة (حور).

(٤) السّعْدان: نبت ذو شوك، وهو من أطيب مراعي الإبل. لسان العرب: مادّة (سعد).

(٥) العِضاه: كُلّ شجرة جازت البتول كان لها شوك أو لم يكن. وقيل: كُلّ شجر يعظم وله شوك، الواحدة عِضَةٌ، وعِضاهةٌ، وعِضَهَةٌ، وعِضَةٌ، وأصلها عِضْهَة. لسان العرب: مادّة (عضه).

(٦) أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاجح، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص٢٠١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصّاهل: "ومن ظُلمك وإعناتك[١]؛ أنّك دعوتني إلى تحكيم حكمِ العامّةُ تضرب المثل بكذبه فتقول: «أكذب من فاختة»![٢] أفتراني أجعـل حكماً على نفسي من قد شُهر[٣] بهذه الشّيمة[٤]؟"[٥]. فيما هو يُوظّف حكاية البغل، الّذي يُدلّل علـى خُؤولته للفرس، إذ يُسأل عن أبيه، في إقامة حوار بين الصّاهل والشّاحج، ونشب خلاف قويّ فيه يكون مدار القول[٦].

وقد تحدّث أبو العلاء بلسان شخصيّات حكايته كُلّها إلاّ الفاختة، مُكتفياً بإيراد ما صدر عنها من فعل لإنشاء حوار بين الشّاحج والجمل: "والفاختة في هذا كُلّه واقفة تسمع مُناجاة الصّاهل وثناءه عليها، وأقوال الشّاحج ونقصه منها، فترفّ عينها للصّاهل تغمز عليه، وهو لا يراها لأنّه معصوب العينيْن، وتنطلق إلى البعير الوارد فتعكس ما قال الشّاحج فيه، وتجعل القول الّذي نطق به الصّاهل من وصفه بالجهل، محكيّاً عن الشّاحج، تُريد أذاته بذلك، فتخبره بما قيل فيه من الصّفة بقلّة اللُبّ، فتملأ صدره من الغضب والحقد، حتّى إذا ورد، بهش بفمه

---

[١] الإعنات: تكليف غير الطّاقة. لسان العرب: مادّة (عنت).

[٢] المثل بلفظه في مجمع أمثال الميدانيّ، "أكذب من فاختة"؛ لأنّ حكاية صوتها: "هذا أوان الرُّطَب"، تقول ذلك والطّلع لم يطلع بعد. وقال:

"أكذبُ منْ فاختة تقولُ وسطَ الكَرَبِ
والطَّلْعُ لمّا يَطْلُـعِ هذا أوانُ الرُّطَبِ"

الميدانيّ، مجمع الأمثال، حقّقه وفصله وضبط غرائبه وعلّق حواشيه مُحمّد مُحيي الدّين عبد الحميد، ج٢، ص ص١٦٧- ١٦٨.

[٣] الشُّهْرة: ظُهور الشّيء في شُنعة حتّى يشهره النّاس. والشُّهْرة: الفضيحة. لسان العرب: مادّة (شهر).

[٤] الشّيمة: الخُلق والطّبيعة. لسان العرب: مادّة (شيم).

[٥] أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاحج، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص١٩٨.

[٦] انظر: المصدر نفسه، ص٩٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بعد الرّيّ إلى جَحْفَلة[١] ذلك المسكين، فما شعر حتّى أَزَمَ بها على الغِرّة[٢] إزْمة حَنِق[٣] مُغتاظ، وهَدَرَ[٤] في ذلك هَدْرَ المُوعِد[٥]"[٦].

وقد افترض كون السّاجِ الطّرف الثّابت في الحكاية، ثبات المكان الّذي تجري فيه حواراتها، وقد انبثق هذا الثّبات من غايات الحكاية نفسها، فهو يُؤكّد فكرة التّشبُّث بالأرض، والبقاء فيها، على الرّغم من المُؤامرات الّتي تُحاك حولها، وهو ينطوي على تحدّ للسُّلطة، ومُواجهة لها ولمكائدها.

وفي مُقابل ثبات المكان الّذي تدور فيه الحوارات في الحكاية، حقّق أبو العلاء تحرّكات مكانيّة عبر الحوارات نفسها، واعتنى بالتّشبيه ليمنح الأمكنة حُضورها المادّيّ في نفس المُتلقّي. يقول على لسان السّاهل: "من مصر الّتي قال فيها فرعون: ﴿**أليسَ لي مُلْكُ مصرَ وهذهِ الأنهارُ تجري منْ تحتي أفلا تُبصرونَ**﴾[٧]؟ تلك صُبرة[٨] الذّهب، وأُمّ النّعيم، وينبوع [النّصفة][٩]"[١٠].

---

[١] الجَحْفَلة من الخيل والحُمُر والبِغال والحافر: بمنزلة الشّفة من الإنسان، والمِشْفر للبعير، والجمع جحافِل. لسان العرب: مادّة (جحفل).

[٢] الغِرّة: الغَفْلة. لسان العرب: مادّة (غرر).

[٣] الحَنَقُ: شدّة الاغتياظ. لسان العرب: مادّة (حنق).

[٤] هَدَرَ البعيرُ هديراً: رَدَّدَ صوته في حُنجرته. لسان العرب: مادّة (هدر).

[٥] وعيد الفحل: هديره إذا همّ أن يصول. لسان العرب: مادّة (وعد).

[٦] أبو العلاء المعرّيّ، رسالة السّاهل والسّاجِ، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص ص٢٠٦- ٢٠٧.

[٧] من الآية الحادية والخمسين من سورة الزُّخرف. والآية: ﴿ونادى فِرعونُ في قومِهِ قالَ يا قومِ أليسَ لي مُلْكُ مِصْرَ وهذهِ الأنهارُ تجري منْ تحتي أفلا تُبصرونَ﴾.

[٨] الصُّبْرَة الحجارة الغليظة المُتجمّعة. وأُمّ صبّار: الأرض ذات الخَصْباء. لسان العرب: مادّة (صبر).

[٩] هي في الرّسالة المُحقّقة: النّضفة؛ والنّضف: الصّعتر. وأنا أرى أنّها النّصفة. والنّصْف والنّصَفَةُ والإنصاف: إعطاء الحقّ. وقد انتصف منه، وأنصَفَ: أخذَ الحقَّ وأعطى الحقَّ. لسان العرب: مادّة كلّ من (نصف) و (نضف).

[١٠] أبو العلاء المعرّيّ، رسالة السّاهل والسّاجِ، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص٩٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتبرز الحركة المكانيّة بشكل واضح في حوارات الشّاجح والثّعلب، إثر غيبة الأخير وعودته للأوّل بالأخبار؛ إذ حقّق أبو العلاء خلالها حركة مكانيّة واسعة، جاب فيها بُلدان الشّام وقُراها ومواضعها، كانت معارفه واجتهاداته اللُغويّة، أجنحته في التّعبير عنها، عوضاً عن عجزه المادّيّ، وأُسلوباً في مُواجهة عزيز الدّولة، والإرهاص بفشل مساعيه والرّوم. يقول أبو العلاء على لسان الثّعلب مُستعرضاً المناطق الّتي قد يشقّ ملك الرّوم طريقه منها، حاملاً ألفاظها على الفأل والطّيرة: "ثُمّ تلقاه سَنَقابل[١]، وفيها آثار عظيمة تدلّ على أنّها كانت من كبار بُلدان الشّام، وإذا حملناها على الفأل؛ قُلنا: سنُقابل العدوّ - إن شاء اللّه - بما يستحقّ، لأنّ حُروفها مُساوية لحُروف نُقابل إذا دخلت عليها السّين"[٢].

وتتألّف حكاية الحيوان في الرّسالة من أحداث محدودة تُهيّيء لحوارات شخصيّاتها وتستدعيها، وتنتظمها مجموعة من المشاهد/ المناظر، بما يُقرّبها من النّصّ المسرحيّ، كما سبق أن أشرت[٣]، بحيث يبدأ كُلّ مشهد بتغيُّر الحدث، ويستخدم أبو العلاء بعض الألفاظ للدّلالة على الزّمان وتحرّكه: "فيمضي الشّاجح إلى مربطه، ويبيت الضّاهل بمكانه، حتّى إذا الصُّبح وَضَحَ[٤]، عاد الشّاجح إلى الأدراج[٥]"[٦]. "ويقضي اللّه سبحانه وتعالى أن ترد الضّبع، وذلك بأغباش[٧] السّحر[٨]"[٩].

---

[١] لم أعثر عليها في "مُعجم البُلدان" لياقوت الحَمَويّ، أو في المصادر الّتي تحدّثت عن مُدن الشّام وقُراها ومناطقها.

[٢] أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الضّاهل والشّاجح، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص٦٦٤.

[٣] انظر هذه الرّسالة، ص٢٠٠.

[٤] وَضَحَ الشّيءُ يَضِحُ وُضوحاً وَضَحَةً وضِحَةً واتّضَحَ: بانَ. ووَضَحُ الصُّبح: بياضه. لسان العرب: مادّة (وضح).

[٥] رَجَعَ أدراجَه: عادَ من حيث جاء. والأدراج: جمع دَرَج، وهو الطّريق. لسان العرب: مادّة (درج).

[٦] أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الضّاهل والشّاجح، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص١٦٦.

[٧] الغَبَش: شدّة الظُّلمة. وقيل: هو بقيّة الليل. وقيل: ظُلمة آخر الليل، والجمع أغباش. لسان العرب: مادّة (غبش).

[٨] السَّحَر والسَّحَر: آخر الليل قبيل الصُّبح، والجمع أسحار. لسان العرب: مادّة (سحر).

[٩] أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الضّاهل والشّاجح، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص٤٠٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتدور حوارات شخصيّات الحكاية في أيّام خمسة: أربعة منها مُتلاحقة، وضع أبو العلاء فيها المُتلقّي في صورة الواقع السّياسيّ، والاجتماعيّ، والاقتصاديّ، والثّقافيّ، في حلب وأعمالها، ما قبل جَفْلة النّاس وجلائهم عنها، خوفاً من مقدم الرّوم، إلى ما بعد ذلك بقليل، فيما جاء اليوم الخامس بعد غيبة الثّعلب شهراً أو شهرين، وكأنّنا بأبي العلاء هنا يُعيّن المُدّة الّتي تطلّبها سُكون الأجواء بين مصر والشّام، وعودة الجالين إلى ديارهم، وتراجع الرّوم عن حلب دون انقطاع مُفاوضاتهم واتّصالهم بعزيز الدّولة: "فيمضي ثُعالة، فيغيب شهراً كَريتاً[١] أو شهرين، ثُمّ يجيء فيُسلّم، ويرد"[٢].

وتنضوي في حوارات الشّاجح والثّعلب كثير من الأحداث السّياسيّة والاجتماعيّة، الّتي احتفى أبو العلاء بإيرادها مُرتّبة وفق تسلسلها الزّمنيّ، وإن ارتدّ إلى الوراء أحياناً، كما فعل حين أورد ما كان من أمر عزيز الدّولة لأسد الدّولة بحمل أُمّه الرّباب إلى حلب سنة ٤٠٨هـ؛ ليُشير إلى أنّ عزيز الدّولة على علاقة بالرّوم من قبل، وأنّ ما جرى من أحداث في حلب وأعمالها كانت له مُمهّدات سبقته، وليُشير إلى الدّور الّذي لعبه أسد الدّولة، صالح ابن مِرْداس، الّذي آلت إليه حلب سنة ٤١٧هـ. أو عندما تحدّث عمّا كان من حملات الرّوم على حلب ليُقارب بينها وبين ما جرى في عصره، ويُشير إلى ما نال بلاد الشّام جرّاءها من خراب واضطراب وتدمير: "وإنّما قُلت ذلك؛ لأنّه خرج إلى هذه البلاد مرّتين، وهو فيما يزعم سلم للحمدانيّة[٣]، فجعل غنيمته من رعاياهم وبلادهم في المرّتين"[٤]. وإن استبق بعض الأحداث كذلك أحياناً، كما استبق على لسان الشّاجح ما سيكون من جلاء النّاس عن ديارهم، إثر تلقّيه من الثّعلب خبر نُهود ملك الرّوم إلى حلب: "فالطّير لما هي عليه من الخفّة

---

[١] شهر كَريت: تامّ العدد. لسان العرب: مادّة (كرت).

[٢] أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاحج، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص٦٠٩.

[٣] بنو حَمْدان بن حَمْدون: بطن من بني تغلب بن وائل، ومنهم كانت مُلوك الموصل والجزيرة وحلب. انظر: السّويديّ، سبائك الذّهب في معرفة قبائل العرب، ص٢٣٣.

[٤] أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاحج، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص٥٥٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والجهل بغوامض الأُمور، إذا رأت البازي الّذي ليست هي في مُلكه قد نظر إلى شَطْرها من غير تعمّد، أدركها من الفَرَق بالطّبع ما يحملها على ترك الوُكُنات وطيرانها في الآفاق، وهي لا تعلم بما في نُفوس البازيين"[١].

وقد أنهى أبو العلاء رسالته بخاتمة جاءت بصوته، خرج بها من الحكاية، وانسلّ من أقنعتها الحيوانيّة، وإن ظلّ مُحتجباً وراء الكلام وظاهر ما يُفهم منه، مُتمِّماً ديباجة مدح عزيز الدّولة، مُعتذِراً عمّا كان في رسالته من إسهاب، مُسوِّغاً لجوءه إلى الحكاية على ألسنة الحيوانات؛ ليدوم شُكرها في كُلّ أوان[٢].

- ٢ -

إذا كان أبو العلاء قد انتظر مسألة أبناء أخيه، ولرُبّما تطوّع للنُّهوض بها؛ كيما يضطلع بمسؤوليّته في عرض قضايا عصره وهُموم أفراده، ويُواجه السُّلطة بها، وبما تظنّ أنّه يخفى على العامّة، ويفضح مكائدها وحيلها ودسائسها، فإنّه لم يكن لينتظر مثل هذه الفُرصة، أو ينهض بهذه المهمّة، دون أن يستثمرها في إبراز قُدراته الفذّة، وسَعَة معرفته، وغزارة محفوظه، وعبقريّته في العربيّة، وعبقريّة العربيّة نفسها، مُغالياً في ذلك بما أنّ عزيز الدّولة ذو عناية بالعلم والأدب، وله مجلس يجمع رجالاتهما، وبما أنّه قد قصد إلى تحدّيه، وتحدّي العُلماء والأُدباء في مجلسه.

لقد أحال أبو العلاء حكاية الحيوان ميداناً لاستعراض معارفه وثقافاته ومحفوظه — بما يُذكّرنا بما فعله إخوان الصّفاء حين أحالوا حكاية الحيوان/ "رسالة تداعي الحيوانات على

---

[١] أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاحج، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص ص٤١٥- ٤١٦.

[٢] انظر: المصدر نفسه، ص ص٧٠٨- ٧٠٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإنسان" إلى دائرة معارف موجزة، ألقوا فيها كثيراً من عُلومهم وفلسفاتهم- حتّى كدنا نظُنّ لوهلة أنّ معارف أبي العلاء ومحفوظه وثقافاته، هي من استدعت القضايا الفكريّة الّتي اضطلعت رسالته بحملها، لا العكس.

ففضلاً عن الشّواهد القُرآنيّة وأحاديث رسول اللّه صلّى الله عليه وسلّم، جاءت الرّسالة حافلة بكمّ هائل من الشّواهد الشّعريّة، والشّواهد النّثريّة من أمثال وحكم، ناهيك عمّا نثره أبو العلاء فيها من الأشعار، أو تصرّف فيه من الحكم والأمثال. وجاءت مُنطوية على معارف أبي العلاء: في التّاريخ، والجُغرافيا، والأدب، والفقه، والنّقد، والقراءات القُرآنيّة، والسّيرة النّبويّة، والأنساب، والحيوان، والمذاهب الفكريّة... فضلاً عن النّحو، واللُغة، والعروض، والبلاغة، وما كان من اجتهادات أبي العلاء في كُلّ منها، وآرائه.

وقد لعبت معارف أبي العلاء وثقافاته ومحفوظه، دوراً كبيراً في الحكاية: مضموناً، وشكلاً فنّيّاً؛ إذ أسهمت في تضليل غايات صاحبها ومواقفه، وخدمت معاني الحكاية تأكيداً وتوضيحاً، وهيّأت لها قَبولاً واقتناعاً لدى المُتلقّي، وقرّبتها إليه، وساعدت أبا العلاء في تمثيل أحوال عصره، ومواقف أفراده وجماعاته وطوائفه، واتّكأ أبو العلاء عليها في تحقيق الإمتاع والطُرف والإثارة، في كثير من الأحيان، بما عرضه من حكايات طريفة، ومعارف مُتنوّعة، وألغاز لُغويّة. ثُمّ إنّ التّشخيص الّذي منحه أبو العلاء لأحداث عصره وأحوال أفراده، عبر اللُغة والنّحو والعروض في حوارات الشّاجح والثّعلب، لخَلق ما يُشبه التواصل الزّمنيّة بين الحدث والآخر، وأتاح لكُلّ خبر أورده أبو العلاء على لسان شخصيّاته، مساحة أرحب للتّأمّل والنّظر قبل الوُصول إلى تاليه. غير أنّ استغراق أبي العلاء وإيغاله في عرض محفوظه وثقافته ومعارفه، قد قادا في أجزاء من الحكاية إلى الملل.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد اتّخذ أبو العلاء طُرقاً مُتنوّعة لعرض ثقافاته ومعارفه ومحفوظه، فتارة راح يستطرد، مُنتقلاً من معنىً إلى آخر يتعلّق به، وأُخرى راح يُورد المعنى الواحد بغير طريقة، ويتناوله بأشكال مُتنوّعة، وثالثة راح يُقدّم الشُّروح والتّفسيرات والتّعليقات؛ ليفكّ أحاجيه، وينقض ألغازه، ويشرح ظاهر معانيه، ورابعة راح يتوسّع في الحديث وهو يُريد جُزئيّة منه، فإذا تحدّث عن قضيّة من القضايا استوفى ما قيل فيها قبل أن يُدلي بدلوه، وإذا أراد بيتاً ذكر معه أبياتاً أُخرى، وقد عبّر هو نفسه عن ذلك على لسان الثّعلب؛ إذ قال: "وأنا أذكر الأبيات لمكان البيت الواحد، كما ذكرتَ أيّها الشّاجع أبيات قَريبة[١] لأجل البيتيْن الأخيريْن"[٢].

غير أنّ عرض أبي العلاء لثقافاته ومحفوظه ومعارفه، كان نابعاً، غالباً، من فكره اليقظ، القادر على توظيف المعرفة في مكانها المُناسب بعد تشذيبها وتهذيبها؛ لتخدم الفكرة الّتي تُعبّر عنها.

-٣-

وإذا كانت معارف أبي العلاء في اللُّغة والنّحو والعروض، تُدلّل على إحاطة صاحبها بالعربيّة، إحاطة مكّنته من انتخاب ما أراد منها لتحقيق أغراضه، وتأكيد تفوُّقه وتميُّزه وانفراده؛ فإنّ لُغة الرّسالة نفسها لتُدلّل على ذلك أيضاً؛ ففيها الغريب، والشّائع، والقليل التّداول، والمُتعدِّد الدّلالة، وهي على الجُملة جزلة، قويّة، ألفاظها مُختارة لتُعبّر بقوّة عن المعاني، مُتوائمة، مُترابطة، تُفسّر خُروج عباراتها على هذا القدر من الإحكام، وحُسن السّبك، وتُسوّغ وقوعها موقعاً حسناً مُثيراً في نفس مُتلقّيها وسَمْعه. وعباراتها مُترابطة، مُتعالقة، مُتداعية، ذات وقع موسيقيّ

---

[١] قَريبة الهُذليّة: ورد ذكرها في أبيات لابن تُرنى الهُذليّ في "شرح أشعار الهُذليّين"، ولم يُعرّف بها. قال ابن تُرنى يُجيب عَمْراً ذا الكلب بن العجلان بن عامر بن بُرد بن مُنبّه، وهو أحد بني كاهل، وكان جاراً لبني هُذيل، ويُسمّى ذا الكلب أو الكلب؛ لأنّ له كلباً لا يُفارقه:

قَريبةُ قدْ نأتْ غيرَ السُّؤالِ ... وأمْسَتْ منكَ نائيةَ الوصالِ

انظر: أبو سعيد السُّكّريّ، شرح أشعار الهُذليّين، حقّقه عبد السّتّار أحمد فرّاج، راجعه محمود محمّد شاكر، ج٢، ص٥٦٥، ٥٧٣.

[٢] أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاجع، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص٦٤٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لافت، هيّأه أبو العلاء لها، لا باعتنائه بتواؤم ألفاظها فحسب، بل باحتفائه بالعبارة القصيرة منها، وتجزئته للطّويلة، عبر ما يتخلّلها من عبارات معترضة، بعضها دُعائيّة، واعتنائه بالنّهايات المسجوعة، وإلزام نفسه بما لا يلزم من تماثُل غير حرف في نهاية كُلّ عبارتين منها، أو غير عبارة. أمّا فقرات الرّسالة فمُترابطة غالباً، تقود واحدتها إلى الأُخرى، لتتمّم المعنى وتستكمله، أو تُوضّحه، أو تتوسّع فيه.

والحقيقة أنّ لُغة الرّسالة بُرهان قويّ، لا على امتلاك صاحبها العربيّة، وعُمق معرفته بها فحسب، بل على نزعته العقليّة، تلك الّتي جعلت كُلّ شيء خاضعاً للتّقليب وإعادة النّظر، ومرآة عكست ما استحسنه الذّوق الأدبيّ في عصر صاحبها، وما راج فيه من أساليب فنيّة؛ كاستخدام المُحسّنات البديعيّة، فقد اعتنى أبو العلاء بها في رسالته اعتناء كبيراً، مُوشّياً معانيه بها، مُحدثاً من خلال بعضها وقعاً موسيقيّاً لعباراته، مُتّكئاً في ذلك، كما أشرت، على ثقافته اللُغويّة والمعرفيّة الواسعة، ودالاًّ عليها؛ فالرّسالة حافلة بصُور الجناس، والطّباق، والسّجع، ولُزوم ما لا يلزم، والتّورية، والإلغاز، وقد بدت هذه الصُّوَر سلسة، بعيدة عن التّكلُّف حيناً، ومُتكلّفة، لا تخفى فيها الصّنعة حيناً آخر، خفّف أبو العلاء منها عبر طرافة المعاني، والأحاجي اللُغويّة، والمُتقابلات اللفظيّة.

يقول أبو العلاء على لسان الصّاهل، مُستنكراً ما ادّعاه الشّاجِ من قرابته: "زعمت أنّي خالُك[١]! وأين الآفِق[٢] من اللئيم ولدته غافِق[٣]؟ وما بين الشَّرْبة والصَّرْبة[٤] من سُهْمة[٥]؟ وما

---

[١] هُنا استفادة من حكاية الحيوان الّتي تقول: "قيل للبغل: من أبوك يا بغل؟ قال: خالي الفرس".

[٢] الآفِق: الّذي بلغ الغاية في العلم والكرم وغيره من الخير. لسان العرب: مادّة (أفق).

[٣] غافِق: اسم قبيلة؛ وقد أشارت المُحقّقة إلى أنّها قبيلة تتّسم بالخُمول. ولم أجد ذلك في كُتب الأنساب، وإنّما وجدت أنّ بني غافِق بطن من عكّ، كان منهم في الإسلام رؤساء وأُمراء. انظر: أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاجِ، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن. شرح المُحقّقة، الهامش الأوّل، ص١١٠؛ لسان العرب: مادّة (غفق)؛ السّويديّ، سبائك الذّهب في معرفة قبائل العرب، ص٢٧٩.

[٤] الصَّرْبة: اللبن الحقين، الحامض جدّاً، واحدته صَرْبة وصَرَبة. لسان العرب: مادّة (صرب).

[٥] السُّهمة: القرابة. لسان العرب: مادّة (سهم).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قرابة البَيْدانة[١] إلى الرَّيْدانة[٢]؟ ليست الرَّقْلة عمّة للشّيحة[٣] ولا خالة. ما للجِنْس الهِدان[٤] وتنسُّباً[٥] في عبد المَدان[٦]! إنّ حليف الزّارة[٧] قد يقرُب من الفَزارة[٨]، ولا يكون السُّبَد[٩] أخا لُبَد[١٠]. فلا تغُرَّنك[١١] الأسماء، قبل الشّائم[١٢] كانت السّماء. ما العِكْرِمة[١٣] هتفت[١٤] بدَهْل[١٥]،

---

(١) البَيْدانة: الحمارة الوحشيّة، أُضيفت إلى البَيْداء، والجمع بَيْدانات. لسان العرب: مادّة (بيد).

(٢) الرّيدانة: ريح ليّنة الهُبوب. لسان العرب: مادّة (ريد).

(٣) الشّيحة: الواحدة من الشّيح، وهو نبات سُهْليّ يُتّخذ من بعضه المكانس، وهو من الأمرار، له رائحة طيّبة، وطعم مُرّ، وهو مرعىً للخيل والنّعَم، ومنابته التّيعان والرّياض. لسان العرب: مادّة (شيح).

(٤) الهِدان: الأحمق، الجافي، الوَخِم، الثّقيل في الحرب. لسان العرب: مادّة (هدن).

(٥) النِّسْبَة والنُّسْبَة والنَّسَب: القَرابة، وقيل: هي في الآباء خاصّة. وتَنَسَّبَ: ادّعى أنّه نسيبكَ؛ أي قريبكَ. لسان العرب: مادّة (نسب).

(٦) عبد المَدان: أشراف بني الحارث بن كعب، وشُجعانها في الجاهليّة، كان المُلك فيهم بنجران في اليمن. انظر: السُّوَيديّ، سبائك الذّهب في معرفة قبائل العرب، ص١٥٣.

(٧) زَأْرَةُ الأسد: أجمته؛ وذلك لاعتياده إيّاها، وزوره لها، وزئيره فيها. والزَّأْرة: الأَجَمَة. لسان العرب: مادّة (زور).

(٨) الفَزارة: الأُنثى من التّمر. والفِزر: ابن التّمر. لسان العرب: مادّة (فزر).

(٩) السُّبَد: طائر إذا قَطَرَ على ظهره قطرة من ماء جرى. وقيل: هو طائر ليّن الرّيش، إذا قطر الماء على ظهره جرى من فوقه لليّنه، والعرب تُشبّه الفرس به إذا عرق. وقيل: السُّبَد: طائر مثل العُقاب، وقيل: هو ذكر العُقبان. وقيل: هو الخطّاف البرّيّ. لسان العرب: مادّة (سبد).

(١٠) لُبَد: آخر نُسور لُقمان بن عاد، سمّاه بذلك؛ لأنّه لَبِدَ فبقي لا يذهب ولا يموت. لسان العرب: مادّة (لبد).

(١١) غَرَّهُ يغُرُّهُ غَرّاً وغُروراً وغِرّة، فهو مَغرورٌ وغريرٌ: خدعهُ، وأطمعهُ بالباطل. لسان العرب: مادّة (غرر).

(١٢) الشّائم: من شامَ السّحابَ والبَرْقَ شيئاً؛ إذا نظرَ إليه أين يَقْصِدُ وأين يُمْطِر. لسان العرب: مادّة (شيم).

(١٣) العِكْرِمة: الحمامة الأُنثى. لسان العرب: مادّة (عكرم).

(١٤) هَتَفَتِ الحمامةُ هَتْفاً: ناحَتْ. والهَتْف والهُتاف: الصّوت الجافي العالي، وقيل: الصّوت الشّديد. لسان العرب: مادّة (هتف).

(١٥) دَهْل: ساعة من الليل. لسان العرب: مادّة (دهل).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كـ "عِكرمـة"[١] ولد أبي جهـل، ولا الطّلحـة[٢] رعتهـا[٣] الإبـل في الرّوحـات[٤]، كـ "طلحة الطّلحات"[٥]، ولا السّلَمة[٦] غضبها[٧] راع، كـ "سَلَمة" أخي القِراع[٨]"[٩].

---

(١) عِكْرمة بن أبي جهل عمرو بن هشام بن المُغيرة بن عبد اللّه بن عُمر المَخزوميّ (...- ١٣هـ= ...- ٦٣٤م): كان شديد العداوة لرسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم في الجاهليّة هو وأبوه، وكان فارساً مشهوراً، أسلم سنة ثمان بعد الفتح، وحسُن إسلامه، وكان مُجتهداً في قتال المُشركين. انظر في أخباره: ابن عبد البرّ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، صحّحه وخرّج أحاديثه عادل مُرشد، ط١، دار الأعلام، عمّان- الأُردنّ، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ص ص٥٨١- ٥٨٢.

(٢) الطّلحة: الواحدة من الطّلْح: أعظم العضاه، وأكثره ورقاً، وأشدّه خُضرة، وله شوك ضخام طوال، وله بَرَمة صَيّبة الرّيح، وشوكه من أقلّ الشّوك أذىً، ليس في العضاه أكثر صمغاً منه، ولا أضخم. لسان العرب: مادّة (طلح).

(٣) رَعَتِ الماشيةُ تَرْعى رَعْياً ورِعاية وارْتَعَتْ وتَرَعَّتْ: التمستِ الكلأ وارتادتْهُ. لسان العرب: مادّة (رعي).

(٤) راحَ القومُ وتَرَوَّحوا: ساروا في أيّ وقت كان. وقيل: أصل الرّواح أن يكون بعد الزّوال، وإذا قالت العرب: راحت الإبل تروحُ وتَراحُ رائحةً: فرواحها ههنا أن تأوي بعد غُروب الشّمس إلى مُراحها الّذي تبيت فيه. لسان العرب: مادّة (روح).

(٥) طلحة بن عبد اللّه بن خلف الخُزاعيّ، أبو المُطرف، وقيل: أبو مُحمّد، المعروف بطلحة الطّلحات (...- نحو ٦٥هـ= ...- نحو ٦٨٥م): أحد الأجواد والأسخياء المُفضّلين المشهورين، كان أجود أهل البصرة في زمانه. وسُمّي بذلك؛ لأنّه فاق في الجود خمسة أجواد، اسم كُلّ واحد منهم طلحة. وقال ابن دُريد: إنّ أُمّ طلحة ابنة الحارث ابن طلحة بن أبي طلحة العبدريّ؛ فلذلك سُمّي طلحة الطّلحات. كان هواه أُمويّاً، وكان بنو أُميّة يُكرمونه، وفي سنة ثلاث وستّين، بعث زياد بن سلم طَلحة الطّلحات والياً على سجستان، وبها مات. انظر في أخباره: صلاح الدّين الصّفديّ، الوافي بالوفيات، ج١١، ص ص٣١١- ٣١٢؛ عبد القادر البغداديّ، خزانة الأدب ولُبّ لُباب لسان العرب، تحقيق وشرح عبد السّلام مُحمّد هارون، ج٨، ص ص١٤- ١٦.

(٦) السّلَمة: الواحدة من السّلَم، وهو شجر من العِضاه، ورقها القرظ الّذي يُدْبَغ به الأديم، وجمعه على سَلَمات. لسان العرب: مادّة (سلم).

(٧) غضبها: قطعها. لسان العرب: مادّة (غضب).

(٨) سلمة أخو القِراع: هو الصّحابيّ سَلَمَة بن عمرو بن الأكوع، سنان بن عبد اللّه بن قُشير بن خُزيمة بن مالك ابن سَلامان بن الأفصى الأسلميّ (...- ٧٤هـ= ...- ٦٩٣م): أبو مُسلم. وقيل: أبو عامر. والأكثر: أبو إياس، بابنه إياس، وكان ممّن بايع تحت الشّجرة، وكان شُجاعاً، رامياً، سخيّاً، خيّراً، فاضلاً. وقد عمّر طويلاً. روى عنه جماعة من تابعي أهل المدينة. قال عنه ابنه إياس: ما كذب أبي قطّ. وروى عن أبيه، عن النّبيّ، صلّى اللّه عليه وسلّم، أنّه قال: "خير رجّالتنا سلمة بن الأكوع". انظر في أخباره: ابن عبد البرّ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، صحّحه وخرّج أحاديثه عادل مُرشد، ص٣٠٥.

(٩) أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاحج، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص ص١١٠- ١١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولا تُخالف المعاني المطروحة في الرّسالة ما ذهبنا إليه من سعي أبي العلاء إلى إيقاف المُتلقّي على تميُّزه، حتّى لو كان الكثير منها شائعاً معروفاً، أسهم في كونه كذلك، إيراد أبي العلاء لكثير من الشّواهد الشّعريّة والنّثريّة بلفظها ومعناها، وتضمين رسالته كثيراً من معارفه، فتميُّز أبي العلاء في هذا الجانب بأُسلوب إعادة تقديمه للمعاني المعروفة، وربطها بواقع الحال السّياسيّ، والاجتماعيّ، والعقائديّ، والثّقافيّ، في حلب وأعمالها، هذا الرّبط الّذي جعلها أقرب مأخذاً، وأكسبها دلالات جديدة، مثلما أجلى صورة الواقع، وألقى على مواقف أبي العلاء ظلالاً.

يقول أبو العلاء على لسان الشّاجر، مُقارباً أحوال المُلوك بأحوال الأفعال: "والمُلوك بعدُ ينقسمون كانقسام الأفعال، فمنهم من يشبه فِعله الفعل المُتعدّي إلى مفعولَيْن، ولا يجوز الاقتصار على أحدهما، مثل: ظننتُ وخِلتُ وبابهما، وذلك من المُلوك من يعمل فعله في رعيّته، ولا يكون له بُدّ من مُحاربة عدوّه. ومنهم من هو كالفعل الّذي يتعدّى إلى مفعولَيْن، ويجوز الاقتصار على أحدهما دون الآخر، مثل أعطيتُ وكسوتُ، وذلك الّذي يعمل فعله في رعيّته؛ فيكون له عدوّ مرّة يُحاربه ومرّة يُسالمه. وأمّا الفعل الّذي يتعدّى إلى مفعول واحد، فمثله كثير في المُلوك والعامّة والوُلاة: فملك يعمل فعله في الرّعيّة فقط، وذلك الّذي تكون فوق يده يد عالية، ووال ينفُذ[1] فعله في أهل ولايته، وعامّيّ ينفُذ فعله في أهله وعياله. والوحيد من بني آدم، مثله مثل الفعل الّذي لا يتعدّى إلى مفعول، مثل قامَ وقعدَ، وإنّما هو مقصور على فاعله لا غير. وفعل لا يصل إلى العمل إلاّ بحرف جرّ، مثل مررتُ وبابها، ومثله مثل الأعمى والأعرج لا يصلان إلى كثير من المآرب إلاّ بمُعين. ومن الأفعال ما له فاعل لا يظهر، وذلك فعل التّعجُّب في قولك: ما أحسنَ زيداً! فذلك مثل لمن لَزِم بيته من النّاس فلم

---

[1] النّفاذ: الجواز. نَفَذَ يَنْفُذُ نَفاذاً ونُفوذاً: جازَ. ورجل نافِذ في أمره، ونَفوذٌ ونَفّاذٌ: ماضٍ في جميع أمره. وأمره نافذ: مُطاع. لسان العرب: مادّة (نفذ).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يتصرّف مع القوم، ولم يُعايش العوامّ. ومن كان من أوزاع[١] النّاس يُدبّر ابنه وأخاه دون غيره، فهو بمنزلة كان وأخواتها، تعمل في فاعل ومفعول، وهما لِعَيْن[٢] واحدة. وفي المُلوك من يكون فعله كالفعل المُتعدّي إلى مفعولَيْن، ثُمّ يُلغى بعد ذلك، مثل ما قال "اللعين المِنقَريّ"[٣]:

أبا الأراجيزِ[٤] يا ابنَ اللؤمِ تُوعِدُني وفي الأراجيزِ، خِلتُ، اللؤمُ والخَوَرُ[٥][٦]

---

[١] أوزاع النّاس: فرقهم وجماعاتهم. لسان العرب: مادّة (وزع).

[٢] عَيْنُ الشّيء: نفسه وشخصه وأصله، والجمع أعيان. لسان العرب: مادّة (عين).

[٣] مُنازل بن زَمْعة التّميميّ المِنقَريّ، أبو أُكَيْدِر (...- نحو ٧٥هـ= ...- نحو ٦٩٥م): شاعر إسلاميّ هجّاء، قيل: إنّه لُقّب باللعين، لأنّ عُمَر بن الخطّاب سمعه يُنشد شعراً والنّاس يُصلّون، فقال: مَنْ هذا اللعين؟ فعلق به هذا الاسم. وقد هجا جريراً والفرزدق، وقد أراد أن يذكُراه، فيرفعه ذلك، فلم يلتفتا لِنَتْهُ. انظر في أخباره: الجمحيّ، طبقات فُحول الشُّعراء، قرأه وشرحه محمود مُحمّد شاكر، السّفر الثّاني، ص ص٤٠٢- ٤٠٣؛ ابن قُتيبة، الشّعر والشُّعراء، تحقيق وشرح أحمد مُحمّد شاكر، ج١، ص٤٩٠؛ عبد القادر البغداديّ، خزانة الأدب ولُبّ لُباب لسان العرب، تحقيق وشرح عبد السّلام مُحمّد هارون، ج٣، ص ص٢٠٧- ٢٠٩.

[٤] الرَّجَز: بحرٌ من بُحور الشّعر معروف، ونوعٌ من أنواعه، يكون كُلّ مصراع منه مُفرداً، وتُسمّى قصائده أراجيز، واحدتها أُرجوزة، وهي كهيئة السَّجْع، إلاّ أنّه في وزن الشّعر، ويُسمّى قائله: راجِزاً، كما يُسمّى قائل بُحور الشّعر: شاعِراً. لسان العرب: مادّة (رجز).

[٥] الخَوَر: الضّعف. لسان العرب: مادّة (خور).

[٦] المعنى: أتوعدني بأراجيزك، وأنت لا تُحسن الشّعر والتّصرّف في أنواعه؟ وأين رجزك من الشّعر؟ إنّ الأراجيز مظنّة لُؤم الطّبيعة، وضعف النّفس. وهذا البيت من شواهد سيبويه، والشّاهد فيه جواز إلغاء عمل "خال" إذا توسّطت بين المُبتدأ والخبر، أو تأخّرت عنهما. وقد أشار سيبويه إلى أنّه في هجاء العجّاج. وقد ورد البيت في الحماسة الصّغرى لأبي تمّام، وهو في هجاء رُؤبة، ويتقدّمه بيت ويتأخّر عنه آخر:

"أبالأراجيزِ يا ابنَ اللُّؤمِ تُوعِدُني إنّ الأراجيزَ رأسُ اللُّؤمِ والفَشَلِ

إنّي أنا ابنُ جلا إنْ كُنتَ تعرِفُني يا رؤبَ والحيّةُ الصّمّاءُ في الجبلِ

ما في النّوابرِ مِنْ رجليّ مِنْ عَنَتٍ عندَ الرّهانِ ولا أُكوى منَ الغَفَلِ"

انظر: سيبويه، الكتاب، تحقيق وشرح عبد السّلام مُحمّد هارون، ط٤، مكتبة الخانجي، القاهرة- مصر، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ج١، ص ص١١٨- ١٢٠، والهامش الأوّل، ص١٢٠؛ أبو تمّام الطّائيّ، كتاب الوحشيّات=

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فذلك مثل الملك الّذي زالت مملكتهُ"[١].

وقد أشرنا إلى أنّ أبا العلاء قد احتفى بتحميل المعنى الواحد لغير عبارة، وتقديمه بأشكال مُختلفة، ليُؤكّد ما ذهب إليه من جهة، ويُدلّل على سَعَة معرفته وامتلاكه للُّغة من جهة ثانية، وأنّه كان يستطرد فيقوده المعنى الواحد إلى معانٍ كثيرة، وأنّه إذا جاء على ذكر قضيّة، استوفى ما جاء فيها من آراء ومواقف، قبل أن يُرجّح رأياً، أو يأتي بجديد، مُدلّلاً على ما يتمتّع به من استقصاء، وتحقيق، وأصالة تفكير، تنجو من التّبعيّة والتّقليد الأعمى.

يقول أبو العلاء على لسان الشّاحج، حاملاً كلمة "الفُرات" على الفأل والطّيَرة: "وكانوا يردون الفُرات[٢]، وحسبك به مورداً، ويُراحون من وِرد مياه مُطْلِبة[٣]، كما قال الرّاجز[٤]:

=وهو الحماسة الصُغرى، علّق عليه وحقّقه عبد العزيز الميمنيّ الرّاجكوتي، وزاده محمود مُحمّد شاكر، دار المعارف، القاهرة- مصر، ١٩٦٢م، ص٨٣؛ أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاحج، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، شرح المُحقّقة، الهامش الأوّل، ص٤٢٥.

[١] أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاحج، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص ص٤٢٣- ٤٢٥.

[٢] الفُرات: نهر نبعه في أرمينية، يجري في تُركيا، مُخترقاً جبال طوروس وسورية والعراق. والفُرات في أصل كلام العرب: أعذب المياه. انظر: ياقوت الحَمَويّ، مُعجم البُلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجُندي، ج٤، ص٢٧٤؛ مجموعة من المُؤلّفين، المُنجد في اللُّغة والأعلام، ص٥٢١.

[٣] مُطلِبة: بعيدة. لسان العرب: مادّة (طلب).

[٤] أشار ابن منظور إلى أنّ الأبيات لابن الأعرابيّ.
وابن الأعرابيّ هو مُحمّد بن زياد، المعروف بابن الأعرابيّ، أبو عبد اللّه (١٥٠- ٢٣١هـ= ٧٦٧- ٨٤٥م): كوفيّ الأصل، مولى العبّاس بن مُحمّد- من رجالات بني هاشم - ولي الجزيرة في أيّام الرّشيد. وكان عجباً في معرفة اللُّغة والأنساب، وكان نحوياً، كثير السّماع، راوية لأشعار القبائل، كثير الحفظ، لم يكن في الكوفيّين أشبه=

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا تَــرِدَنَّ المـــــاءَ إلاّ آبِيـــــةً[١] أخشَى عليكَ مَعْشَراً[٢] قراضِبةً[٣]

سُودَ الوُجوهِ يأكلونَ الآهِبَة

يعني: جمع إهاب، والفُرات: العذب من الماء، وبذلك سُمّي هذا النّهر. فأمّا قول بني كلاب[٤]: الفُراة، فوهم منهم. والدّليل على أن التّاء من الأصل، قولهم في النّسب: فُراتيّ، فأثبتوا التّاء. ولو أنّها للتّأنيث كما يظنّ هؤلاء، لسقطت في النّسب. قال "الأعشى"[٥]:

=رواية البصريّين منه. من تصانيفه: كتاب "النّوادر"، وكتاب "الخيل"، وكتاب "تاريخ القبائل"، وكتاب "معاني الشّعر"،وكتاب "تفسير الأمثال". انظر في أخباره: القفطيّ، إنباه الرّواة على أنباه النّحاة، تحقيق مُحمّد أبي الفضل إبراهيم، ج٣، ص ص١٢٨- ١٣٧؛ ابن خلّكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، المجلّد الرّابع، ص ص٣٠٦- ٣٠٩؛ صلاح الدّين الصّفديّ، الوافي بالوفيات، ج٢، ص١٧٦؛ لسان العرب: مادّة كُلّ من "أهب" و "أوب".

(١) أُبْتُ الماءَ وتأَوَّبْتُهُ: وردته ليلاً. والآبية: أن ترد الإبل الماء كُلّ ليلة. لسان العرب: مادّة (أوب).

(٢) المَعْشَر: جماعة الرّجال دون النّساء، لا واحد لهم من لفظهم. لسان العرب: مادّة (عشر).

(٣) القراضِبة: اللُصوص. لسان العرب: مادّة (قرضب).

(٤) بنو كلاب: بطن من عامر بن صَعْصَعة، كانت ديارهم في جهات المدينة، وفدك والعوالي، ثُمّ انتقلوا بعد ذلك إلى الشّام، فكان لهم في الجزيرة الفُراتيّة سبط، وملكوا حلب ونواحيها، وكثيراً من مُدن الشّام، وأوّل من ملك منهم صالح بن مرداس. ثُمّ ضعفوا، وصاروا تحت خفارة الأُمراء من آل ربيعة من عرب الشّام. السُّويْديّ، سبائك الذّهب في معرفة قبائل العرب، ص١٦٦.

(٥) ميمون بن قيس بن جندل، من بني قيس بن ثعلبة الوائليّ، أبو بصير، المعروف بأعشى قيس، ويُقال له: أعشى بكر بن وائل، والأعشى الكبير (...- ٧هـ= ...- ٦٢٩م): في الطّبقة الأولى من طبقات فُحول الشّعراء الجاهليّين. كان جاهليّاً قديماً، وأدرك الإسلام في آخر عُمره، ومات قبل أن يُسلم، وهو من أكثر الشّعراء عروضاً، وأذهبهم في فُنون الشّعر، وأكثرهم طويلة جيّدة، وأكثرهم مدحاً، وهجاءً، وفخراً، ووصفاً. انظر في أخباره: الجُمحيّ، طبقات فُحول الشُّعراء، قرأه وشرحه محمود مُحمّد شاكر، القسم الأوّل، ص٥٢، ص ص٦٥- ٦٧؛ ابن قُتيبة، الشّعر والشُّعراء، تحقيق وشرح أحمد مُحمّد شاكر، ج١، ص ص ٢٥٠- ٢٥٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ما يُجْعَلُ الجُـــدُّ[١] الظَّنونُ[٢] الّـذي جُنِّبَ[٣] صَـوْبَ[٤] الغَدَقِ[٥] الماطرِ
مثلَ الفُـراتيِّ[٦] إذا مـــا طَمـــا[٧] يقـــذفُ بالبوصِيِّ[٨] والماهِر[٩][١٠]

---

[١] الجُدُّ: البئر القليلة الماء. لسان العرب: مادّة (جدد).

[٢] مَشْرب ظَنون: لا يُدرى أبه ماء أم لا. لسان العرب: مادّة (ظنن).

[٣] جَنَّبَ الشّيءَ: بَعُدَ عنه. لسان العرب: مادّة (جنب).

[٤] الصَّوْب: نُزول المطر. وصابَ المطرُ صَوْباً، وانصابَ: انْصَبَّ. وهو مطر صَوْبٌ وصَيِّبٌ وصَيُوبٌ. لسان العرب: مادّة (صوب).

[٥] الغَدَق: المطر الكثير العامّ. لسان العرب: مادّة (غدق).

[٦] الفُراتيّ: المنسوب إلى الفُرات. لسان العرب: مادّة (فرت).

[٧] طما الماءُ يَطْمو طُمُوّاً ويَطمي طُمِيّاً: ارتفع وعلا وملأ النّهرَ. لسان العرب: مادّة (طما).

[٨] البوصِيّ: الملاّح. لسان العرب: مادّة (بوص).

[٩] الماهر: السّابح. لسان العرب: مادّة (مهر).

[١٠] البيتان من قصيدة رائيّة، يهجو فيها علقمة بن عُلاثة الكلابيّ (...- نحو ٢٠هـ= ...- نحو ٦٤٠م) - من أشراف بني عامر بن صعصعة - ويمدح عامراً بن الطُّفيل (٧٠ق.هـ- ١١هـ= ٥٥٤- ٦٣٢م)- فارس بني عامر بن صعصعة، وأحد فُتّاك العرب، وشُعرائهم، وساداتهم في الجاهليّة – في المُنافرة الّتي جرت بينهما، ومطلعها:

"شاقَتْكَ مِـنْ قتلةٍ أطلالُها بالشَّـــطِّ فالوِتْرِ إلى حاجِـرِ"

والبيتان في الدّيوان:

"مـا يُجْعَلُ الجُدُّ الظَّنونُ الّذي جُنِّبَ صَوْبَ اللجِبِ الزّاخِرِ
مِثْـــلَ الفُراتيِّ، إذا مـا طمـا يقـذِفُ بالبوصِيِّ والماهِـرِ"

انظر: الأعشى، ديوان الأعشى، ط١، دار بيروت للطّباعة والنّشر- دار صادر للطّباعة والنّشر، بيروت- لبنـــان، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م، ص ص٩٢- ٩٦؛ خير الدّين الزّركلي، الأعلام، ج٣، ص٢٥٢، ج٤، ص ص٢٤٧- ٢٤٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والنّاس بعدُ، على تذكير الفُرات. قال "النّابغة":

فما الفُــراتُ إذا جاشَــتْ[١] غوارِبُهُ[٢] تَرمي أواذِيُّهُ[٣] العِبْرَيْنِ[٤] بالزَّبَدِ[٥][٦]

ولو كان كما يقول هؤلاء، لوجب أن يكون مُؤنّثاً.

وعلى أيّ الأمرين حُمِل أمر الفُرات، فهو فأل بالخير لمن نزل به، أمّا على القول الأوّل الصّحيح، فإنّ اللّه تعالى قال:

﴿وَأَسْقَيْنَاكُمْ ماءً فُراتاً﴾[٧]؛ أي عذباً.

---

[١] جاشَ: فارَ وارتفع. لسان العرب: مادّة (جيش).

[٢] غوارب الماء: أعاليه،وقيل: أعالي موجه. لسان العرب: مادّة (غرب).

[٣] الآذِيُّ: الموج، والجمع الأواذِيّ. لسان العرب: مادّة (أذي).

[٤] العِبران: مُثنّى عِبْر، وهو الشّطّ والجانب. لسان العرب: مادّة (عبر).

[٥] زَبَدُ الماء والجرّة واللُّعاب: طُفاوته وقَذاه، والجمع أزباد. لسان العرب: مادّة (زبد).

[٦] البيت من قصيدة داليّة مشهورة للنّابغة في مدح النُّعمان بن الحارث بن جبلة بن الحارث الغسّانيّ (...- نحو ٤٣ ق.هـ= ...- نحو ٥٨١م) – من مُلوك الغسّانيّين في أطراف الشّام - والاعتذار إليه عمّا رماه به المُنخّل اليَشْكُريّ (...- نحو ٢٠ ق.هـ= ...- نحو ٦٠٣م) – شاعر قديم جاهليّ - وأبناء قريع بن عوف، وتبرئة نفسه من وشايتهم، ومطلعها:

"يـا دارَ ميّـةَ بالعليـاءِ، فالسَّنَدِ أقْوَتْ، وطَالَ عليها سالِفُ الأبَدِ"

والبيت في الدّيوان:

"فما الفُراتُ، إذا هبَّ الرّياحُ لهُ ترمي أواذِيُّــهُ العِبْرِيْــنِ بالزَّبَــدِ"

انظر: النّابغة الذُّبيانيّ، ديوان النّابغة الذُّبيانيّ، تحقيق محمّد أبي الفضل إبراهيم، ص ص١٤- ٢٨؛ ابن قتيبة، الشّعر والشّعراء، تحقيق وشرح أحمد محمّد شاكر، ج١، ص١٦٥، ٣٩٢؛ خير الدّين الزّركلي، الأعلام، ج٧، ص٢٩١، ج٨، ص٣٧.

[٧] من الآية السّابعة والعشرين من سورة المرسلات. والآية ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا﴾.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فأمّا قول "الهُذَليّ"[١] يَصفُ الدُّرّة:

فجاءَ بها ما شئتَ منْ لَطَمِيَّةٍ[٢] يدومُ[٣] الفُراتُ فوقَها ويموجُ[٤][٥]

فقد اختلف النّاس فيه: فكان بعضهم يُخطِّئُ "أبا ذؤيب" في قوله[٦]، ويجعله مثل قول الآخر:

بَرِيَّـــةٌ لَـمْ تأكلِ المُرَقَّقا ولم تَذُقْ مِنَ البقولِ الفُسْتُقا[٧]

---

[١] خُوَيلد بن خالد بن مُحَرِّث بن زُبَيْد بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هُذَيـــل، أبو ذُؤيب (...- نحو ٢٧هـ= ...- نحو ٦٤٨م): شاعر من مُضر، في الطّبقة الثّالثة من فُحول الشُّعراء الجاهليّين، وهو جاهليّ إسلاميّ، قال عنه الجُمحي: إنّه شاعر فحل، لا غميزة فيه ولا وهن. وكان أبو ذُؤيب راوية لساعدة ابن جُؤيّة الهُذليّ. وقد شارك في الغزو والفُتوح، ومات أثناء خُروجه في مغزىً نحـو المغـرب مع عبد اللّه بن الزُّبير، فدلاّه عبد اللّه بن الزُّبير في حُفرته. انظر: الجُمحيّ، طبقات فُحول الشُّعراء، قرأه وشرحه محمود مُحمّد شاكر، السِّفر الأوّل، ص١٢٣، ص ص١٣١- ١٣٢؛ ابن قُتيبة، الشّعر والشُّعراء، تحقيق وشرح أحمد مُحمّد شاكر، ج٢، ص٦٣٩؛ خير الدّين الزّركلي، الأعلام، ج٢، ص٣٢٥.

[٢] اللَّطَميّة: الدُّرّة. لسان العرب: مادّة (لطم).

[٣] دامَ البحرُ يدومُ: سَكَنَ. لسان العرب: مادّة (دوم).

[٤] ماجَ البحرُ يموجُ: اضطربتْ أمواجُهُ. لسان العرب: مادّة (موج).

[٥] الأبيات من قصيدة جيميّة له، ومطلعها:

"صبا صَبْوةً بلْ لَجَّ وَهْوَ لَجوجُ وزالَتْ لهُ بالأنْعَمَيْنِ خُدوجُ"

والبيت في "ديوان أبي ذُؤيب" وفي "شرح ديوان الهُذليّين":

"فجاءَ بها ما شِئْتَ من لَطَمِيّةٍ تدومُ البحار فوقَها وتموجُ". انظر: أبو ذُؤيب الهُذليّ، ديوان أبي ذُؤيب الهُذليّ، تحقيق وشرح أنطونيوس بُطرس، ط١، دار صادر للطّباعة والنّشر، بيروت- لبنان، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص ص٤٤-٥٤؛ أبو سعيد السُّكّريّ، شرح أشعار الهُذليّين، حقّقه عبد السّتّار أحمد فرّاج، راجعه محمود مُحمّد شاكر، ج١ ، ص ص١٣٠- ١٣٩.

[٦] قال ابن قُتيبة: "وأخذ على أبي ذُؤيب قوله في صفة الدُّرّة... قالوا: الدُّرّة لا تكون في الماء الفُرات. إنّما تكون في الماء الملح، ويُـروى تـدوم البحار، وفي هذه الرّواية نفي النّقْط عنه، وتدوم أي تسكن في الماء الدّائم. ابن قُتيبة، الشّعر والشُّعراء، تحقيق وشرح أحمد مُحمّد شكر، ج٢، ص٦٤٤.

[٧] البيت لأبي نُخَيلة، وهو يَعْمَر بن حَزْن بن زائدة بن لُقيط بن هدم، من بني جَمّان عبد العُزّى بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم، الجَمّانيّ السّعديّ التّميميّ (...- نحو ١٤٥هـ= ...- نحو ٧٦٢م)، أبو زُبَيْد، وهو شاعر=

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وظنّ أنّ الفُستُق من البُقول، كما ظنّ "أبو ذُؤيب" أنّ الدُّرّة تكون في الماء العذب.

وقام قوم: هذا خطأ من قائله. وكيف يخفى على "أبي ذُؤيب" ذلك وهو في جبال هُذَيل[١] بنواحي مكّة، والبحر منها قريب؟ وإنّما أراد "أبو ذُؤيب" أنّ الدُّرّة تكون صدفتها في ماء عذب، لأنّ البحر تكون فيه مواضع ينبع منها الماء العذب.

وقال بعض النّاس: إنّما أراد ماء يكون مع الدُّرّة في الصّدفة، فإذا شُقّت خرج، ولا يكون إلاّ عذباً. لأنّها عندهم – واللّه أعلم – تُخلقُ من ماء المطر. ولأجل ذلك الماء الّذي يخرج إذا فُضّت الصّدفة، قيل للدُّرّة: عذراء. وإلى هذا القول ذهب "الحَسَن بن عبد اللّه السّيرافيّ"[٢].

وأنا أقول في ذلك قولَيْن آخريْن: أحدهما، أن يكون عنى بالفُرات ماء مثل ماء "الفُرات" في الكثرة، لأنّهم يضربون المثل به إذا مَدّ. والآخر، أن يعني بالفُرات ماء الدُّرّة ورونقها، فسمّاه فُراتاً على معنى الاستعارة. ويكون قوله يدوم الفُرات في القول الأوّل، على

=راجز، مُحسن مُتقدّم في القصيد والرّجز، كُني أبا نُخَيْلة؛ لأنّ أُمّه ولدته إلى جنب نخلة. كان يُهاجي العجّاج. وقد أُخذ عليه هذا البيت في وصف امرأة. انظر في أخباره: ابن قُتيبة، الشّعر والشُّعراء، تحقيق وشرح أحمد مُحمّد شاكر، ج٢، ص٥٨٧؛ الآمديّ، المُؤتلف والمُختلف في أسماء الشُّعراء وكُناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم، بتصحيح وتعليق ف. كرنكو، ص١٩٣؛ عبد القادر البغداديّ، خزانة الأدب ولُبّ لُباب لسان العرب، تحقيق وشرح عبد السّلام مُحمّد هارون، ج١، ص ص١٦٣- ١٦٥.

[١] هُذيل بن مُدركة بن إلياس بن مُضر، من عدنان: جدّ جاهليّ، بنوه قبيلة كبيرة. كانوا أكثر سُكّان "وادي نخلة" المُجاور لمكّة، ولهم منازل بين مكّة والمدينة. وكانوا أهل عدد وعدّة ومنعة، واشتُهر منهم كثيرون في الجاهليّة والإسلام. وكان منهم عدد كبير من الشُّعراء. انظر: لسان العرب: مادّة (هذل)؛ خير الدّين الزّركليّ، الأعلام، ج٨، ص٨٠.

[٢] الحسن بن عبد اللّه بن المَرْزُبان، أبو سعيد القاضي السّيرافيّ النّحويّ (٢٨٤- ٣٦٨هـ= ٨٩٧- ٩٧٩م): كان إماماً كبير الشّأن، وقد تصدّر لإقراء القراءات، والنّحو، واللّغة، والفقه، والفرائض، والحساب، والعروض. وكان من أعلم النّاس بنحو البصريّين، عارفاً بفقه أبي حنيفة. من تصانيفه: كتاب "الإقناع في النّحو"، الّذي كمّله ابنه يوسف بعد موته، وكتاب "أخبار النّحاة"، وكتاب "صناعة الشّعر والبلاغة"، وكتاب "شرح مقصورة ابن دُريد"، وكتاب "شرح كتاب سيبويه"، وكتاب "ائتلاف القطع والوصل". انظر في أخباره: القِفْطيّ، إنباه الرّواة على أنباه النّحاة، تحقيق محمّد أبي الفضل إبراهيم، ج١، ص ص٣٤٨- ٣٥٠؛ صلاح الدّين الصّفديّ، الوافي بالوفيات، ج٨، ص ص٢٢٧- ٢٢٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

منهاج قولهم: جاءهم الشّوك والشّجر، أي جمع كثير. وإن حملته على قول بني كلاب، فهو جمع فار، والفاري القاطع على جهة الإصلاح. ومن ذلك قولُهم: جاء يَفري الفَريّ؛ أي يعمل عملاً مُحكماً. وقال "زُهَير"[١]:

وَلأنتَ تَفري[٢] ما خلقتَ[٣] وبَعْـ ـضُ القومِ يَخلُقُ[٤] ثُمَّ لا يَفري[٥]

---

[١] زُهير بن ربيعة بن قُرط ربيعة بن رياح (...- ١٣ق.هـ= ...- ٦٠٩م)، والنّاس ينسبونه إلى مُزَينة، وإنّما نسبه في غطفان: شاعر جاهليّ، في الطّبقة الأولى من فُحول الشُّعراء الجاهليّين، لم يُدرك الإسلام. ويُقال: إنّه لم يتّصل الشّعر في ولد واحد من الفُحول في الجاهليّة كما اتّصل بزهير. قال أبو عُبيدة: يقول مَنْ فَضّل زُهيراً على جميع الشُّعراء، إنّه أمدح القوم، وأشدّهم أسر شعر. انظر في أخباره: الجُمحيّ، طبقات فُحول الشُّعراء، قرأه وشرحه محمود مُحمّد شاكر، السِّفر الأوّل، ص٥١، ص ص٦٣- ٦٤، ٨٩- ٩٢؛ ابن قُتيبة، الشّعر والشُّعراء، تحقيق وشرح أحمد مُحمّد شاكر، ج١، ص ص ١٣٧- ١٥٢؛ خير الدّين الزّركلي، الأعلام، ج٢، ص٣٢٥.

[٢] العرب تقول: تركته يَفْري الفَرِيّ، إذا عمل العمل أو السّقي فأجاد. والفَرْي: القَطْع. لسان العرب: مادّة (فرا).

[٣] خَلَقْتَ: قدّرت أمراً. لسان العرب: مادّة (خلق).

[٤] أي: أنت إذا قدّرت أمراً قطعته وأمضيته، وغيرُك يُقدّر ما لا يقطعه، لأنّه ليس بماضي العَزم مثلك، وأنت مضاء على ما عزمت عليه. لسان العرب: مادّة (خلق).

[٥] البيت من قصيدة رائيّة له في مدح هرم بن سِنان بن أبي حارثة المُرّيّ (...- نحو ١٥ ق.هـ= ...- نحو ٦٠٨م)- من أجواد العرب في الجاهليّة، وهو ممدوح زُهير بن أبي سُلمى - ومطلعها:

"لِمَنِ الدّيارُ بقُنّةِ الحَجْرِ أقْوَيْنَ مِنْ حِجَجٍ ومِنْ شَهْرِ؟"

والبيت في الدّيوان:

"فلأنتَ تفري ما خلقتَ وبعضُ القَـومِ يَخْلُـقُ ثُمّ لا يفري"

انظر: زُهير بن أبي سُلمى، ديوان زُهير بن أبي سُلمى، تحقيق وشرح كرم البُستانيّ، ط١، دار صادر للطّباعة والنّشر- دار بيروت للطّباعة والنّشر، بيروت- لبنان، ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م، ص ص٢٧- ٣٠، وشرح المحقّق، الهامش الأوّل، ص٢٧؛ خير الدّين الزّركلي، الأعلام، ج٨، ص٨٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإن شئت جعلته جمع فارٍ، من قولك: فرى الحديث يفريه فرياً، إذا كذبه. قال "حُمَيْد بن ثور الهلاليّ"[١]:

وليستْ مِنَ اللائي يكونُ حديثُها ... أمامَ بُيوتِ الحيِّ: إنَّ وإنَّما

أحاديثَ لا تُغني[٢] فَتيلاً[٣] وإنّما ... فرتْ[٤] كذباً بالأمسِ قيلاً[٥] مُرجَّماً[٦][٧]

فيكون المعنى في الفأل: إنّ هذا الحديث المذكور عن العدوّ كذب وافتراء"[٨].

---

[١] حُمَيْد بن ثَوْر بن حَزن الهلاليّ العامريّ، أبو المُثنّى (...- نحو ٣٠هـ= ...- نحو ٦٥٠م)، من بني عامر بن صَعْصَعة: شاعر جاهليّ إسلاميّ مُجيد، في الطّبقة الرّابعة من فُحول الشُّعراء الإسلاميّين، له كثير من الأبيات الّتي تتّسم بحُسن التّشبيه، وله هجاء مُقْذع، انظر في أخباره: الجُمحيّ، طبقات فُحول الشّعراء، قرأه وشرحه محمود مُحمّد شاكر، السّفر الثّاني، ص ص٥٨٣- ٥٨٥؛ ابن قُتيبة، الشّعر والشُّعراء، تحقيق وشرح أحمد مُحمّد شاكر، ج١، ص ص٣٧٨- ٣٨٢.

[٢] أغنى عنه غَناء: ناب عنه، وأجزأ، وكَفاه. لسان العرب: مادّة (غنا).

[٣] الفتيل: ما فتلته بين أصابعك، وقيل: ما يخرج من بين الإصبعين إذا فتلتهما. يُضرب للشّيء التّافه الحقير القليل. لسان العرب: مادّة (فتل).

[٤] فَرَتْ: اختَلَقَتْ. لسان العرب: مادّة (فرا).

[٥] القيل: لُغة في القول. لسان العرب: مادّة (قول).

[٦] كلام مُرَجَّم: من غير يقين. والرَّجْم: القذف بالغيب والظَّنّ. لسان العرب: مادّة (رجم).

[٧] البيتان من قصيدة ميميّة عن عشيقته أسماء، مطلعها:

"ألا هيّما مِمّا لقيتُ وهَيَّما ... لِمَنْ لَمْ ألْقَ منهنَّ وَيْحما"

والبيتان في الدّيوان:

"وليستْ منَ اللائي يكونُ حديثُها ... أمامَ بُيوتِ الحيِّ إنَّ وإنَّما

أحاديثَ لم يُغْتَبْنَ شيئاً وإنّما ... فرتْ كذباً بالأمسِ قيلاً مُرجّما"

انظر: حُمَيْد بن ثَوْر الهلاليّ، ديوان حُمَيْد بن ثَوْر الهلاليّ، إشراف مُحمّد يوسف نجم، ط١. دار صدر للطّباعة والنّشر، بيروت- لبنان، ١٩٩٥م، ص ص٩٠- ١٠٥.

[٨] أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاحج، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص ص٦٢١- ٦٢٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتُظهر معاني أبي العلاء في رسالته صدق إحساسه وقُوّة انفعاله بها، ولعلّ ذلك نابع من أنّ المعاني الّتي جاء بها أبو العلاء، أو استعارها من غيره، قد صدرت عن فلسفته، ورُؤيته في الحياة، وموقفه منها، وتجربته فيها، أو وافقت ذلك كُلّه. يقول أبو العلاء على لسان الشّاجِ: "والقدر نوعان: جَدّ[١]، وحَدّ[٢]، فالجَدّ يرعى[٣] النّعم[٤] وربّه نائم، ويحفظ بيت المُكثر، وقعيدته[٥] غائبة، ويحوط[٦] اللاعب، وإن لمس بيده الأراقم[٧]، ويُطْعِم الهِجْرِس[٨] فريس الضّيغم، والغُراب الأبقع[٩] قنيص[١٠] الباز الأشهب[١١]، ويُقيم الحُرّة على رأس الأمة، ويجعل حِجْل[١٢] الخَذْلة[١٣] في ساق الكَرْواء[١٤]، وسوار الغَيْل[١٥] النّاعم في ذراع

---

[١] الجَدّ: البَخْت والحَظْوة والحِظْوة. لسان العرب: مادّة (جدد).

[٢] الحَدّ: النّحس. والرّجل المحدود: الممنوع من الخَير. لسان العرب: مادّة (حدد).

[٣] رعى عَهْدَهُ وحقَّهُ: حَفِظَهُ. لسان العرب: مادّة (رعي).

[٤] النّعَم: الإبل والشّاء،وقيل: الإبل بخاصّة، وقيل: الإبل والبقر والغنم. لسان العرب: مادّة (نعم).

[٥] قعيدته: امرأته. لسان العرب: مادّة (قعد).

[٦] حاطَهُ يحوطُهُ حَوْطاً وحِيطةً وحِياطةً: حَفِظَهُ وتعهَّدَهُ. لسان العرب: مادّة (حوط).

[٧] الأرقم من الحيّات: الّذي فيه سواد وبياض، والجمع أراقم. لسان العرب: مادّة (رقم).

[٨] الهِجْرِس: ولد الثّعلب. لسان العرب: مادّة (هجرس).

[٩] غُراب أبقع: فيه سواد وبياض، ومنهم من خصّ، فقال: في صدره بَياض. لسان العرب: مادّة (بقع).

[١٠] القَنيص: الصّيد. لسان العرب: مادّة (قنص).

[١١] الشَّهْب والشُّهْبة: لون بياض يصدعه سواد في خلاله. والأشهب: القويّ. لسان العرب: مادّة (شهب).

[١٢] الحِجْل: الخَلْخال. لسان العرب: مادّة (حجل).

[١٣] الخَذْلة من النّساء: ممتلئة السّاقين. لسان العرب: مادّة (خدل).

[١٤] الكَرواء: المرأة الدّقيقة السّاقين. لسان العرب: مادّة (كرا).

[١٥] الغَيْل: السّاعد الرّيّان الممتلىء. لسان العرب: مادّة (غيل).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المَدْشاء[١]، ويكسو الوادع[٢] وإن غَفل[٣] عن طِلاب[٤] الشّرف، محاسن المُشمِّر[٥] في طِلاب المجد والكرم، وينسب إلى البُطَيْن[٦] أمطار الشَّرَطيْن[٧]، وإلى الثّريّا[٨] نوءَ[٩] السّماك[١٠].

---

[١] المَدْشاء من النّساء: الّتي لا لحم على يديْها. لسان العرب: مادّة (مدش).

[٢] الوادِع: الرّجل السّاكن الهادىء. لسان العرب: مادّة (ودع).

[٣] غَفَلَ عنهُ يَغْفُلُ غُفولاً وغَفْلةً وأَغْفَلَهُ عنه: تركه وسها عنه. لسان العرب: مادّة (غفل).

[٤] طالَبَهُ بكذا مُطالَبةً وطِلاباً: طلبهُ بحقّ. لسان العرب: مادّة (طلب).

[٥] تشمَّر للأمر: تهيّأ. والتَّشمُّر في الأمر والتّشمير: الجدُّ فيه والاجتهاد. لسان العرب: مادّة (شمر).

[٦] البُطَيْن: نجم من نُجوم السّماء، من منازل القمر بين الشَّرَطَيْن والثُّريّا، وهو ثلاثة كواكب صغار، مستوية التّثليث كأنّها أثافي. وهو بطن الحمل، وصُغّر؛ لأنّ الحمل نجومٌ كثيرة على صورة الحمل، والشَّرَطان قَرْناه، والبُطَيْن بطنه، والثُّريّا أليته، والعرب تزعم أنّ البُطَيْن لا نَوْء له إلاّ الرّيح. لسان العرب: مادّة (بطن).

[٧] الشَّرَطان: نجمان من الحمل، يُقال لهما: قرنا الحمار، وهما أوّل نجم من الرّبيع، ومن ذلك صار أوائل كُلّ أمر يتبع أشراطه. لسان العرب: مادّة (شرط).

[٨] الثُّريّا: من الكواكب، سُمّيت بذلك لغزارة نوئها، وقيل: سُمّيت بذلك لكثرة كواكبها مع صغر مرآتها، فكأنّها كثيرة العدد بالإضافة إلى ضيق المحلّ. لسان العرب: مادّة (ثرا).

[٩] النّوء: النّجم إذا مال للمغيب، والجمع أنواءٌ ونُوآنٌ. والنَّوْء: سُقوط نجم من المنازل في المغرب مع الفجر وطُلوع رقيبه، وهو نجم آخر يُقابله من ساعته في المشرق، في كُلّ ليلة إلى ثلاثة عشر يوماً، وهكذا كُلّ نجم منها إلى انقضاء السّنة، ما خلا الجَبْهة، فإنّ لها أربعة عشر يوماً، فتنقضي مع انقضاء السّنة. لسان العرب: مادّة (نوأ).

[١٠] السّماك: نجم معروف، وهما سماكان: رامح، وأعزل، والرّامح لا نَوْء له، وهو إلى جهة الشّمال، والأعْزَل من كواكب الأنواء، وهو إلى جهة الجنوب. لسان العرب: مادّة (سمك).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والحدّ، يُخرِج الأُكلة[١] من فم الغَرْثان[٢] حتّى يُلقيها في جول[٣] القليب[٤]، ويُقلّد[٥] المُخدَّرة[٦] ذات العِفَّة[٧] قلائد الرَّواد[٨] المومِس[٩]، ويجعل ثوب الخَرِص[١٠] حليف الإعدام، طُعمة للغاضية من النّيران[١١]؛ ويُوْهِم النّابل[١٢] أنّ قَرَنه[١٣] مملوء بالنَّبل، وأنّه قد خَرِس[١٤] من أجل الكثرة، فإذا عَيَّث[١٥] يرجع[١٦]، لم يُصادف من أهزع[١٧]؛ ويَرُدّ[١٨]

---

[١] الأُكلة: اسم للُّقمة. لسان العرب: مادّة (أكل).

[٢] الغَرْثان: الجائع. لسان العرب: مادّة (غرث).

[٣] الجُول: ناحية البئر، وقيل: جدارها. لسان العرب: مادّة (جول).

[٤] القليب: البئر. لسان العرب: مادّة (قلب).

[٥] قَلّد: ألبسه القِلادة، والقِلادة: ما جُعل في العُنُق، يكون للإنسان والفرس والبَدَنة الّتي تُهدى. لسان العرب: مادّة (قلد).

[٦] جارية مُخدَّرة: لزمت الخِدْر، والخِدْر: ستر يُمَدّ للجارية في ناحية البيت، ثُمّ صار كُلّ ما داراك من بيت ونحوه خِدْراً، والجمع خُدور، وأخدار، وأخادير. لسان العرب: مادّة (خدر).

[٧] العِفّة: الكفّ عمّا لا يَحِلّ. لسان العرب: مادّة (عفف).

[٨] الرَّواد: المرأة الطّوّافة في بُيوت جاراتها. لسان العرب: مادّة (رود).

[٩] امرأة مومِس: فاجرة بحاراً. لسان العرب: مادّة (ميس).

[١٠] الخَرِص: الجائع المقرور. لسان العرب: مادّة (خرص).

[١١] نار غاضِيَة: عظيمة، مُضيئة. وقيل: أُخِذت من نار الغَضَى، وهو من أجود الوقود عند العرب. لسان العرب: مادّة (غضا).

[١٢] رجل نابل: الّذي يعمل النّبل، أي السّهام. لسان العرب: مادّة (نبل).

[١٣] القَرَن: الجَعْبة من جُلود تكون مشقوقة، ثُمّ تُخرز وتُشقّ؛ لتصل الرّيح إلى الرّيش فلا يَفْسُد. لسان العرب: مادّة (قرن).

[١٤] خرِس: صمت، فلم يُسمع له صَوت. لسان العرب: مادّة (خرس).

[١٥] التّعييث: إدخال اليد في الكِنانة لِطَلب سهم. لسان العرب: مادّة (عيث).

[١٦] أَرْجَعَ الرّجلُ يديْه: رَدَّهما إلى خلفه ليتناول شيئاً. وأرجَعَ يَدَهُ إلى سيفِهِ أو إلى كِنانته ليأْخُذَ سهماً: أهوى بِهِ إليْها. لسان العرب: مادّة (رجع).

[١٧] الأهزع من السّهام: الّذي يبقى في الكِنانة وحده، وهو أردأ السّهام. لسان العرب: مادّة (هزع).

[١٨] رَدّهُ عن وجهه يَرُدُّهُ رَدّاً ومَرَدّاً وتَرْداداً: صرفه، وهو بناء للتّكثير. لسان العرب: مادّة (ردد).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الواردة[١] عن الماء الخِضرِم[٢] تشتكي لُهاث الحَرَّة[٣]؛ ويُعلِّم الوالدة عُقوق[٤] الطّفل الصّغير، ويَسلُك[٥] بالدّليل الخِرّيت[٦] وادي [تُوَلّه][٧] وطريق العُنْصُلَيْن[٨]، ويوهم صاحب الواعِد[٩] أنّ المُرجَّبَة[١٠] حَضِلت[١١]؛ فيُرسل عليها الجِذْوة[١٢]"[١٣].

---

[١] الواردة: وُرّاد الماء؛ أي الّذين يردونه. لسان العرب: مادّة (ورد).

[٢] الخِضرِم: الكثير. لسان العرب: مادّة (خضرم).

[٣] الحَرَّة: حرارة العطش والتهابه. لسان العرب: مادّة (حرر).

[٤] عَقَّ والدَهُ يَعُقُّهُ عَقّاً وعُقوقاً ومَعَقَّةً: شقَّ عصا طاعته. وعقَّ والديْهِ: قطعهما، ولم يصلْ رَحِمَهُ منهما. لسان العرب: مادّة (عقق).

[٥] سَلَكَ المكانَ يَسلُكُهُ سَلْكاً وسُلوكاً وسَلَكَهُ وأَسْلَكَهُ إيّاه: سارَ فيه، وقصدَهُ، وأُدخلَ فيه. لسان العرب: مادّة (سلك).

[٦] الخِرّيت: الدّليل الحاذق بالدّلالة، كأنّه ينظر إلى خُرْتِ الإبرة. لسان العرب: مادّة (خرت).

[٧] المثل في مجمع أمثال الميدانيّ: "أخذوا في وادي تُوَلّه". والوَله؛ أي التحيُّر. وقد أوردته المحقّقة: "تُؤَلّه"، وشرحته بمعنى السّحر والعيافة. الميدانيّ، مجمع الأمثال، حقّقه وفصله وضبط غرائبه وعلّق حواشيه مُحمّد مُحيي الدّين عبد الحميد، ج١، ص٥٠.

[٨] يُقال للرّجل إذا ضلّ: أخذ طريق العُنْصُلَيْن، وطريق عُنصل من اليمامة إلى البصرة. وفي مجمع أمثال الميدانيّ: "أخذوا طريق العُنْصُلَيْن": يُضرب للرّجل إذا ضلّ، قال أبو حاتم: سألتُ الأصمعيّ عن طريق العُنْصُلَيْن، ففتح الصّاد، وقال: لا يُقال بضمّ الصّاد، قال: وتقول العامّة إذا أخطأ الإنسان الطّريق: أخذ فُلان طريق العُنْصَلَيْن؛ وذلك أنّ الفرزدق ذكر في شعره إنساناً ضَلّ في هذه الطّريق؛ فظنّت العامّة أنّ كُلّ من ضلّ ينبغي أن يُقال له هذا، وطريق العُنْصَلَيْن طريق مُستقيم. انظر: الميدانيّ، مجمع الأمثال، حقّقه وفصله وضبط غرائبه وعلّق حواشيه مُحمّد مُحيي الدّين عبد الحميد، ج١، ص٥٨.

[٩] أرض واعد: كأنّها تعد بالنّبات. لسان العرب: مادّة (وعد).

[١٠] ترجيب النّخل: أن تُضَمّ أعذاقها إلى سعفاتها، ثُمّ تُشدّ بالخوص لئلاّ تنفُضها الرّيح. وقيل: هو أن يُوضع الشّوك حوالي الأعذاق؛ لئلاّ يصل إليها آكل فلا تُسرق. لسان العرب: مادّة (رجب).

[١١] حَضِلَتِ النّخلة حَضَلاً: فَسَدَتْ أُصول سَعَفِها، وصلاحُها أن تُشعل النّار في كَرَبِها حتّى يحترق ما فسد من ليفها وسَعَفِها، ثُمّ تجود بعد ذلك. لسان العرب: مادّة (حضل).

[١٢] الجِذْوة والجَذْوة والجُذْوة: القَبَسة من النّار، والجمع جِذاً، وجُذاً. لسان العرب: مادّة (جذا).

[١٣] أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاحج، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص ص١٠٧- ١٠٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وجاءت رسالة الصّاهل والشّاحج مسكونة بروح ساخرة، هي إحدى قرائن أدب أبي العلاء المعرّيّ، وأيّ سُخرية أشدّ من جعل واقع حلب وأعمالها حكاية على ألسنة الحيوانات مُوجّهة إلى عزيز الدّولة المُتسبّب فيه، لا بل إنّ عزيز الدّولة نفسه قد كان محلّ سُخرية أبي العلاء، فقد أغرقه أبو العلاء في المدح إبّان عرضه للويلات الّتي رُزئت الأُمّة بها جرّاء مواقفه وتصرُّفاته ومُؤامراته، وغالى في تعداد مناقبه، وتكرار ألقابه، حتّى باتت هذه الأخيرة كاللازمة الّتي اقترن بها كُلّ ذكر له، مُدلّلاً على أنّ هذه المناقب والألقاب لا تستند في إطلاقها إلى حقائق موجودة.

ولم يقف أبو العلاء في سُخريته من عزيز الدّولة عند هذا الحدّ، بل لقد بثّ في رسالته كثيراً من الإيماءات السّاخرة بالموالي، مُتناسياً أنّ رسالته مُوجّهة إلى أحدهم[١].

واقترنت سُخرية أبي العلاء بروح الفكاهة والتّندُّر؛ فجاءت مُرّة مُضحكة في الوقت نفسه، ومن ذلك أنّه لمّا أورد الحلم الّذي حدّث به الرّجل العقيليّ، من أنّه رأى عزيز الدّولة يعمل في سيفيْن من يمين وشمال، عقّب مُتندّراً: "ولو رأى مُحمّد بن يزيد المُبرّد[٢] السّيّد عزيز الدّولة – أعزّ اللّه نصره – وعمله بالسّيفيْن، لعلم أنّ العطف على عامليْن جائز في قولك: وزيد في الدّار والحُجرة عمرو، ولم يلحقه شكّ في ذلك"[٣].

---

[١] انظر: أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاحج، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص ص٣٣٤- ٣٣٦.

[٢] مُحمّد بن يزيد بن عبد الأكبر، الأزديّ البصريّ، أبو العبّاس المُبرّد (٢١٠- ٢٨٦هـ= ٨٢٦- ٨٩٩م): إمام العربيّة ببغداد في زمانه، أخذ عنه المازنيّ، وأبي حاتم السّجستانيّ، وغيرهما، وكان فصيحاً، بليغاً، مُفوّهاً، ثقة، إخباريّاً، علاّمة، صاحب نوادر وظرافة، له تصانيف مشهورة، منها: كتاب "الكامل"، وكتاب "المقتضب"، وكتاب "الرّوضة"، وكتاب "المدخل إلى سيبويه". انظر في أخباره: القِفطيّ، إنباه الرّواة على أنباه النّحاة، تحقيق مُحمّد أبي الفضل إبراهيم، ج٣، ص ص٢٤١- ٢٥٣؛ صلاح الدّين الصّفديّ، الوافي بالوفيات، ج٣، ص ص٣٨٦- ٣٨٧.

[٣] أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاحج، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص٧٠٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد اعتنى أبو العلاء بالوصف والتصوير في رسالته، ذلكما اللذيْن جاءا ثمرة التقت فيها قراءاته ومعارفه بخياله الخصب، وكأنّنا به قد رغب في جعل المُتلقّي يرى المشهد بدلاً من أن يُخبر عنه.

ولم يفلت أبو العلاء من نفسه وعجزه في رسالته، كحاله في حكايات الحيوان القصيرة، فبطل الحكاية عاجز معصوب العينيْن مثله، والحكاية ملأى بالإحالات على العمى. "وإذا نظرتُ البقاع الموسومة بعيْن أو عينيْن، وصار الحائل[١] من الأمكنة نظير الحُوَلاء[٢]، وأصبح أثر الأعمى الدّار[٣] كالعبقريّة[٤] على الضّرير[٥]"[٦].

وأخيراً، فإملاء أبي العلاء لرسالته يُسوّغ إخلاله بترتيب شُروح ألفاظه الّتي تضمّنتها مقالة الشّاجّ للجمل، أو تعليق الجمل عليها، كما يُسوّغ سُقوط المقصود من معنى لفظة "العَدْل"، في قوله: "وأهل مَنْبِج لا يُرى العَدْل منهم عند أميرهم أو قاضيهم"[٧]، مثلما تُسوّغه رغبة أبي العلاء في مُواراة مقاصده وغاياته الحقيقيّة وراء ظاهر كلامه.

---

[١] الحائل: الّذي مضى عليه حَوْل لم ينبت، والمُتغيّر اللون. لسان العرب: مادّة (حول).

[٢] أرض مثل الحَوْلاء: اخضرّت وأظلمت خُضرة. لسان العرب: مادّة (حول).

[٣] أعمى الدّار: السّيل. لسان العرب: مادّة (عمي).

[٤] العبقريّ: ضرب من البُسط فيها الأصباغ والنّقوش، ويُقال: هو الدّيباج. لسان العرب: مادّة (عبقر).

[٥] الضّرير: حرف الوادي. لسان العرب: مادّة (ضرر).

[٦] أبو العلاء المعرّيّ، رسالة الصّاهل والشّاحج، تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن، ص١٠١.

[٧] المصدر نفسه، ص٢٣٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقبل أن نطوي صفحة هذا الفصل، نُشير إلى أنّ هذا القرن شهد توظيفاً آخر للأقنعة الحيوانيّة، انتقل بها من مُستوى الحكاية الخاصّة المُستقلّة، الّتي تنفرد الشّخصيّات الحيوانيّة بأداء أدوارها كُلّها، أو تتشارك فيها وشخصيّات من عالم الإنس أو الجنّ، إلى مُستوى آخر، انتزع هذه الأقنعة ممّا جاءت فيه من حكايات، ومنحها دوراً جديداً في سياق حكاية أدبيّة مُتكاملة، لا تنتمي في نوعها إلى حكايات الحيوان، مُستغِلاً ما تُهيّئه هذه الأقنعة من مساحة رحبة للتّعبير والبوح، والبُعد عن المُباشرة والتّصريح، ومُستثمراً ما تختزنه من دلالات رمزيّة إيحائيّة خاصّة، كما هي الحال في رسالة "التّوابع والزّوابع"[1] لابن شُهيد الأندلسيّ[2] (٣٨٢- ٤٢٦هـ= ٩٩٢- ١٠٣٥م) ، و"رسالة الغُفران" لأبي العلاء المعرّيّ.

ولمّا كانت هذه الشّخصيّات لا تحظى بحكاية مُستقلّة تنتمي إلى نوع حكايات الحيوان، فإنّها تخرج عن نطاق هذه الدّراسة.

---

[1] ابن شُهيد الأندلسيّ، رسالة التّوابع والزّوابع، شرح ودراسة حسين يوسف خريوش، ط١، مكتبة الكتّاني، عمّان- الأردنّ، ١٩٩٠م.

[2] أحمد بن عبد الملك بن مروان ابن ذي الوزارتين الأعلى أحمد بن عبد الملك بن عُمر بن شُهَيد الأشجعيّ، أبو عامر بن أبي مروان الأندلسيّ القُرطُبيّ الشّاعر: كان من العُلماء بالأدب ومعاني الشّعر وأقسام البلاغة، وله حظّ من ذلك بسق فيه، ولم يرَ لنفسه أحداً في البلاغة يُجاريه، من تصانيفه: كتاب "حانوت عطّار"، وكتاب "التّوابع والزّوابع"، وكتاب "كشف الدّنّ وإيضاح الشّكّ"، وسائر رسائله وكُتبه نافعة الجدّ، كثيرة الهزل. انظر في أخباره: صلاح الدّين الصّفديّ، الوافي بالوفيات، ج٥، ص ص١٤- ١٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخاتمة

إذا كان هناك من شيء يجب الابتداء به من حيث انتهت هذه الدّراسة، فهو أنّ العرب كانوا من أكثر الأُمم احتفاءً بحكاية الحيوان، ومن أكثرها إفادة ممّا تُتيحه هذه الحكاية من مساحة رحبة للتّعبير عن القضايا الفكريّة والنّقديّة. وأنّ احتفاءهم بهذه الحكاية لم يتوقّف عند حدّ الرّواية والاستلهام والإفادة ممّا جاء به الآخر، حتّى لو كان هذا الآخر، هو ذلك المُفكّر في حضارات العِراق ومصر والشّام القديمة، الّتي أمدّت شُعوب الأرض كُلّها بنماذج من حكايات الحيوان؛ فلقد وضع العرب حكايات حيوان جديدة، خرج بعضها عن الأنواع الثّلاثة الّتي عرفتها الأُمم والحضارات القديمة المُختلفة، والّتي شارك العرب هذه الأُمم في توظيف كثير من حكاياتها.

وإذا كان هناك شيء آخر يجدر ذكره هنا، فهو أنّ الإقبال على حكاية الحيوان: رواية واستلهاماً وإبداعاً، كان ينشط في الأزمان الّتي ترتفع فيها موجة الظُّلم، والقهر، والاستبداد، وعدم الرّضا عن السُّلطة، كما هي الحال في القرن الخامس الهجريّ؛ فلقد جاء احتفاء أبناء ذلك القرن بحكاية الحيوان، شكلاً من أشكال مُواجهتهم للسُّلطة، ووسيلة عبّروا من خلالها عن مظالم الحياتيْن: السّياسيّة والاجتماعيّة، فيه.

وإذا كان هناك شيء أخير يجب إضافته، فهو أنّ حكايات الحيوان النّثريّة في القرن الخامس الهجريّ، قد قدّمت صورة أدبيّة لتاريخ ذلك القرن، مشفوعة بقراءة أصحابها، ومواقفهم ممّا جرى حولهم، وقد ظهرت مواقف رُواة حكايات الحيوان النّثريّة الموروثة، من خلال إقبالهم على رواية عدد كبير من خُرافات الحيوان ذات المضامين النّقديّة والفكريّة، الّتي بدورها وشت بظُروف ذلك القرن، وأحداثه المُضطربة، وفضحت ما تنشّى فيه من قهر وظُلم. فيما أماطت حكايات الحيوان النّثريّة، الّتي وضعها أبو العلاء المعرّيّ في ذلك القرن،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اللثام عن كثير من الأحداث السّياسيّة والاجتماعيّة الّتي جرت على مسرحه، لا سيّما في حلب ومصر، مشفوعة بقراءة صاحبها، الّذي كان يرى أبعد ممّا يظهر للنّاس، ويخرج ممّا يُقال بكثير ممّا لم يُقل، من أحداث ذلك القرن، ومواقف أفراده.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثبت المصادر والمراجع

أ-المصادر

❖ القُرآن الكريم.

❖ الكتاب المُقدّس، العَهْد القديم، سفر القضاة، الإصحاحان الثّامن والتّاسع.

❖ الآبيّ، منصور بن الحُسين، (ت٤٢١هـ= ١٠٣٠م). **نثر الدُّرّ**، ط١، (الجزء السّابع/ الباب الرّابع عشر)، (تحقيق مُنير مُحمّد المدني، مُراجعة حسين نصّار)، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٠م.

❖ الآمديّ، الحسن بن بشر بن يحيى، (ت٣٧٠هـ= ٩٨٠م). **المُؤتلف والمُختلف في أسماء الشُّعراء وكُناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم**، ط٢، (بتصحيح وتعليق ف. كرنكو)، دار الكُتب العلميّة، بيروت، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

❖ ابن الأثير، عليّ بن مُحمّد بن عبد الكريم، (ت٦٣٠هـ= ١٢٣٣م). **الكامل في التّاريخ**، ط١، ج(١، ٢، ٣، ٥، ٧، ٨)، (تحقيق الشّيخ خليل مأمون شيحا)، دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

❖ إخوان الصّفاء وخلاّن الوفاء، (القرن الرّابع الهجريّ). **رسالة تداعي الحيوانات على الإنسان**، ط٣، (قدّم لها فاروق سعد)، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٦م.

❖ الأصبهانيّ، عليّ بن الحُسين بن مُحمّد، (ت٣٥٦= ٩٦٧م). **الأغاني**، ط١، (المُجلّد التّاسع، المُجلّد الحادي عشر، المُجلّد الثّالث عشر، المُجلّد التّاسع عشر)، (أشرفت

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على ضبطه وتصحيحه لجنة من الأُدباء والمُدرّسين)، منشورات دار الفكر- دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٥٥م.

❖ الأصفهانيّ، الحُسين بن مُحمّد بن المُفضّل، (ت٥٠٢هـ= ١١٠٨م). **مُحاضرات الأُدباء ومُحاورات الشُّعراء والبُلغاء**، ط١، ج(١-٢)، (حقّقه وضبط نُصوصه وعلّق حواشيه عُمر فاروق الطّبّاع)، دار الأرقم بن أبي الأرقم للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت ، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

❖ الأصفهانيّ، حمزة بن الحُسين، (ت٣٦٠هـ= ٩٧٠م). **الدُّرّة الفاخرة في الأمثال السّائرة**، ط١، ج(١-٢)، (حقّقه وقدّم له ووضع حواشيه عبد المجيد قطامش)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧١م.

❖ الأعشى، ميمون بن قيس بن جندل، (ت٧هـ= ٦٢٩م). **ديوان الأعشى**، ط١، دار بيروت للطّباعة والنّشر- دار صادر للطّباعة والنّشر، بيروت، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م.

❖ إيسوب. **خُرافات إيسوب**، ط١، ج(١-٢)، (ترجمة عبد الفتّاح الجمل)، دار الفتى العربيّ، بيروت، [د.ت].

❖ البُحتريّ، الوليد بن عُبيد بن يحيى، (ت٢٨٤هـ= ٨٩٨م). **ديوان البُحتريّ**، ط١، (المُجلّد الثّاني)، (عُني بتحقيقه وشرحه والتّعليق عليه حسن كامل الصّيرفيّ)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

❖ البُخاريّ، مُحمّد بن إسماعيل بن إبراهيم، (ت٢٥٦هـ= ٨٧٠م). **صحيح البُخاريّ**، ط١، (ضبط النّصّ محمود مُحمّد محمود حسن نصّار)، منشورات مُحمّد علي بيضون، دار الكُتب العلميّة، بيروت، ٢٠٠١م.

❖ البغداديّ، عبد القادر، (ت١٠٩٣هـ= ١٦٨٢م). **خزانة الأدب ولُبّ لُباب لسان العرب**، ط١، ج(١، ٣، ٧، ٨)، (تحقيق وشرح عبد السّلام مُحمّد هارون)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨١م.

❖ بيدبا. **كتاب كليلة ودمنة**، ط١، (نقلهُ من الفهلويّة إلى العربيّة عبد اللّه بن المُقفّع)، المكتبة الثّقافيّة، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

❖ التّبريزيّ، يحيى بن عليّ بن مُحمّد، (ت٥٠٢هـ= ١١٠٩م). **الكافي في العروض والقوافي**، ط١، ج(١)، (تحقيــق الحسّاني حسن عبد اللّه)، مجلّة معهد المخطوطات العربيّة، القاهرة، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.

❖ أبو تمّام، حبيب بن أوس بن الحارث، (ت٢٣١هـ= ٨٤٦م). **كتاب الوحشيّات وهو الحماسة الصُّغرى**، ط١، (علّق عليه وحقّقه عبد العزيز الميمنيّ الرّاجكوتي، وزاده محمود مُحمّد شاكر)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٢م.

❖ التّوحيديّ، عليّ بن مُحمّد بن العبّاس، (ت نحو ٤٠٠هـ= نحو ١٠١٠م). **البصائر والذّخائر**، (المُجلّد الثّاني)، (عُني بتحقيقه والتّعليق عليه إبراهيم الكيلانيّ)، مكتبة أطلس، دمشق، ١٩٦٤م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

❖ الثّعالبي، عبد الملك بن مُحمّد بن إسماعيل، (ت٤٢٩هـ= ١٠٣٨م). **تتمّة يتيمة الدّهر في محاسن أهل العصر**، ط١، (شرح وتحقيق مُفيد مُحمّد قميحة)، دار الكُتب العلميّة، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

التّمثيلُ والمُحاضرة، ط١، (تحقيق عبد الفتّاح مُحمّد الحلو)، دار إحياء الكُتب العربيّة، القاهرة، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م.

ثمار القُلوب في المُضاف والمنسوب، ط١، (تحقيق مُحمّد أبي الفضل إبراهيم)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥م.

❖ الثّعلبي، أحمد بن مُحمّد بن إبراهيم، (ت٤٢٧هـ= ١٠٣٥م). **قصص الأنبياء المُسمّى عرائس المجالس**، ط١، (تحقيق مُحمّد سيّد)، دار الفجر للتُّراث، القاهرة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

❖ ابن ثور، حُميد، (ت نحو ٣٠هـ= نحو ٦٥٠م). **ديوان حُميد بن ثور الهلاليّ**، ط١، (إشراف مُحمّد يوسف نجم)، دار صادر للطّباعة والنّشر، بيروت، ١٩٩٥م.

❖ الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب، (١٦٣- ٢٥٥هـ= ٧٨٠- ٨٦٩م). **الحيوان**، ط١، ج(٢، ٣، ٤، ٦)، (تحقيق وشرح عبد السّلام مُحمّد هارون)، مطبعة مُصطفى البابي الحلبيّ وأولاده، مصر، ١٣٥٦هـ/ ١٩٢٨م.

❖ الجُمحيّ، مُحمّد بن سلاّم بن عُبيد اللّه، (ت٢٣٢هـ= ٨٤٦م). **طبقات فُحول الشُّعراء**، ط٢، (السّفران: الأوّل، والثّاني)، (قرأه وشرحه محمود مُحمّد شاكر)، مطبعة المدني، القاهرة، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

❖ حاجي خليفة، مُصطفى بن عبد اللّه كاتب چلبي، (ت١٠٦٧هـ= ١٦٥٧م). **كشف الظُّنون عن أسامي الكُتب والفُنون**، ط٣، (الجُزء الثّاني)، (إشراف هيئة البُحوث والدّراسات في دار الفكر)، بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

❖ ابن الحجّاج، مسلم، (٢٦١هـ= ٨٧٥م). **صحيح مُسلم بشرح النّوويّ**، ط١، ج(١٠، ١٥)، (راجعته وضبطته وقابلته مجموعة من طلبة العلم، بإشراف حسن عبّاس قُطُب)، دار عالم الكُتب، الرّياض، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

❖ ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة اللّه بن مُحمّد، (ت٦٥٦هـ= ١٢٥٨م). **شرح نهج البلاغة**، ط٣، (المُجلّد الثّالث/ الجزء السّادس، المُجلّد العاشر/ الجزء العشرون)، (ضبطه وصحّحه مُحمّد عبد الكريم النّمريّ)، دار الكُتب العلميّة، بيروت، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

❖ ابن حزم، عليّ بن أحمد بن سعيد، (ت٤٥٦هـ= ١٠٦٤م). **جمهرة أنساب العرب**، ط١، (تحقيق وتعليق عبد السّلام مُحمّد هارون)، دار المعارف، القاهرة، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م.

❖ الحُصْريّ، إبراهيم بن عليّ بن تميم، (ت٤٥٣هـ= ١٠٦١م). **جمع الجواهر في المُلح والنّوادر**، (حقّقه وضبطه وفصل أبوابه ووضع فهارسه علي مُحمّد البجّاوي)، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٧م.

❖ الحَمَويّ، ياقوت بن عبد اللّه، (ت٦٢٦هـ= ١٢٢٩م). **مُعجم الأُدباء: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، ط١، (حقّقه وضبط نُصوصه وأعدّ حواشيه وقدّم له عُمر فاروق الطّبّاع)، مُؤسّسة المعارف للطّباعة والنّشر، بيروت، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مُعجم البُلدان، ط١، ج(١- ٥)، (تحقيق فريد عبد العزيز الجُنديّ)، دار الكُتب العلميّة، بيروت، ١٩٩٠م.

❖ ابن خَلْدون، عبد الرّحمن بن مُحمّد بن مُحمّد، (ت ٨٠٨هـ= ١٤٠٦م). **التّعريف بابن خَلْدون ورحلته غرباً وشرقاً**، ط١، (عارضه بأُصوله وعلّق حواشيه مُحمّد بن تاويت الطّنجيّ)، مطبعة لجنة التّأليف والتّرجمة والنّشر، ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م.

مُقدّمة ابن خَلْدون، ط٦، دار القلم، بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

❖ ابن خَلِّكان، أحمد بن مُحمّد بن إبراهيم، (ت٦٨١هـ= ١٢٨٢م). **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان**، ط٤، (المُجلّد الأوّل، المُجلّد الثّاني، المُجلّد الثّالث، المُجلّد الرّابع، المُجلّد الخامس، المُجلّد السّادس)، (حقّقه إحسان عبّاس)، دار صادر للطّباعة والنّشر، بيروت، ٢٠٠٥م.

❖ ابن دُريد، مُحمّد بن الحسن، (ت٣٢١هـ= ٩٣٣م). **كتاب الملاحن**، ط١، (تحقيق عبد الإله نبهان)، منشورات وزارة الثّقافة في الجُمهوريّة العربيّة السّوريّة، دمشق، ١٩٩٢م.

❖ الذّهبيّ، مُحمّد بن أحمد بن عُثمان، (ت٧٤٨هـ= ١٣٤٨م). **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، ط١، حوادث وفيات ٤٤١- ٤٥٠هـ و ٤٥٠- ٦٤٠هـ، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

العِبَر في خبر من غَبَر، ط١، ج(١-٢)، (بإشراف مكتب البُحوث والدّراسات في دار الفكر)، دار الفكر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

❖ أبو ذُؤيب الهُذليّ، خُويلد بن خالد بن مُحرِّث، (ت نحو ٢٧هـ= نحو ٦٤٨م). **ديوان أبي ذُؤيب الهُذليّ**، ط١، (تحقيق وشرح أنطونيوس بُطرس)، دار صادر للطّباعة والنّشر، بيروت، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

❖ ذو الرُّمّة، غيلان بن عقبة بن بُهيش، (ت١١٧هـ= ٧٣٥م). **ديوان ذي الرُّمّة**، ط١، ج(١)، (حقّقه وقدّم له وعلّق عليه عبد القدّوس أبو صالح)، مُؤسّسة الإيمان للتّوزيع والنّشر والطّباعة، بيروت، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

❖ ابن رُشد، مُحمّد بن أحمد بن مُحمّد، (ت٥٩٥هـ= ١١٩٨م). **تلخيص الخطابة**، ط١، (حقّقه وقدّم له عبد الرّحمن بدوي)، مكتبة النّهضة المصريّة، القاهرة، ١٩٦٠م.

❖ أبو زُبَيْد، حرملة بن المُنذر بن معد يكرب، (ت نحو ٦٢هـ= نحو ٦٨٢م). **ديوان أبي زُبَيْد الطّائيّ**، ط١، (جمعه وحقّقه نوري حمّودي القيسي)، ساعد المجمع العلميّ العراقيّ على نشره، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٦٧م.

❖ ابن زيد، عديّ، (ت نحو ٣٥ق.هـ= نحو ٥٩٠م). **ديوان عديّ بن زيد العِباديّ**، ط١، (حقّقه وجمعه مُحمّد جبّار المعيبد)، دار الجُمهوريّة للنّشر والطّبع، بغداد، ١٩٦٥م.

❖ سبط ابن الجوزي، يوسف بن قِزْ أُوغْلي- أو قِزُغْلي، (ت٦٥٤هـ= ١٢٥٦م). **مِرآة الزّمان في تاريخ الأعيان**، منشور في كتاب تعريف القُدماء بأبي العلاء المعرّيّ، ط١، (جمع وتحقيق مُصطفى السّقّا، وعبد الرّحيم محمود، وعبد السّلام مُحمّد هارون، وإبراهيم الإبياري، وحامد عبد المجيد، بإشراف طه حسين)، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

❖ السّخاويّ، مُحمّد بن عبد الرّحمن بن مُحمّد، (ت٩٠٢هـ= ١٤٩٧م). **الضّوء اللامع لأهل القرن التّاسع**، ط١، ج(٤)، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، [د. ت].

❖ السُّكّريّ، الحسن بن الحُسين بن عُبيد اللّه، (ت٢٧٥هـ= ٨٨٨م). **شرح أشعار الهُذليّين**، ط١، ج(١-٢)، (حقّقه عبد السّتّار أحمد فرّاج، راجعه محمود مُحمّد شاكر)، مكتبة دار العُروبة، القاهرة، ١٩٦٥م.

❖ ابن أبي سُلمى، زُهير، (ت١٣ ق.هـ= ٦٠٩م). **ديوان زُهير بن أبي سُلمى**، ط١، (تحقيق وشرح كرم البُستانيّ)، دار بيروت للطّباعة والنّشر- دار صادر للطّباعة والنّشر، بيروت، ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م.

❖ ابن سَلَمة، المُفضّل، (ت نحو ٢٩٠هـ= نحو ٩٠٣م). **الفاخر**، ط٢، (تحقيق شالس أنبروس استوري الإنجليزيّ)، دار الفرجاني، مصر الجديدة، القاهرة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

❖ السُّوَيديّ، مُحمّد أمين بن عليّ بن مُحمّد، (ت١٢٤٦هـ= ١٨٣٠م). **سبائك الذّهب في معرفة قبائل العرب**، ط١، دار الكُتب العلميّة، بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

❖ سيبويه، عمرو بن عُثمان بن قنبر، (ت١٨٠هـ= ٧٩٦م). **الكتاب**، ط٤، ج(١)، (تحقيق وشرح عبد السّلام مُحمّد هارون)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ط٣، ج(٢)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م. [د.ط]، ج٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ط٢، ج(٤)، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الرّفاعي، الرّياض، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

❖ ابن سيرين، مُحمّد، (ت١١٠هـ= ٧٢٩م). **تفسير الأحلام الكبير**، ط١، مكتبة ومطبعة مُحمّد علي صبيح وأولاده، ميدان الأزهر، مصر، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

❖ السُّيوطي، عبد الرّحمن بن أبي بكر بن مُحمّد، (ت٩١١هـ= ١٥٠٥م). **المُزهر في عُلوم اللُغة وأنواعها**، ط١، ج(١)، (شرحه وضبطه وصحّحه وعنون موضوعاته وعلّق حواشيه مُحمّد أحمد جاد المولى، وعلي مُحمّد البجّاوي، ومُحمّد أبو الفضل إبراهيم)، دار إحياء الكُتب العربيّة، عيسى البابي الحلبيّ وشُركاه، القاهرة، [-١٩٥].

❖ ابن شُهَيد، أحمد بن عبد الملك بن أحمد، (ت٤٢٦هـ= ١٠٣٥م). **رسالة التّوابع والزّوابع**، ط١، (شرح ودراسة حسين يوسف خربوش)، مكتبة الكنّاني، عمّان، ١٩٩٠م.

❖ الصّفديّ، صلاح الدّين، (ت٧٦٤هـ= ١٣٦٣م). **الوافي بالوفيات**، ط١، ج(١- ٦، ٨- ١٢)، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٥هـ- ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

❖ ابن أبي الصّلت، أُميّة، (ت٥هـ= ٦٢٦م). **ديوان أُميّة بن أبي الصّلت**، ط٢، (جمع وتحقيق ودراسة عبد الحفيظ السّطلي)، المطبعة التّعاونيّة، دمشق، ١٩٧٧م.

❖ الصّوليّ، مُحمّد بن يحيى بن عبد اللّه، (ت٣٣٥هـ= ٩٤٦م). **أخبار الشُّعراء المُسمّى كتاب الأوراق**، ط١، (عُني بجمعه ج. هيوارث دن)، [د.ن]، القاهرة، [ـ ـ ١٩].

❖ الضّبّيّ، المُفضّل بن مُحمّد بن يعلى، (ت١٦٨هـ= ٧٨٤م). **أمثال العرب**، ط١، (تقديم وتعليق إحسان عبّاس)، دار الرّائد العربيّ، بيروت، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

❖ أبو العلاء المعـرّيّ، أحمد بن عبـد اللّه بن سُليمـان، (ت٤٤٩هـ= ١٠٥٧م). **رسائل أبي العلاء المعرّيّ**، ط١، (ج١/ الرّسالة الثّالثة، ج٢/ الرّسالة التّاسعة عشرة، والرّسالة الرّابعة والعشرون، والرّسالة الخامسة والعشرون)، (تحقيق وشرح عبد الكريم خليفة)، منشورات اللجنة الأُردنيّة للتّعريب والتّرجمة والنّشر، عمّان، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

رسالة الصّاهل والشّاحج، ط٢، (تحقيق وتقديم عائشة عبد الرّحمن)، دار المعارف، القاهرة، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

رسالة الغُفران، ط١٠، (تحقيق وشرح عائشة عبد الرّحمـن)، دار المعـارف، القاهرة، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

الفُصول والغايات، ط١، (تحقيق محمود حسن زناتي)، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٧م.

رسالة الهناء، ط٣، (تحقيق وشرح كامل كيلاني)، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٩م.

❖ أبو عليّ القاليّ، إسماعيل بن القاسم بن عيذون، (ت٣٥٦هـ= ٩٦٧م). **الأمالي**، ط٣، ج٢، مطبعة السّعادة، مصر، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م.

❖ ابن أبي عون، إبراهيم بن مُحمّد، (ت٣٢٢هـ= ٩٣٤م). **الأجوبة المُسكتة**، ط١، (تحقيق ودراسة ميّ أحمد يوسف)، عين للدّراسات والبُحوث الإنسانيّة والاجتماعيّة، القاهرة، ١٩٩٦م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

❖ ابن قُتيبة، عبد اللّه بن مُسلم، (ت٢٧٦هـ= ٨٨٩م). **الشّعر والشُّعراء**، ط١، ج(١-٢)، (تحقيق وشرح أحمد مُحمّد شاكر)، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

عُيون الأخبار، ط١، (المُجلّد الثّاني)، دار الكُتب المصريّة، القاهرة، ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٨م.

المعاني الكبير في أبيات المعاني، ط١، (المُجلّدان الأوّل والثّاني)، دار الكُتب العلميّة، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م.

❖ القِفْطيّ، عليّ بن يوسف بن إبراهيم، (ت٦٤٦هـ= ١٢٤٨م). **تأريخ الحُكماء، وهو مُختصر الزّوزنيّ المُسمّى بالمُنتخبات المُلتقطات من كتاب إخبار العُلماء بأخبار الحُكماء**، ط١، مكتبة المُثنّى/ بغداد، ومُؤسّسة الخانجي/ القاهرة، ١٩٠٣م.

إنباه الرُّواة على أنباه النُّحاة، ط١، ج(١، ٣)، (تحقيق مُحمّد أبي الفضل إبراهيم)، دار الفكر العربيّ، القاهرة، مُؤسّسة الكُتب الثّقافيّة، بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

❖ الكلاعيّ، سُليمان بن موسى بن سالم، (ت٦٣٤هـ= ١٢٣٧م). **إحكام صنعة الكلام**، ط١، (تحقيق مُحمّد رضوان الدّاية)، دار الثّقافة، بيروت، ١٩٦٦م.

❖ الماوَرْدِيّ، عليّ بن مُحمّد بن حبيب، (ت٤٥٠هـ= ١٠٥٨م). **أدب الدُّنيا والدّين**، ط٢، (حقّقه وعلّق عليه ووضع فهارسه مُحمّد فتحي أبو بكر)، الدّار المصريّة اللبنانيّة، القاهرة، ١٩٩١م.

❖ مجهول المُؤلّف. **الأسد والغوّاص**، ط١، (باعتناء رضوان السّيّد)، دار الطّليعة للطّباعة والنّشر، بيروت، ١٩٧٨م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

❖ المرزُبانيّ، مُحمّد بن عمران بن موسى، (ت٣٨٤هـ= ٩٩٤م). **مُعجم الشُّعراء**، ط٢، (بتصحيح وتعليق ف. كرنكو)، دار الكُتب العلميّة، بيروت- لبنان، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

❖ المسعوديّ، عليّ بن الحُسيْن بن عليّ، (ت٣٤٦هـ= ٩٥٧م). **مُروج الذّهب ومعادن الجوهر**، ط٣، ج(٣)، (تحقيق مُحمّد مُحيي الدّين عبد الحميد)، مطبعة السّعادة، القاهرة- مصر، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م.

❖ ابن المُعتزّ، عبد اللّه بن مُحمّد، (ت٢٩٦هـ= ٩٠٩م). **طبقات الشُّعراء في مدح الخُلفاء والوُزراء**، ط١، (اعتنى بنشره عبّاس إقبال)، على نفقة لجنة وصيّة أ.ج. و. جب التّذكاريّة، لوزاك وشُركاه، لندن- بريطانيا، ١٩٣٩م.

❖ ابن مُنجب، عليّ، (ت٥٤٢هـ= ١١٤٧م). **الإشارة إلى من نال الوزارة**، ط١، (عُني بتحقيقه والتّعليق عليه عبد اللّه مُخلص)، طُبع بمطبعة المعهد العلميّ الفرنسيّ الخاصّ بالعاديات الشّرقيّة، القاهرة، ١٩٢٤م.

❖ ابن منظور، مُحمّد بن مكرم بن عليّ، (ت٧١١هـ= ١٣١١م). **لسان العرب**، ط٣، ج(١- ١٦)، دار صادر للطّباعة والنّشر، بيروت، ٢٠٠٤م.

❖ الميدانيّ، أحمد بن مُحمّد بن أحمد، (ت٥١٨هـ= ١١٢٤م). **مجمع الأمثال**، ط١، ج(١- ٢)، (حقّقه وفصله وضبط غرائبه وعلّق حواشيه مُحمّد مُحيي الدّين عبد الحميد)، مطبعة السُّنّة المُحمّديّة، القاهرة، ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

❖ النّابغة الذُّبياني، زياد بن مُعاوية بن ضباب، (ت نحو ١٨ ق.هـ= نحو ٦٠٤م). **ديوان النّابغة الذُّبيانيّ**، ط١، (تحقيق مُحمّد أبي الفضل إبراهيم)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧م.

❖ النّديم، مُحمّد بن إسحق بن مُحمّد، (ت٤٣٨هـ= ١٠٤٧م). **الفهرست**، ط١، (اعتنى بطبعته وعلّق عليها الشّيخ إبراهيم رمضان)، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

❖ النُّويْريّ، أحمد بن عبد الوهّاب بن مُحمّد، (ت٧٣٣هـ= ١٣٣٣م). **نهاية الأرب في فُنون الأدب**، ط١، (السّفر العاشر- السّفر الخامس عشر)، وزارة الثّقافة والإرشاد القوميّ، المُؤسّسة المصريّة العامّة للتّأليف والتّرجمة والطّباعة والنّشر، القاهرة، [ـ ١٩٧].

❖ ابن هارون، سهل، (ت٢١٥هـ= ٨٣٠م). **النّمر والثّعلب**، ط١، (حقّقه وقدّم له وترجمه إلى الفرنسيّة عبد القادر المهيري)، منشورات الجامعة التّونسيّة، كُلّيّة الآداب والعُلوم الإنسانيّة، تونس، ١٩٧٣م.

❖ ابن الهَبَّارِيَّة، مُحمّد، (ت٥٠٩هـ= ١١١٥م). **الصّادح والباغم**، ط١، (تحقيق وتقديم حسن عاصي)، دار المواسم للطّباعة والنّشر، بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

نتائج الفطنة في نظم كليلة ودمنة، ط١، (تحقيق وتقديم حسن عاصي)، دار المواسم للطّباعة والنّشر، بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

❖ ابن هندو، عليّ بن الحُسين بن مُحمّد، (ت٤٢٠هـ= ١٠٢٩م). **الكَلِم الرُّوحانيّة في الحِكَم اليونانيّة**، ط١، (صحّحه والتزم طبعه مُصطفى القبّانيّ الدّمشقيّ)، مطبعة التّرقّي، القاهرة، ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

❖ الكيّالي، سامي، (١٩٤٥م). **الاضطراب السّياسيّ في عصر أبي العلاء وأثره في بيئته وشعره**. بحث قُدّم في المهرجان الألفيّ لأبي العلاء المعرّيّ. (ط١). دمشق: مطبوعات المجمع العلميّ العربيّ.

❖ مجموعة من المُؤلّفين، (١٩٨٤م). **المُنجد في اللُغة والأعلام**. (ط٢٧) . بيروت: دار المشرق.

❖ النّجّار، مُحمّد رجب، (١٩٩٥م). **التُّراث القصصيّ في الأدب العربيّ: مُقاربات سوسيو- سرديّة**. ط(١). (المُجلّد الأوّل). الكُويت: منشورات ذات السّلاسل.

❖ هلال، مُحمّد غنيمي، (١٩٩٩م). **الأدب المُقارن**. (ط٣). بيروت: دار العودة.

❖ وافي، علي عبد الواحد، (١٩٦١م). **الأدب اليونانيّ القديم ودلالته على عقائد اليونان ونظامهم الاجتماعيّ**. (ط١). القاهرة: دار المعارف.

❖ وهبة، مجدي والمهندس، كامل، (١٩٧٩م). **مُعجم المُصطلحات العربيّة في اللُغة والأدب**. بيروت: مكتبة لبنان.

❖ يونس، عبد الحميد، (١٩٦٨م). **الحكاية الشّعبيّة**. القاهرة: المُؤسّسة المصريّة العامّة للتّأليف والنّشر، ودار الكتاب العربيّ للطّباعة والنّشر.

(١٩٨٣م)، **مُعجم الفُولكلور**. (ط١). بيروت: مكتبة لبنان.

ج- بحوث منشورة في الدّوريّات

❖ غزول، فريال جبّوري، (١٩٩٤م). قصص الحيوان بين موروثنا الشّعبيّ وتراثنا الفلسفيّ، **مجلّة فصول**، المُجلّد الثّالث عشر، العددان الثّاني والثّالث، القاهرة- مصر، ص ص١٣٤- ١٥١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

FABLES IN ARABIC PROSE IN THE FIFTH CENTURY OF HIJRA

By
Susan Naeem Asaad Hilo
Supervisor
Dr. Salah Jarrar

٦٢٦٢٦٧

Abstract

This study sheds light on fables in Arabic in the fifth century of Hijra. These fables are either carried over from previous centuries and ages or were written in the same century and were influenced by the events that took place then. Such events justify the emergence of these stories, their contents and the criticism directed at the age and its people.

The thesis focuses on two axes. The first one defines fables and identifies its kinds in ancient Arabic and world literature in general. In the second one, I traced its emergence till the end of the fourth century of Hijra. I also briefly touch upon the circumstances in the fifth century and the reasons why this era was filled with animal stories as well as the

In its analysis of fables in the fifth century of Hijra, the study uses the methodology of "Knowledge Amalgamation." This method uses different schools of knowledge, but mostly it depends on social and symbolic analysis.

The thesis reaches the conclusion that there are three different types of animal stories in ancient literature. There are myths through which human beings explained natural phenomena as well as animal features and behaviors. Such stories came forth because of humanistic and ethical visions and critical viewpoints.

This evolved into two genres of animal stories: fables and animal epics. In both these genres, human logic is the active agent behind the animal masks, and sometimes even behind plants or inanimate objects. Here, the storytellers present their critical viewpoint and thought. The former genre preceded the latter but it led to its emergence and made use of its artistic features and benefited the epic genre.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Arabic literature was able to add to these two prosaic genres. The first was the product of the Jahili Age and the outcome of the views of people about animals and their behaviors and how that in turn reflected feelings of tribal prejudice in people as well as their tendency towards personal pride. The Arabic tales were called "The Pride of Animals" since animal characters usually stand proud of themselves and they recount their features and boast about their good points. They even attack other animals verbally and degrade them.

The second genre had its origin in the book "Kalila Wa Domnah." The point of difference lies in the fact that the new genre changed the short prose tales that were many in number into one long prose tale that tackles one subject despite having many characters and many branching events. The first of these tales that came into our hands is "The Tiger and the Fox" by Sahel Ben Haron.

Animal stories in the fifth century of Hijra showed brilliance in narration, inspiration and creativity. Some of these stories managed to absorb the animal stories carried over from previous ages. Abu Al Ala'a Al Ma'ari wrote some of these stories . Of these, we received some fables and one long prose animal tale which Is considered a huge leap in the art of animal story telling. This is due to the fact that a lot of the author's own knowledge, culture and personal efforts in the Arabic language.

The circumstances and the vents that took place in this century are the reason why it is filled with so many animal stories. Most of the received prose tales are classified as "fables" which are highly critical ofcv political and social aspects. As for animal prose tales written by Abu Al Ala'a Al Ma'ari, these are mostly critical and thought provoking as they reflect the events of the century and its conflicts.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit